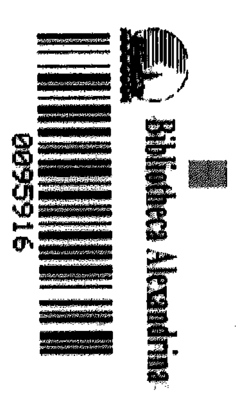
١٨

تاريخ الكتب والمكتبات
فى مصر القديمة

الدكتور
السيد السيد النشار
قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

١٩٩٩



تاريخ الكتب والمكتبات
فى مصر القديمة

تاريخ الكتب والمكتبات
في مصر القديمة

دكتور
السيد السيد النشار
قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة الأسكندرية

١٩٩٩

اسم المؤلـف : السيد السيد النشار

عنوان الكتاب : دراسات فى تاريخ الكتب والمكتبات فى مصر القديمة .

رقـم الايداع : ٩٨/١٦٣٥

الرقـم الدولى: 977-19-5216-1

تاريخ الإيـداع: ١٩٩٧/١٢/٢٩

الـنـاشـر : دار الثقافة العلمية

خلف ٦٨٧ طريق الحرية - جناكليس - الاسكندرية

ت : ٠٣/٥٧٢٨١٧٦

قائمة المحتويات

المقدمة

يقتطع تاريخ مصر القديمة حوالى أربعة آلاف سنة من تاريخ الإنسانية، ويبدأ فى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد وينتهى بالفتح العربى لمصر سنة ٦٤٢م. وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم هذا التاريخ إلى أربعة عصور هى:

العصر الفرعونى ويمتد إلى إحتلال الإسكندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ق.م، وحكم مصر خلالها ثلاثون أسرة، وعصر البطالمة وقد امتد حوالى ثلاثمائة عام (من ٣٣١ ق.م-٣٠ق.م) ثم العصر الرومانى (٣٠ق.م-٣٠٦ م) وأخيراً العصر البيزنطى (٣٠٦م-٦٤٢م). وكان لكل عصر منها أنظمته وقوانينه وتقاليده وحضارته، وقد شهدت مصر خلال هذه العصور أدوار نهوض وقوة يعقب كل منها دور من أدوار الضعف والفوضى والاضمحلال، كما شهدت مصر نهضة حضارية كبيرةً فى جميع قطاعات العلوم والفنون.

ولأن المكتبات ظاهرة حضارية حيث تحتفظ بأوعية الفكر الإنسانى ولها دورها الإيجابى فى نشوء الحضارة ونهضتها، فقد حرص المصريون على مدى تاريخهم القديم، حرصو على الاهتمام بالكتاب وإنشاء المكتبات وتيسير الإفادة منها، ومن ثم شهدت مصر القديمة حركة مكتبية، وكان خط بيمانها يرتفع وينخفض وفقاً لمقتضيات الظروف والأحوال التى مرت بها البلاد من سياسة اقتصادية واجتماعية وغيرها.

ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث دراسات تناقش بعض القضايا المرتبطة بتاريخ الكتب والمكتبات فى مصر القديمة، وقد أعدت فى أوقات مختلفة وقد رأينا نشرها هنا معاً لما يربط بينها من وحدة الموضوع.

وتهدف **الدراسة الأولى** إلى التعرف على مقومات صناعة الكتاب المصرى القديم وملامحه الببليوجرافية، أو ما يعرف اصطلاحاً بالدراسة

الببليوجرافية التاريخية والتحليلية.[1] لذلك يتجه البحث فى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الاستفسارات التالية:

١-ما هو الرمز الذى سجل به المصريون القدماء أفكارهم وتراثهم؟ وكيف نشأ وتطور؟

٢-ما هى المواد والأدوات التى استخدمت فى الكتابة فى مصر القديمة؟

٣-ما هى ملامح النتاج الفكرى المصرى القديم؟

٤-من هم الكتاب فى مصر القديمة؟ وما هى صفاتهم، ونظم إعدادهم مهنياً؟ وما هى آداب مهنتهم وواجباتهم؟ وما مدى التزامهم بهذه الواجبات؟

٥-ما هى الملامح المادية والببليوجرافية للكتاب المصرى القديم؟

٦-هل كان للكتاب دور فى بناء وتشكيل الثقافة المصرية القديمة؟

وأما الدراسة الثانية، وعنوانها المكتبات فى مصر الفرعونية، فقد استهدفت التعرف على عناصر ومقومات الخدمة المكتبية فى مصر إبان عصر الأسرات الفرعونية من الموارد المادية والبشرية والنظم والإجراءات الفنية، والخدمات والأنشطة. بغرض رسم صورة للحركة المكتبية فى مصر الفرعونية. لذلك يتجه البحث إلى الإجابة عن الاستفسارات التالية:

١-متى نشأت المكتبات فى مصر الفرعونية؟ وما هى أنواعها؟ وكيف تطورت ؟

---

[1] يقصد بالببليوجرافيا التاريخية دراسة تاريخ الكتاب وتطوره فى الزمان والمكان لرسم الصورة العامة لهذا التطور وذلك من خلال ثلاثة محاور : المادة المكونة للكتاب ، والرمز الذى تسجل به المعلومات، والمعلومات أو التراث الفكرى الذى يحرص الناس على تسجيله ، أما الببليوجرافيا التحليلية فإنها تهتم بدراسة كيفية بناء الكتاب ودراسة ملامحه المادية أو كيانه الفيزيقى،وذلك بتحليل ملامح الكتاب العامة وصفحة عنوانه ونوع ورقه، وكيفية تسجيل وتنظيم المعلومات به والهوامش ، والتصويبات والتسطير وعلامات الترقيم ، والزخارف والرسوم التوضيحية والعلامات المائية وغيرها من الملامح . للمزيد راجع شعبان عبد العزيز خليفة . الببليوجرافيا، أو، علم الكتاب . . . النظرية الخاصة . . . -القاهرة الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.- ص ١٩-٢٦، ٢٤٥-٢٥١.

٢-هل كانت هناك مواصفات خاصة بمبانى المكتبات الفرعونية ؟ وما مدى مساهمة ذلك فى تقديم الخدمات؟

٣-ما هى التجهيزات التى استخدمت من قبل المكتبات الفرعونية؟ وإلى أى مدى ساهمت فى تقديم الخدمات؟

٤-من هم العاملون فى المكتبة الفرعونية؟ وما صفاتهم، وواجباتهم؟

٥-ما هى الإتجاهات العددية والنوعية لمقتنيات المكتبات الفرعونية؟ وما هى سبل تنميتها؟

٦-هل كانت هناك نظم وإجراءات فنية استخدمت من قبل المكتبات الفرعونية؟ وما هى إن وجدت؟

٧-ما هى أنواع الخدمات التى قدمتها المكتبات الفرعونية لروادها؟ وما هى أدابها، وشروطها، وإجراءاتها؟

وأما الدراسة الثالثة وعنوانها: المكتبات فى مصر إبان العصر البطلمى والرومانى. حيث شهدت مصر فى تلك الفترة نهضة مكتبية متعددة الأطراف، فقد أنشأت أشهر مكتبات العالم القديم على الإطلاق، وهى مكتبة الإسكندرية وغيرها من المكتبات، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تاريخ هذه المكتبة، ودورها فى المجتمع المصرى ومصيرها لا سيما وأن هذه المكتبة قد أثيرت حولها العديد من التساؤلات والقضايا، والتى لا زالت محل أخذ ورد، ولم تحسم لعدم توافر المعلومات الموثقة عن هذه القضايا، وكان هذا هو السبب الرئيسى لدراسة هذه الجزئية، كما استهدفت هذه الدراسة التعرف على المكتبات الأخرى فى مصر، غير مكتبة الإسكندرية والتى أنشأت فى هذا العصر، بغرض تقديم صورة عن مقومات وجودها، وعناصر تقديم خدماتها. لذا يتجه البحث هنا للإجابة عن الاستفسارات التالية:

١-من مؤسس مكتبة الإسكندرية؟ ومتى؟ وما هى دوافعه من ذلك؟

٢-ما هى مواصفات مبنى مكتبة الإسكندرية؟ وما هى تجهيزاته؟

٣-ما هى الإتجاهات العددية والنوعية لمقتنيات المكتبة؟ وكيف تم تكوينها وتنميتها؟

٤-هل كانت هناك نظم وإجراءات فنية استخدمت من قبل مكتبة الإسكندرية؟ وما هى إن وجدت؟

٥-من تولى إدارة المكتبة؟ وما هى صفاتهم، وثقافتهم وواجباتهم؟

٦-ما هى الخدمات التى كانت مكتبة الإسكندرية تقدمها للمترددين؟

٧-ما هو المصير الذى آلت إليه مكتبة الإسكندرية؟

٨-هل كانت هناك مكتبات أخرى فى المجتمع المصرى إبان العصر البطلمى الرومانى غير مكتبة الإسكندرية؟ وما هى أنواعها إن وجدت؟ وما هى مواردها ونظمها وخدماتها؟

تلك هى التساؤلات التى حاولنا أن نجد إجابات واضحة محددة لها، اعتماداً على المصادر الأصلية والمراجع التى استطعنا الاطلاع عليها، وقد توصل الباحث فى هذه الدراسات الثلاث إلى نتائج عديدة، جديدة[1] وغير مسبوقة لا سيما ما يتعلق بالملامح المادية والببليوجرافية للكتاب المصرى القديم، ومكوناته، وطبقة الكتّاب، وكذلك ما يتعلق بالمكتبات الفرعونية حيث أوردنا معلومات تفصيلية عن العديد من المكتبات، وأسماء خمسة وثلاثين أمين مكتبة فرعونية، وترجماتهم، ونظم إدارة المكتبات الفرعونية، وخدماتها، وفيما يتعلق بمكتبة الإسكندرية القديمة، انتهينا إلى نتائج مهمة غير مسبوقة أيضاً كالتحقق من مؤسس المكتبة ودوافعه، وعدد مقتنياتها، ونظم التزويد والتسجيل والسجلات، والفهرسة والفهارس، والتصنيف بالمكتبة، كما أوردنا أسماء العاملين فى المكتبة فى العصر الرومانى وهو ما أغفلته الدراسات السابقة، وكذلك المصير الذى آلت

---

[1] راجع خاتمة الكتاب . ص ١٥٣

إليه، ورد الدعوى الخاصة بحرق عمرو بن العاص للمكتبة فى القـرن السـابع الميلادى. وفضلاً عن ذلك انتهت الدراسة إلى تحديد أنواع المكتبات المصريـة فى العصر البطلمى والرومانى غير مكتبة الإسكندرية، وذكر نماذج عديدة لـها، ونظم إدارتها وخدماتها؟ وأسماء العاملين بها - وهى أيضاً جزئية جديدة غـير مسبوقة-وغيرها من الحقائق المدعمة بالأدلة والبراهين الموثقة المسـتقاة مـن الأصول والمصادر البردية والنقوش المصرية المترجمة إلى الإنجليزية، فضـلاً عن دراسات الثقاة من المؤرخين المحدثين، وهـذا مـا سـوف تكشـف عنـه الصفحات التالية بإذن الله.

والله تعالى من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

السيد النشار

١٩٩٧/٣/١٢

الدراسة الأولي
الكتاب المصرى القديم

الدراسة الاولي
الكتاب المصرى القديم

ارتكزت الحضارة المصرية القديمة منذ بدايتها على عدة أسس لعل أهمها : العقيدة الدينية والعلم والمعرفة والآداب. والكتب هى الأوعية التى تحتفظ بنصوص العقيدة وتتجمع فيها عصارة الفكر والعلم والمعرفة، فتحافظ عليه وتنقله من جيل إلى جيل ليطلع عليه ومن ثم يضيف إليه، وكما كان للمصريين القدماء فضل السبق دائماً فى كل ميادين الحضارة الإنسانية والفكر الانسانى، كان لهم كذلك فضل السبق فى تاريخ أوعية المعرفة أعنى الكتاب، ونحن نعلم أن أوعية المعرفة عامة والكتب خاصة لا توجد فى أمة من الأمم أو عصر من العصور إلا إذا توافرت لها مقومات ثلاثة هى : الرمز الذى يسجل به المعلومات، ومواد الكتابة، والتراث الفكرى أو المعلومات، وسوف نتناول فى هذا السياق تاريخ الكتاب المصرى القديم من خلال معالجة هذه المقومات الثلاثة: الكتابة وهى الرمز، وأدوات الكتابة، والشكل المادى للكتاب، والتراث الفكرى المصرى.

١-الكتابة المصرية القديمة

يُرجع علماء اللغة القديمة[1] أن الكتابة قد ظهرت منذ حوالى خمسة آلاف سنة أو يزيد؛ فى وقت واحد ؛ فى بلاد كل من : وادى النيل، والرافدين، ووادى السند، وأن فضل اختراع الكتابة أعظم من أى اختراع آخر بما فى ذلك اكتشاف المعادن والزراعة وغيرها، فلولا اختراع أساليب تسجيل وحفظ خبرات

---

[1] راجع على سبيل المثال :

- Gardiner, A.H. The Egyptian Orgin of the simitic Alphabet.- J.E.A., Vol 3 (1916),P.5.
- Budge, E.A.W. Essay Lessons in Egyption Heiroglyphics .- London , Kegan Paul, 1902,P.1.

الإنسان ونتاج ملاحظاته، لما تيسر ظهوره إلى حيز الوجود، ولو أن القدماء قد اعتمدوا على ذاكرتهم لما استطاعوا أن يدركوا ما كانت عليه حركات الأجرام السماوية من دقة، وأنه يمكن التنبؤ بحدوثها بعد فترات معينة، ولما استطاعوا أن يصلوا إلى نظريات تسيير الكون.

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك دوافع اقتصادية وأخرى دينية أدت إلى ظهور الكتابة، منها على سبيل المثال أن التجار كان لابد لهم من تسجيل مقادير بضائعهم وأعداد ماشيتهم ومقادير المحاصيل الزراعية المختلفة حتى يتمكنوا من ضبط شؤنهم الاقتصادية، وخاصة بعد نمو هذه المجتمعات في العصور السابقة مباشرة للعصر التاريخي.

وكذلك حاول الكهنة التعبير عن الآلهة بالصور والرموز حتى يسهل لطبقات الشعب المختلفة التعرف عليها[٢]. والواقع أن اختراع المصريين القدماء للكتابة قد جعل الحياة العقلية عندهم تنمو وتزدهر في الوقت الذي كانت تعيش فيه بعض الأمم الأخرى مع الحيوانات المفترسة في الأحراش والغابات.

لقد مارس المصريون القدماء الكتابة منذ بداية التاريخ دون أن ينقلوا شيئا منها عن الحضارات الأخرى المعاصرة، أو لم تستق جذورها من الخارج ولم تتأثر بمؤثرات أجنبية غير تأثير البيئة المصرية نفسها، فقد كانت الكتابة نابعة من البيئة المصرية ومتطلبات الحياة فيها، وما بها من كائنات أخرى، فكانت كلمة البيت مثلا – وهي في اللغة المصرية القديمة المنطوقة بر – ويرمز لها بشكل مستطيل ذي فتحة في إحدى طوليه، ولما كانت بعض المعاني مجردة إلى حد يصعب معه تصويرها تصويرا حرفيا بشيء مادي من البيئة المحيطة فقد استعيض عن التصوير بوضع رموز للمعاني تدل عليه، وكانت تتخذ بعض

---

[٢] رشيد الناضوري دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم الإسكندرية: دار الكتاب الجامعي. ١٩٨٦ ص٣٩، ٦٧

الصور بحكم العادة والعرف للتعبير عن الفكرة التى بها، لا عن الشيء المصور نفسه، فكان مقدم الأسد مثلاً يعبر عن السيادة – كما هو الحال فى تمثال (أبو الهول) وكان الزنبور يعبر عن الملكية، وفرخ الضفدع عن الآلاف.

وكانت هناك بعض المعانى المجردة التى لم يستطيعوا تصويرها فى بادىء الأمر، ومن ثم لجأ المصرى القديم للتعبير عنها برسم صور للأشياء التى تشبه أسماءها مطابقة للألفاظ التى تعبر عن هذه المعانى، وهو ما يطلق عليه بالجناس اللفظى؛ أى كلمات متفقة فى اللفظ والحروف، ومختلفة فى المعنى. من ذلك : صورة المزهر ؛ لم تكن تعنى المزهر نفسه فحسب بل كان معناها ايضاً طيب أو صالح. لأن نطق اسم المزهر فى اللغة المصرية القديمة (نِفِر) شبيه بنطق اللفظ (نُفِر) وهو يعنى طيب أو صالح، وكذلك كلمة (بر) وتعنى البيت كما تعنى الفعل خرج، وللتفريق بينهما كان يضاف علامة فارقة Demanstrative وهى علامة تلحق بالكلمة الثانية لبيان دلالتها، وفى هذا المثال تلحق علامة بر برجلين منفرجتين لتعبر عن الفعل خرج[٣]. وقد نشأ عن هذا الجناس تراكيب غاية فى الغرابة، من ذلك أن فعل الكينونة كان يعبر عنه فى لغة الكلام بلفظ خوبيرو، وقد عجز الكاتب المصرى فى أول الأمر عن إيجاد صورة يمثل بها هذا المعنى، حتى اهتدى أخيراً إلى تجزىء الكلمة إلى ثلاث مقاطع هى خو –بى–رو، ثم عبر عن هذه المقاطع الثلاثة بصور الغربال (الذى يعبر عنه فى لغة الكلام بلفظ خو)، والحصيرة (بى)، وبالفم (رو) . . .

وعلى هذا النحو عرف الكاتب المصرى مقاطع الكلمة، والصورة التى ترمز لكل مقطع، ومجموعة الصور التى ترمز لكل لفظ أو كلمة؛ فقد كان الكتاب يجزؤن الكلمة الصعبة إلى أجزاء أو مقاطع، ويبحثون عن الألفاظ

---

(٣) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء .– القاهرة : العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩. ص ١١؛ وانظر ايضاً : Budge .- Ibid P.7-12 .

المشابهة لهذه المقاطع نفسها فى النطق والمغايرة فى المعنى، ويرسمون مجموعة الأشياء المادية التى توحى بها أصواتها، حتى استطاعوا فى آخر الأمر أن يعبروا عن كل ما يريدون بالعلامات التصويرية الهيروغليفية، ولم يكن هناك معنى من المعانى لا يستطيعون التعبير عنه بعلامة أو أكثر(٤).

هذا ولم يكن بين هذه الكتابة التصويرية وبين اختراع الحروف الهجائية إلا درجة واحدة، فقد كانت العلامة الدالة على البيت هى بر، ثم أصبحت رمزاً للصوت بر، ثم لهذين الحرفين أيا كانت حركاتهما وفى أى كلمة جاءت، ثم استخدمت الصورة للدلالة على حروف الهجاء، وعلى هذا النمط أصبحت العلامة الدالة على اليد (وهى باللغة المصرية دت تعنى دُ ، دَ ثم اصبحت هى حرف د. ، وكذلك العلامة الدالة على الفم (رُ، رِ) ثم اصبحت دف ر. وكانت نتيجة هذا التطور أن وجدت حروف هجائية، عدتها أربعة وعشرون حرفاً(٥).

غير أن المصريين القدماء لم يتخذوا لهم كتابة قائمة كلها على الحروف الهجائية وحدها، بل ظلوا إلى آخر عهود حضارتهم يخلطون فيه الصور الدالة على الرموز والأفكار ومقاطع الكلمات وبين الحروف.

ولاشك أن هذا قد سبب صعوبة فى تعلم هذا النمط من الكتابة ولاسيما وأن رموز الكتابة الهيروغليفية قد تعدت الخمسمائة علامة ورمز، ومن أجل هذا نشأ شكل سريع من أشكال الكتابة استخدم فى الكتابات العادية هو الكتابة الهيراطيقية، ولكنها سرعان ما عم استخدامها فى الوثائق العامة والمكاتبات

---

(٤) ديورانت، ول : قصة الحضارة، ج٢، مج١: الشرق الأدنى /ترجمة محمد بدران.- القاهرة : جامعة الدول العربية. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧١، ص ١٠٧-١٠٨ ، وانظر أيضاً شعبان خليفة. المصدر السابق، ص٩، محمد ماهر حماده. الكتاب فى العالم.- بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٥، ص ٢٢-٢٤ .
Claibome, Robert, The birth of writing .- Netherlands time – Life book inc., 1980.-P.7.

(٥) ديورانت . المرجع السابق ، ص ١٠٨. شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ١١،٩ ؛ محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

التجارية والخاصة. أما النمط الأول وهو الكتابة الهيروغليفية فقد خصصها المصريون القدماء لكتابة النقوش المقدسة على الآثار والمعابد، ثم بعد ذلك نشأ على يد الشعب المصرى نفسه نمط ثالث من أنماط الكتابة أكثر اختصاراً من النمط الثانى وأقل منه عناية؛ لذلك سمى بالكتابة الديموطيقية أى الشعبية(٦)، وهكذا يمكن القول إن الكتابة المصرية القديمة بأنماطها الثلاثة (الهيروغليفية، والهيراطيقية والديموطيقية) كانت تتألف من ثلاثة أشكال من العلامات والرموز. هى :

-كلمات تصويرية حيث يعبر عن شيىء مادى برسم صورته أو عن فعل يرسم شخص يقوم به.

-علامات صوتية: وكانت تستخدم فى رسم كلمة للتعبير عن كلمة أخرى لمجرد اتفاقها معها فى الصوت رغم اختلاف دلالتها.

-علامات فارقة: وهى العلامة التى تلحق بالكلمة المتفقة صوتا والمختلفة دلالة للنص على الدلالة المقصودة(٧).

هذا وقد اختلف فى أول ظهور للحروف الهجائية فبعض المؤرخين يرجعها إلى حوالى ٢٥٠٠ ق.م، وبعضهم إلى عام ١٨٠٠ق.م، والبعض الثالث يرى أنها ترجع إلى عام ١٥٠٠ق.م.(٨)

وعلى أية حال، فقد انتقلت الكتابة المصرية القديمة مع التجارة المصرية الفينيقية إلى جميع البلاد الواقعة حول البحر المتوسط ثم انتشرت عن طريق اليونان وروما حتى صارت أثمن ما ورثته الحضارة من بلاد الشرق، ثم ارتدت إلى مصر فى العقود الأخيرة قبل الميلاد، فخلطها المصريون بكتاباتهم فظهرت

---

(٦) ديورانت . المرجع السابق، ص ١٠٩-١١٠ . انظر أيضا لوحة رقم ٢

(٧) شعبان خليفة . المرجع السابق ، ص ١١ .

(٨) ديورانت : المرجع السابق، ص ١٠٩ ، لنتون، رالف .- شجرة الحضارة | ترجمة أحمد فخرى.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، د. ت؛ ص ١٨٩.

كتابة خاصة ذات لغة مصرية وكتابة يونانية وذلك فى العصر البطلمى، ومنذ القرن الثالث الميلادى استعملها الأقباط فى الكتابة ومنها نشأ الخط القبطى فى مصر[٩]. وبسبب هذا النقل والتقليد استطاع العالم الفرنسى شامبليون من فك رموز الكتابة المصرية القديمة، ومن ثم أهدى المؤرخين مفتاح دراسة تاريخ مصر القديمة وحضارتها.

ولم يكن ذلك قبل اكتشاف حجر رشيد فى سنة ١٧٩٩م إبان الحملة الفرنسية على مصر، ذلك أن أحد الضباط المهندسين الفرنسيين وهو بيير فرانسوا بوشار قد عثر أثناء قيامه بأعمال هندسية عند قلعة جوليان شمال رشيد على لوحة حجرية سجل عليها كتابات بثلاثة أنماط وكان فى هذه اللوحة نصاً يدور حول اعتلاء بطليموس الخامس عرش مصر فى (٢٧ مارس سنة ١٩٦ق.م) وقد كتب بلغتين (المصرية واليونانية) والكتابات الثلاث (الهيروغليفية، والديموطيقية، واليونانية). وقد توفر على دراسة الأثر عدد غير قليل من علماء اللغات فى ذلك العصر من هؤلاء توماس يونج، وآكربلاد، وجان فرانسوا شامبيليون إلا أن النجاح كان حليف الأخير إذ استطاع عن طريق معرفته للغة القبطية واللغة اليونانية القديمة مقارنة الرموز فى اللغات الثلاث ومن ثم استطاع فك رموز اللغة المصرية القديمة[١٠].

---

[٩] شعبان خليفة : المرجع السابق، ص ١١ .

[١٠] للوقوف على القصة الكاملة لفك رموز الكتابة المصرية القديمة. راجع : أحمد صالح. قصة فك رموز اللغة المصرية القديمة.- القاهرة : المجلس الأعلى للآثار، [١٩٩٥]. ص ٧-٢١؛ أحمد عادل كمال. حجر رشيد والهيروغليفية.- القاهرة : الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩٣، ص ٤١-٧٠.

Claibome, Robert . Ibid . P.32-59; Budge EA. Ibid . P. 13-27. Quirke, Stephen and carol Androuss. Rosette Stone: Facsimile drawing with an introduction and translation.- London : British Museum Publication Ltd, 1988.

انظر أيضاً لوحة رقم ٢ .

٢-مواد الكتابة وأدواتها

استخدم المصريون القدماء مواد عديدة للكتابة، وهى جميعاً مشتقة من صميم البيئة المحيطة بهم؛ من ذلك **الحجارة المسطحة** للمعابد وعلى المقابر وجدران القصور والبيوت، حيث سجلوا عليها شئون حياتهم المعيشية والدينية، وحروبهم وتاريخهم، لذلك تعتبر هذه الجدران والأحجار مصدراً خصبياً للباحثين الحديثين فى علم المصريات. كما استخدم المصريون **الألواح الخشبية** المغطاة بالجص ولكن بصورة قليلة ولأغراض تدوين النصوص القصيرة، واستخدموا كذلك **الرق** ولكن فى حالات خاصة جداً كتدوين وثائق الدولة التى لها أهمية خاصة، ولعل أقدمها نموذج وصل إلينا لوثيقة من الرق ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ – ١٨٠٠ ق.م) ، وبعد ذلك كان يستعمل الرق من حين لآخر وعلى استحياء حتى أواخر عصر الفراعنة[١١].

وفى العصر البطلمى زاد استخدامه تدريجياً حتى أصبح المنافس الحقيقى للبردى فى عالم الكتابة؛ تدلنا على ذلك المخطوطات القبطية التى ترجع إلى ذلك العصر ويحتفظ بها فى بعض الأديرة المصرية[١٢]، وقد كتب غالبيتها على الجلود.

وتحتفظ العديد من متاحف العالم بنماذج غير قليلة للفافات من الجلد كتبت فى العصر الفرعونى من ذلك على سبيل المثال: لفافة ترجع إلى عهد سنوسرت الأول كان قد عثر عليها فى معبد الإله رع فى هليوبوليس، وتضم

---

[١١] ستيبنسفيتش، الكسندر. تاريخ الكتاب| ترجمة محمد الآرناؤوط .- الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٣ .- القسم الأول، ص ٣٨.- (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٦٩)؛ سفن دال.- تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر | ترجمة محمد صلاح الدين حلمى؛ مراجعة توفيق اسكندر.- القاهرة: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، ١٩٥٨.- ص٨، احمد بدوى، جمال الدين مختار. تاريخ التربية والتعليم فى مصر: العصر الفرعونى.- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ . ص ١٨٩-١٩٠

[١٢] انظر الخاتمة ص ١٥٢

حسابات تأسيس المعبد؛ وهى نسخة نقشها الكاتب على الجلد، وهى موجودة الآن فى متحف برلين، وعلى أية حال فلقد كان استخدام الجلود والرقوق فى الكتابة قليل– كما سبق أن ذكرت– ويرجع ذلك إلى أن إعداد لفافة البردى كان أسهل وأقل تكلفة من إعداد قطعة الجلد.

استخدم المصرى كذلك **اللخاف** وهى قطع من الحجر الجيرى الناعم الرقيق، و**الأوستراكا** وهى عبارة عن قطع من الأوانى الفخارية المحروقة (الشقافة) وكانت تجمع من أكوام المخلفات وتستخدم فى الكتابة والرسم من قبل الفقراء بدلاً من أوراق البردى.

وقد أمكن العثور على نماذج كثيرة منها فى عدة مواقع أثرية[١٣] نذكر منها على سبيل المثال: تحت أطلال قرية دير المدينة حيث عثر على حوالى خمسة آلاف قطعة منها ما هو مصور ومنها ما هو مكتوب، كما وجدت نماذج منها بجوار معبد الرمسيوم.

وقد كان للفخار دور هام فى الحفاظ على العلامات التصويرية للكتابة الهيروغليفية، فهو يعطى علامات واضحة وليست سطحية ما يتيح بسهولة عقد مقارنات بينها وبين أى حروف أبجدية أخرى متشابهة[١٤]، وكانت تستخدم الاوستراكا – غالباً – فى تدوين العمل اليومى مثل التقارير المختصرة عن سير العمل، كما وجدت قوائم بأسماء المأكولات والمشروبات، وأكثر مما عثر عليه كان يستخدم فى العملية التعليمية[١٥].

---

[١٣] سليم حسن . مصر القديمة .– ج٢، القاهرة ، ١٩٩٤. جورج بوزنر وآخرون . معجم الحضارة المصرية القديمة | ترجمة أمين سلامة ؛ مراجعة سيد توفيق.– القاهرة ، أمين سلامة ؛ مراجعة سيد توفيق.– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص ٧٥؛ عبد العزيز صالح .– التربية والتعليم فى مصر القديمة .– القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص ١٥٢ .

[١٤] Gardiner, A.H. The Egyptian Orgin of the Simitic Alphapt.- J.E.A. Vol 3. (1916), P.5

[١٥] سليم حسن . المرجع السابق، ص ٣٧٤ – ٣٧٧ ؛ عبد العزيز صالح . المرجع السابق، ص ١٥٢

كما استخدم المصرى ألواحاً من الطين المحروق كلوحة للكتابة وكانت تعد بتغطيتها بطبقة من الجير الأبيض. وكانت هذه الطريقة يتبعها الفنانون فى تغشية المواد المصنوعة من الخشب كالتوابيت والصناديق واللوحات قبل الرسم عليها وهو أسلوب لازال مستمراً فى مصر عند بعض الكتبة والخطاطين وهو ما يعرف بلوح الإردواز[١٦]، وكانت تستخدم الواح الطين المحروق فى المراسلات الرسمية بين مصر وغرب آسيا فى الأسرة الثامنة عشرة، ويتبين ذلك من خطابات تل العمارنة التى كتبت على هذه الألواح باللغة البابلية منقوشة بالخط المسمارى[١٧].

وبالإضافة إلى هذه المواد استخدم المصرى القديم مواد أخرى ولكن بصورة قليلة ولأغراض محدودة مثل الكتان، والرخام الألباستر. فقد عثر فى مقبرة "توت عنخ آمون" على عدة أجزاء من الأقمشة الكتانية وقد نقشت عليها رموز كتابة دينية، كما عثر على مجموعة متنوعة من قطع الألباستر حول هرم سقارة المدرج منقوش عليها أسماء الملوك واسم الإدارة أو المكان الذى أحضرت منه[١٨].

أما أكثر المواد استعمالا فى الكتابة وأكثرها انتشارا خلال التاريخ المصرى القديم فقد كان ورق البردى[١٩]، حيث كان دوما هو المادة المسيطرة على الكتابة لما يتميز به من متانة، وخفة حمله، وسهولة طيه، وإمكانية الكتابة

---

(١٦) Wainwright, G. Apainted Box from Komwshim.- ASAE, Vol 25. (1925) P.100-101.

(١٧) لوكاس، الفريد .- المواد والصناعات؛ ترجمة زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم.- ط٣، القاهرة: ١٩٤٥، ص ٥٨٧

(١٨) المرجع السابق،ص ٢٣٧ .

(١٩) من أهم الدراسات العربية التى تناولت ورق البردى وطرق صناعته وانتاجه ما يلى : حسن رجب. البردى وطرق صناعته وانتاجه: حسن رجب. البردى.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١؛ سعيد مغاورى محمد. البرديات العربية فى مصر الاسلامية.- القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٦ . (سلسلة مكتبة الشباب؛ ٤٦)

عليه بسهولة، فضلاً عن سهولة الحصول عليه ورخص ثمنه مقارناً بالمواد الأخرى.

لقد استخدم المصريون القدماء البردى فى شتى الأغراض مثل صناعة المراكب والزوارق وأسقف المنازل والحبال والنعال والفرش وقطع الأثاث الخفيف، والورق وتغليف جثث الموتى بعد عملية التحنيط وغيرها من الأغراض[٢٠]. ويعنينا هنا من هذه الأغراض استخدام البردى فى صناعة ورق الكتابة.

وعلى الرغم من كثرة الصور والرسوم التى وردت على الآثار الفرعونية ووصفت جميع مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية فى مصر القديمة، إلا أنه لم يرد ما يصور صناعة أوراق البردى سوى صورة وحيدة وجدت على جدران مقبرة "بوى إم رع"[٢١] من الأسرة الثامنة عشرة فى طيبة، وتصف هذه الصورة أربعة رجال؛ يقف اثنان منهم فى مركب صغير من البردى فى إحدى المستنقعات، ويقوم أحدهما بتقليع أو قطع سيقان البردى التى تنمو فى هذا المستنقع، بينما يقوم الثانى بربط ما تم حصاده منها فى حزم، بينما يقوم الرجل الثالث بنقلها لرابع يجلس على مقعد منخفض إلى أقصى اليمين من الصورة وهو منهمك فى إعداد سيقان البردى وتجهيزها لصناعة الورق، والصورة بهذا الشكل تمثل جانباً من صناعة ورق البردى لدى المصريين القدماء[٢٢].

---

(٢٠) للمزيد عن الاستخدامات المتعددة لنبات البردى فى مصر القديمة راجع :

-O,Casey, I. And Money A. The Nature and making of paprus.- York shine: the elmete press, 1973, P.8-10.

وانظر أيضاً حاشية رقم ١٩ .

(٢١) بوى إم رع كان مهندس بناء فى عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث وتضم مقبرته مشاهد لحياته الوظيفية. راجع ترجمته فى (سليم حسن . المرجع السابق، ج٧، ص ٣٨٥ - ٣٨٧).

(٢٢) Cerny, J. Paper and Books in Ancient Egypt. London , 1947, P. 5

وأما الصورة الكاملة لطريقة صناعة ورق البردى فنستقيها من النصوص الروائية، ولعل أقدمها ذلك التقرير الذى كتبه بلينى pliny وهو أحد المؤرخين الرومان وقد عاش فى القرن الأول الميلادى (٢٣ – ٧٧م) حيث ذكر فى كتابه "**التاريخ الطبيعى**" أن المصريين القدماء كانوا يشقون لباب نبات البردى فيجعلونه شرائح رقيقة، ثم تصف كل شريحة بجانب الأخرى، ثم يضغطونها، وبعد ذلك يوضع فوقها طبقة أخرى من الشرائح بحث تكون متعامدة على الأولى، ثم يضغطونها معاً بحيث يلتصقان، ثم يتركونها تحت الشمس لتجف قليلاً، فيضربونها بعد ذلك ضرباً لطيفاً بقطعة خشب ليستوى فرخ الورق ويستقيم ويصبح صالحاً للاستعمال[٢٣]، ويبدو أن العصارة الصمغية الكائنة فى النخاع الداخلى لهذه الشراح، كانت تساعد على التصاق الطبقتين لما تحتوى عليه من مواد سكرية ونشوية، وربما – كما ذكر بلينى– أن ماء النيل بما فيه من طمى قد ساعد على الالتصاق لتوافر خاصية الغراء فيه.

ويرى حسن رجب أن نبات البردى يحتوى على قنوات هوائية، وفى أثناء عملية الضغط تضغط خلايا نسيج النبات الرخوة إلى داخل القنوات الهوائية الموجودة فى الشريحة الأخرى، والعكس بالعكس مكونة وصلة تعرف فى الاصطلاح العامى (عاشق ومعشوق) وبذلك تندمج أنسجة النبات فى الشريحتين ويتم التصاقهما بدون إضافة أى مادة لاصقة، ويحتمل أيضاً أنهم كانوا يستعملون نوعاً من الصمغ[٢٤]، وعلى أى حال فقد كان الالتصاق قوياً بدليل مرور قرون عديدة على صناعة ورق البردى ولازال يحتفظ بمتانته.

---

(٢٣) Pliny. Natural History/ Translation by A. Ernout. Paris, 1956.,P.145-147 .

وانظر أيضاً

Regah, H., Gontribution a L'Etude de cyperus papyrus, Grenoble, 1979, P. 107-108.

وأيضاً: حسن رجب. البردى . – القاهرة : دار المعارف، ١٩٨١. ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢٤) سفن دال . المرجع السابق ، ص ٤٣ حسن رجب. المرجع السابق، ص ٤٩ .

وهكذا كانت تعد أفرخ ورق البردى المفردة، ولأغراض صناعة لفائف طويلة، كانت تلصق الأفرخ ببعضها البعض بواسطة مادة لاصقة كالصمغ أو النشا، ومن الجدير بالإشارة هنا أن متوسط الفرخ الواحد كان ما بين ٣٨ حتى ٤٢سم، أما الارتفاع فلم يزد عن ٤٧سم، وكان من الممكن – بطبيعة الحال– اضافة أفرخ جديدة إلى اللفافة أو قطع أفرخ منها لضبط اللفافة على العمل المكتوب[٢٥].

وثمة تساؤل يطرح نفسه عن بداية اختراع ورق البردى ومتى استخدمه المصريون القدماء فى الكتابة؟ وفى محاولة للإجابة عن هذا السؤال يقابلنا صمت شديد للمصادر والمراجع التى تناولت جوانب الحياة فى مصر القديمة، لكن من المرجح أن المصرى القديم قد صنع ورق البردى واستخدمه فى الكتابة فيما قبل عهد الأسرة الأولى، ونستند فى ذلك إلى حقيقتين: أولهما ما ذكره تشرنى عن أول بردية مكتوبة عرفت لنا كانت بقايا من دفتر حسابات اكتشف فى المعبد الجنائزى للملك نفرإيركارع، وهو أحد ملوك الأسرة الخامسة (٢٤٠٠ق.م) وتستقر أجزاء هذا الكتاب موزعة فى كل من المتحف المصرى[٢٦]. ومتحف برلين وجامعة لندن. والحقيقة الثانية اكتشاف مجموعة من قصاصات ورق البردى فى مقبرة حماكا أحد رجال الدولة فى عهد الأسرة الأولى بسقارة، لكنها للأسف خالية من أى كتابة[٢٨].

---

(٢٥) شعبان خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور القديمة.– القاهرة .– الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ٢٢.

(٢٦) برديات المتحف المصرى رقم (ك ٦٣ . ٥٨ ، ك ٦٤ . ٥٨) .

(٢٨) حسن رجب. المرجع السابق، ص ٥٢ ؛

وحماكا : هو أحد الشخصيات التى عاشت فى عهد الملك وديمو (ردن) فى الأسرة الأولى وقد كان من الأشراف وقد اكتشفت مصطبته فى سقارة وهى تحتوى الكثير من مخلفات ذلك العصر راجع سليم حسن المرجع السابق ج١، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

لهذين السببين إضافة إلى ظهور علامة لفافة البردى في الكتابة الهيروغليفية منذ الأسرة الأولى، نرجح أن صناعة البردى وجدت فى مصر فيما قبل الأسرة الأولى.

والحقيقة أن ورق البردى لم يكن نوعاً واحداً بل تعددت أنواعه، فمن ذلك الورق الهيراطيقى، وهو أجود أنواع الورق وكان يستخدمه الكهنة فى كتابة النصوص الدينية المقدسة، وهناك الورق المسرحى وهو يلى الهيراطيقى في الجودة، وسمى كذلك نسبة إلى مسرح الإسكندرية الرومانى. وهناك الورق الطانى نسبة إلى طانيا غرب الإسكندرية، بالإضافة إلى نوع آخر من الورق كان يصنع لأغراض التغليف لذلك كان مقوى ولا يكتب فيه[٢٩].

وكان ورق البردى من اللون الفاتح المائل إلى الإصفرار أو إلى البياض هو أحسن هذه الأنواع وأجودها، وتقل درجة الجودة والحسن كلما مال لونه إلى الأسود.

ولعل من الجدير بالإشارة فى هذا السياق، أن مصر كانت تحتكر صناعة ورق البردى، وتصديره إلى الخارج دون الخشية من أى منافسة فى هذا المجال من أى دولة أخرى، وذلك حتى نهاية العصر البطلمى وبداية الاحتلال الرومانى، وذلك على الرغم من توافر نبات البردى فى دول أخرى ووجود صناعته لدى اليونان بالأخص، وقد يرجع ذلك إلى جودة نبات البردى المصرى وأنه أطول بكثير من البردى اليونانى، فقد كان يصل طوله إلى ثلاثة أمتار بعكس البردى اليونانى الذى لا يتعدى طوله ٢٥ سم.

وكان نتيجة لهذه الجودة أن تميز ورق البردى المصرى- كما يقول بلينى – بمتانته ، ورقة سمكه، ونصاعة بياضه ونعومة سطحه. فالمتانة ساعدت على مقاومة الورق لعوامل التآكل نتيجة للشد أو الضغط أو الطى والثنى، وأما

---

[٢٩] حسن رجب. المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤ ، سفن دال المرجع السابق ، ص ٣

رقة السمك فهى تسهل طى الورقة على شكل لفافة وإعادة فتحها بسهولة، ومن ثم لا يؤدى كثرة تداولها إلى تلفها، ونصاعة البياض فهى تؤدى إلى وضوح رموز الكتابة، أما نعومة السطح فهى تسهل عملية الكتابة حيث أنه كلما ازداد السطح نعومة، كان من السهل على القلم المرور بيسر وسهولة دون أن تعترضه أية عقبات فى النسخ والكتابة(٣٠).

وعلى أية حال فلقد كان ورق البردى هو المادة المسيطرة على عالم الكتابة فى مصر القديمة، وكان له الفضل الأكبر فى حفظ التراث المصرى القديم، وكان أحد مقومات الحضارة المصرية القديمة فضلا عن دوره الأساسى فى نقل الأدب العبرى وخاصة فى العصور المتأخرة فقد كتبت التوراة على ورق البردى، وترجمت فيما يعرف بالترجمة السبعينية على ورق البردى أيضا.

هذا عن المواد التى كتب عليها المصريون القدماء وحفظت لنا تراثهم ، أما أدوات الكتابة فكما استخدم المصرى القديم مواد عديدة للكتابة عليها، استخدم كذلك أدوات متعددة للكتابة بها. من ذلك استخدم المصريون آلات حادة كانوا ينقشون بها رموز لغتهم فى الحجارة وعلى جدران المعابد، كما استخدموا فرشاة كانت تصنع من سيقان نبات السمار المر وهو أحد النباتات المصرية التى تنمو نمو طبيعيا حول المستنقعات وكان أحد طرفى الساق يميل ليأخذ شكل رأس الأزميل، ثم تفصل ألياف هذا الطرف بمضغها بالأسنان أو الضرب اللطيف عليها لتعطينا فرشاة يمكن الكتابة بها والتلوين كذلك(٣١).

واستخدم المصريون كذلك قلماً للكتابة مصنوعاً من ساق نبات الغاب أو البوص، حيث كان يبرى بريا مائلا، بحيث تسهل الكتابة بها كتابةً غليظة أو

---

(٣٠) Pliny, op. cit., P. 147-148 .

وراجع أيضا حسن رجب المرجع السابق، ص ٥٠-٥١ .

(٣١) Cerny. J. op.cit., P.12 .

دقيقة تبعاً لاختلاف توجيهها[٣٢]، وكان يشق سن القلم اثنين فى المنتصف مثل ريشة القلم الحديث ليسمح بتشرب كميات أكبر من المداد، وحتى لا يجف أثناء الكتابة بسرعة. ولعل أول من استخدم هذا النوع من الأقلام هم الاغريق فى مصر وذلك فى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد وسموه Calamus ونقل عنهم المصريون هذه الأداة فى كتاباتهم الهيراطيقية والديموطيقية، ولاشك أن استخدام الأقلام كان له تأثيره المباشر على شكل علامات الكتابة.

وإذا تركنا القلم إلى المداد وجدنا أن المصريين القدماء قد استخدموا نوعين من المداد للكتابة هما المداد الأسود والمداد الأحمر، فضلاً عن أنواع أخرى استخدمت لأغراض التلوين والتزويق والتصوير مثل اللون الأصفر واللون البنى وغيرها من الألوان، وكان المداد الأسود يصنع من السناج الدقيق، وهو يكشط من أوعية المطبخ (يسمى عند العامة الهباب) وكان يخلط بعد طحنه جيداً مع سائل خفيف أو محلول من الصمغ، وكان يحفظ فى دواة. ومن أقدم أمثلة استخدام المداد الأسود ما وجد منه مخطوطاً على بعض الأوانى الفخارية فيما قبل عصر الأسرات[٣٣].

وكان يصنع المداد الأسود أيضاً من الكربون أو الفحم البلدى، أما المداد الأحمر فقد كان يصنع من مخلوط المغره الحمراء المطحونة طحناً دقيقاً والصمغ والماء. وقد استخدم هذا المداد للتمييز بين مجموعتين من العبارات وفى كتابة التواريخ، وكذلك العناوين، وكلمات الافتتاح فى النصوص، وفى بداية الفصول الجديدة كما كان الكاتب يقوم أحياناً بوضع نقاط حمراء كفواصل عند مسافات معينة لاسيما فى كتابة الشعر. كما استخدم كذلك فى تصحيح الأخطاء[٣٤].

---

(٣٢) Ibid.

(٣٣) حسن رجب. المرجع السابق، ص ٧٤؛ لوكاس، الفريد. المرجع السابق، ص ٥٥٨-٥٥٩.

(٣٤) Cerny. op. Cit . P. 24-25.

وكان المداد الأسود هو المفضل للكتابة ولاسيما على ورق البردى وذلك لما بينه وبين لون الورق المائل للاصفرار أو البياض من تضاد يساعد على إظهار الكتابة، وبالإضافة إلى هذين اللونين استخدم المصريون مدادا من اللون البني وكان يصنع من الحبر الكربوني الأسود الذى صنع من السناج غير النقى الذى يتحول لونه مع مرور الزمن إلى اللون البنى[٣٥] كما عرف المصرى كذلك المداد الأصفر، والأبيض، والأزرق، والأخضر، ولكن اقتصر استخدامه على التلوين لاسيما فى كتابات الجدران وتصاويرها.

وكان يوضع المداد فى دواه أشبه بقدح من الفخار أو العاج أو الخشب، وكانت هناك أداة شائعة الاستخدام هى دواه ومقلمة فى نفس الوقت، حيث كانت مركبة من جزأين بها للمداد. أحدهما للأسود والثانى للأحمر وبها فى نفس الوقت صندوق مستطيل لحفظ الأقلام[٣٦].

وكان يستخدم الكاتب المصرى لوحة الكتابة المسماة (البالته) وهى تتكون من مقلمة لحفظ الأقلام صنعت من تجويف بسيط من البوص، وهى عبارة عن وعاء يتكون من ساق سميكة من نبات قصب الغاب على هيئة عمود مجوف، وتصنع هذه المقلمة فى الجانب الأيمن للبالته، وأما الجانب الأيسر للمقلمة فتوجد لوحة للكتابة، وبها فجوتان للمداد الأحمر والأسود ويتوسط المقلمة، واللوحة وعاء من الماء اللازم لإزابة المداد – الذى غالبا ما كان على شكل أقراص– ومحو أى أخطاء فى الكتابة [٣٧].

وكانت تصنع لوحة الكاتب عادة من الخشب أو الحجر أو العظام أو العاج، ويتراوح طولها ما بين ١٠ إلى ٣٠سم وسمكها حوالى سنتيمتر واحد[٣٨].

---

(٣٥) Mstchel, C.A. Making –ink in Ancient Egypt. – London, 1927. P.18.

(٣٦) أحمد بدوى، محمد جمال الدين مختار. المرجع السابق، ص ١٩١.

Cerny.op.cit., P. 12.

(٣٧) حسن رجب، المرجع السابق، ص ٧٦-٧٧.

(٣٨) نجيب ميخائيل إبراهيم. مصر والشرق الأدنى القديم.- الجزء الرابع: الحضارة المصرية. - ط٢.- الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٦٦، ص ١٨، ١٩.

وقد عثر فى مقبرة توت عنخ آمون على العديد من أدوات الكتابة من ذلك ألواح الكتابة ومنها اثنتين صنعتا من العاج وواحدة من الخشب المكسو بالذهب كما وجد فى المقبرة عدد من ألواح كتابة عادية. وفى الحجرة رقم ٢٩ بالمتحف المصرى بالقاهرة يوجد العديد من أدوات الكتابة التى ترجع إلى الدولة القديمة منها : قطعة من المرمر بها تجويفان أحدهما للمداد الأسود والثانية للأحمر "رقم ٥١٩٢١" ، ولوحة كاتب من الخشب بها ست فجوات وعلى جوانبها سطران من الكتابة الهيروغليفية "رقم ٢٦٩٠٢٣"، وكذلك مقلمة على شكل خرطوش بها تجويفان ومصنوعة من القيشانى الأزرق "رقم ١٤٠٨٧" وكذلك مقلمة بها فجوتان مصنوعة من الشست الرمادى، وهذه الأخيرة وجدت فى سقارة "رقم ٢٦٧١٠".

وبعد فتلك هى المواد والأدوات التى استعملها المصريون القدماء فى الكتابة، وهى المقوم الثانى من مقومات صناعة الكتاب، أما المقوم الثالث وهو التراث الفكرى أو المعلومات التى كانت تسجل فسوف نتناولها فى العنصر التالى:

٣-النتاج الفكرى

يقصد بالنتاج الفكرى : المعلومات أو الرسالة الفكرية المحتواه فى الكتاب والتى أراد المؤلف أن يرسلها إلى القارىء. وهى الضلع الثالث فى مثلث تاريخ الكتاب. والحقيقة أن المصريين القدماء كان لهم تراث فكرى جيد إذا ما قورن بالحضارات المعاصرة لها بل والمتأخرة عنها نسبيا، فقد كتب المصريون فى الأدب والتاريخ والعلوم والرياضة والطب والفن والفلسفة والدين وغيرها من علوم ذلك العصر.

لقد اتصف أدب المصريين القدماء بالتنوع من حيث الشكل (نثر، شعر) والموضوع، فلقد عالج الكاتب كل نواحى الحياة تقريبا وكان الأدب المصرى

القديم – بحق – مرآة عصره، ولم يقتصر على الكتابات الدينية، بل صنفت أيضا الرسائل المختلفة الأغراض والقصص المختلفة الموضوعات. من ذلك : "قصة سنوهى" التى ترجع إلى أوائل الأسرة الثانية عشرة، وتمتاز بجمال الأسلوب وطلاوة العبارة، ولقد عاش بطل هذه القصة – سنوهى – فى الدولة الوسطى إبان حكم أمنمحات الأول (٢٠٠٠ – ١٩٧٠ ق.م) تقريبا وسنوسرت الأول (١٩٧٠-١٩٣٦ق.م) تقريبا وهى تمثل البساطة المادية، والوضوح، وعدم المبالغة، حيث يسرد الكاتب قصة كفاحه، كما يظهر تمجيده للملك سنوسرت الأول، وترجع أهمية القصة إلى ما بها من بواعث إنسانية، والحنين إلى الوطن، والرغبة الملحة فى أن يدفن كاتبها فى أرض مصر[٣٩]، وقد وجدت هذه القصة مكتوبة على لفافة طويلة من البردى، وهى محفوظة الآن بمتحف برلين بألمانيا.

ومن ذلك أيضا قصة "الملاح الغريق" وقد كتبت بالخط الهيراطيقى على لفافة بردى، وهى محفوظة الآن بمتحف للينجراد، وتعد من أجمل القصص المصرية القديمة موضوعا وخيالا، وهى من القصص النادرة التى وصلت إلينا كاملة، فقد جاء فى نهايتها ما نصه "لقد كتب هذا الكتاب من البداية إلى النهاية" وذلك على عادة الكتاب المصريين إذا انتهوا من كتابة نص، أو شعر، أو نثر، زيلوه بهذه العبارة – كما يقول سليم حسن – وتمتاز هذه القصة بأنها قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمى إلى أهداف سامية وتعبر عن آلام الراوى لغرق سفينة بركابها، وتسرد القصة مغامرة موظف مصرى سافر بتكليف من الفرعون إلى الأقاليم الجنوبية على رأس بعثة بحرية إلى مناجم الملك، ولم يوفق فى مهمته وعاد إلى مصر بعد سفر شاق غرق فيه مركبه وكل من كان معه،

---

(٣٩) سليم حسن . الأدب المصرى القديم.- ، القاهرة ، ١٩٤٥ ج١، ص ٣١-٣٢ ؛ حسن رجب. المرجع السابق، ص ١٣٣-١٣٤.

ولاقى فى سفره أشد المتاعب، ولما عاد – وقد كان يخشى مقابلة الملك – قص ما لاقاه على الملك،فرحب به وهدىء من روعه ورفعه إلى منزلة كبيرة(٤٠).

وهناك نوع من الأدب كان يأخذ شكل الشكوى من ذلك قصة الفلاح الفصيح، وهى ترجع إلى ما قبل الأسرة الثانية عشرة، وتتميز هذه القصة أنها لم تكتب للاستمتاع رغم ما يمتاز به أسلوبها من البراعة والتشويق، ولكن الهدف الرئيسى من كتابتها هو التمهيد لما يأتى بعدها من تسع مقالات أدبية، اهتم الكاتب بانتقاء عباراتها ومعانيها لصياغة شكواه.

وتروى القصة أن أحد سكان واحة الملح (وادى النطرون) اسمه خنوم أنوب أتى إلى وادى النيل ليبيع ثمار الواحة ويشترى حاجاته، فلما قارب العاصمة اعترضه شقى فنازعه وضربه واغتصب حميره وحمولته فلجأ الفلاح إلى أكبر موظفى الدولة الذى حدث العدوان بأرضه فتوسل إليه بتسع شكايات انتهت إلى إنصافه وثأر له ممن بغى عليه(٤١).

وفضلاً عن القصص، عرف المصريون القدماء أنواعاً أخرى من الأدب. منها أدب المراسلات والخطابات، والتعاليم، وأدب الرحلات، والشعر، وتحتفظ متاحف كل من برلين وليننجراد . واللوفر والمصرى بنماذج عديدة من مفردات هذه الأنواع مكتوبة على أوراق البردى.

ومن الموضوعات التى كتب المصريون القدماء فيها: **تسجيل الأحداث التاريخية**، فقد وصلت إلينا كشوف وقوائم أو مدونات؛ أرخت لبعض الملوك ولما سبقهم من عصور، والحقيقة أن التأريخ لملوك مصر الفراعنة قد بدأ بالتسجيل على بطاقات من العاج أو الخشب، ثم تحول إلى التفصيل والإسهاب على لوحات حجرية، وعلى جدران المقابر والمعابد ثم على أوراق البردى،

---

(٤٠) سليم حسن . المرجع السابق، ٤٧-٤٩.

(٤١) حسن رجب. المرجع السابق، ص ١٣٥ .

وكانت تستهدف هذه التسجيلات تخليد ذكرى الفراعنة ووصف ما قاموا به من جلائل الأعمال والأحداث التاريخية والسياسية، فضلا عن ما قدموه من قرابين للآلهة.

ومن أقدم هذه القوائم وأكثرها أمانة للرواية، وحسن ترتيب المعلومات والأحداث، تلك القطعة من الحجر المسماة "**حجر بالرمو**" نسبة إلى متحف بالرمو التى تستقر فيه، وهى عبارة عن قطعة من حجر الديوريت الأسود، طولها مترين، وارتفاعها ٧٠م٢ ، وقد أقامها الملك نى أورسر رع (٢٥١٦-٢٤٨٤ق.م تقريبا) سادس ملوك الأسرة الخامسة، واثبت على وجهها اسماء الملوك منذ فجر التاريخ حتى وقت تحريرها، وفترات حكمهم، وبعض ما وقع فى عهدهم من أحداث وما أقيم من منشآت[٤٢]. وقد تميزت بوضوح الكتابة ، ودقة الترتيب الزمنى وأمانة النقل[٤٣].

ومن أهم الكتب التاريخية القديمة بردية تورين، المحفوظة بمتحف تورين بإيطاليا، وهى ترجع إلى عهد رعمسيس الثانى، وقد كتبت بالهيروغليفية وتبدأ البردية بأسماء الآلهة الذين حكموا مصر، ثم تبعهم بأوصاف الآلهة اتباع حورس، ثم ملوك منف فملوك هيلوبوليس (عين شمس)، وتستمر فى ذكر الملوك وسنوات حكمهم حتى نهاية عصر فترة الاضمحلال الثانية (١٥٨٠ق.م) بما فى ذلك ملوك الهكسوس [٤٤].

وأما **الجغرافيا** فقد حظيت لدى المصريين القدماء بمكانة خاصة، فمعرفة المدن والمسافات ومساحات الأرض الصالحة للزراعة، وتوزيع الآلهة على البلاد، ومراكز الأماكن المقدسة، وتسجيل اسماء الأقاليم المصرية الإثنين

---

[٤٢] محمد جمال الدين مختار. تاريخ الحضارة المصرية .- ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٦.- ج١، ص ٨٧.

[٤٣] عبد العزيز صالح . حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة : ١٩٦٢ ج١، ص ٢٣٤ .

[٤٤] راجع : سليم حسن . مصر القديمة ج٢، ص ٣٥٦ .

والأربعين. كل ذلك كان من الأهمية معرفته والاهتمام به، من أمثلة ذلك : **لوحة المجاعة** التى تبدو أنها كانت أحد فصول كتاب شامل مخصص لجغرافية إقليم فيلة، فقد ورد فيها ما نصه "**والتماسنا للخلاص من المجاعة التى امتحنت بها البلاد سبع سنوات أرسل الملك كاهنا يسترشيد بمحفوظات الأشمونيين، فقدم إليه الكاهن بعد عودته تقريرا مفصلا لكل ما تمكن من معرفته فى منطقة الشلال حيث يوجد وصف لمنطقة فيلة، وتعداد لأسمائها الأسطورية، والنيل والفيضان، والاله خنوم وصفاته وألقابه، والمنطقة المجاورة، وبيان بالآلهة الموجودة فى معبد خنوم، وأسماء الحجار التى يمكن العثور عليها فى المنطقة**"[٤٥]. وعلى هذا نرجح أنه كان لكل إقليم سجل تفصيلى لجغرافيته ومحصولاته.

وقد عثر "بيترى" على بردية جغرافية من "تانيس"[٤٦]، وقسمها إلى ثلاثة عشر جزءا، منها قائمة باحتفالات عظيمة وبداية عام جديد، قائمة الأقاليم والعواصم وأسماء القارب المقدس والأشجار المقدسة وأنواع الأرض ومحتوياتها وبحيرة كل مدينة وتضاريسها.

ومن السجلات الجغرافية القديمة، ذلك البيان المسجل على معبد حورس بادفو، وهو يحتوى على وصف شامل للإقليم متضمنا:

- اسم الاقليم، اسم عاصمته، بيان مخلفاته.
- الإله والإلهة اللذان يعبدان فيه ومكان عبادتهما
- أسماء الكهنة العازفين
- القارب أو المركب المقدس، والقناة التى يجرى فيها

---

[٤٥] سمير أديب. مرحلة التعليم العالى فى مصر القديمة : دور الحياة. - القاهرة : العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٠. - ص ١٣١.

[٤٦] Griffith, F.L. Two Hierogl yphic Pepyeri from Tanis.- London, 1889, P. 1-3, 2122.

-الشجرة المقدسة التى تنمو على التل الظاهر

-تاريخ الأعياد الرئيسية

-المحرمات الدينية

-اسم الجزء من النيل الذى يشق الأقاليم

-الأراضى الزراعية

-الحدود سواء كانت بلاد أو مستنقعات[٤٧]

وهذه البيانات ما هى إلا رؤوس موضوعات لنصوص جغرافية كانت من مقتنيات مكتبة المعبد[٤٨]، وعلى كل حال نخلص من ذلك أن الجغرافيا كانت من الموضوعات التى تضمنها الإنتاج الفكرى المصرى إبان عصر الفراعنة.

وكتب المصريون القدماء أيضا فى العلوم الرياضية والفلكية، وعلى الرغم من أقدم وثيقة مكتوبة فى هذه العلوم وصلت إلينا ترجع إلى زمن الأسرة الثانية عشرة، إلا أنه من المؤكد أن المصرى القديم كان لديه معرفة بهذه العلوم من عهد الملك نعرمر أو مينا مؤسس الأسرة الأولى على أقل تقدير. فلاشك أن تصميم الأهرام وتشييدها يتطلبان دقة فى القياس لا يمكن الوصول إليها بغير معرفة واسعة بالعلوم الرياضية والهندسية، كما أن اعتماد الحياة فى مصر على ارتفاع النيل، وانخفاضه قد أدى إلى العناية بتسجيل ذلك وإلى حسابها حسابا دقيقا[٤٩].

أياما كان الأمر فقد وصلنا برديات كثيرة فى هذه العلوم ومن ذلك، بردية ترجع إلى أوائل القرن السادس عشر ق.م. كتبها الكاتب أحمس بالخط الهيراطيقى، وتحتوى على ستة تمارين رياضية، تناولت مساحة كل من

---

(٤٧) سمير أديب. المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٤٨) انظر ص٤٣ من الفصل الثالث عن مكتبة المعبد .

(٤٩) ديورانت. المرجع السابق، ص ١١٩ .

المستطيل، والدائرة، والمثلث، والهرم الناقص، وطريقة التقسيم المساحى مع الاستعانة بالأشكال التوضيحية[٥٠]، وتتضمن بردية "رند" مجموعة من الأمثلة النموذجية لمختلف المسائل الحسابية والهندسية، ويبلغ طولها حوالى ١٧ قدم، وتتضمن ٩٠مسألة، تغطى المعرفة الرياضية فى الدولة الوسطى، وقد سميت بردية "رند" نسبة إلى مكتشفها "هنرى رند" فى سنة ١٨٥٨م، ويحتفظ بها الآن فى المتحف البريطانى[٥١].

هذا عن الرياضيات، أما عن الفلك فلعل من الآثار التى تدل على عناية المصريين القدماء بدراسة الأجرام السماوية؛ صور البروج التى كانت تزين بها أسقف المعابد مثل معبد دندرة[٥٢]، والنقوش التى وجدت على جدرانه لبيان المواقيت وساعات الليل والنهار، ومسار الشمس بين النجوم[٥٣]، كما وجدت فى منف حوالى سنة ٣٥٠٠ ق.م. خريطة للسماء أعدت بشكل خاص لتوضح مواضع النجوم الرئيسية. ومن أهم البرديات الفلكية التى وصلت إلينا بردية اللاهون، وبردية كالسبيرج، وبردية ساليبه الرابعة. وجميعها تتحدث عن التقويم بالأيام والشهور والسنوات[٥٤].

على أن أبرز العلوم تقدما فى مصر القديمة؛ كان بحق **"علم الطب والتشريح"** فقد كان يمارس الطب فى مصر أطباء عظام وجراحون وإخصائيون وقد ساروا فى صناعتهم على قانون أخلاقى ظل يتوارث جيلاً بعد جيل، حتى وصل إلى القسم المعروف بقسم (أبقراط)، وكان هناك تخصص فى العمل،

---

(٥٠) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ج١، ص ٥٩٤ .

(٥١) نجيب ميخائيل. المرجع السابق، ص ٤٩٠.

(٥٢) معبد دندرة : يقع على بعد ٦٠كم شمال الأقصر، ويعود إلى نهاية العصر البطلمى وقد كرس لعبادة ربة السماء حتحور سيدة السعادة: للمزيد : انظر معجم الحضارة المصرية القديمة. المرجع السابق، ص ١٥٧ .

(٥٣) عبد الحميد سماحة. تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى، القاهرة ، ص ٥٧٩ .

(٥٤) سليم حسن . المرجع السابق ، ص ٦٣٨-٦٤١ .

فمنهم الإخصائيون فى التوليد. وفى أمراض النساء ومنهم من لم يعالج إلا الاضرابات المعدية ومنهم أطباء العيون وتؤكد الوثائق التى ترجع إلى ذلك العصر على وجود العديد من الأمراض التى برع المصريون فى علاجها مثل تدرن النخاع الشوكى. وتصلب الشرايين. والحصوات الصفراوية والجدرى وشلل الأطفال وفقر الدم والتهاب المفاصل. والصرع والنقرس والتهاب الزائدة الدودية(٥٥).

وقد وصلتنا برديات كثيرة تتحدث عن الطب والأمراض وطرق علاجها والأدوية اللازمة لذلك منها على سبيل المثال بردية (أدوين – سميث) ، وهى عبارة عن لفافة طولها خمسة عشر قدما، ويرجع تاريخها إلى عام ١٦٠٠ ق.م تقريبا وتصف ثمان وأربعين حالة من حالات الجراحة التطبيقية تختلف من كسر الجمجمة إلى إصابة النخاع الشوكى وكل حالة منها مبحوثة بحثا دقيقاً فى نظام منطقى من تشخيصها وفحصها وطريقة علاجها ثم تعليقات على المصطلحات العلمية الواردة فيها، ويشير كاتب البردية إلى حقيقة لم تعرف فى المؤلفات الطبية قبل القرن الثامن عشر الميلادى وهى أن المخ هو المركز المسيطر على أطراف الجسم(٥٦).

ومن ذلك أيضا بردية إيبرس وهى ترجع إلى نفس عهد البردية السابقة، وقد وصلت كاملة دون تشويه وهى تتناول وصفاً للطب الباطنى والقلب والأوعية، ووظائف الأعضاء، كما تشمل على باب مطول فى الأورام وذلك فضلا عن ثبت بأسماء سبعمائة دواء لكل الأمراض المعروفة لديهم، لاسيما أمراض البطن والجلد والعين. والجروح والحريق. وأمراض الأطراف(٥٧).

---

(٥٥) ديورانت. المرجع السابق ، ص ١٢٤-١٢٥ .

(٥٦) المرجع السابق والصفحة.

(٥٧) بول غليونجى، زينب الدواخلى. الحضارة الطبية فى مصر القديمة.- القاهرة : ١٩٦٥ ، ص ٧٠٦. انظر لوحة رقم ٣

ومن أقدم البرديات الطبية أيضاً "بردية كاهون" وهى تصف سبعمائةوعشرة تشخيص من أمراض النساء والتوليد، وتصف أقماع اللبوس لمنع الحمل. ويبلغ طولها متراً وعرضها ٣٢,٥ سم، وتتكون من ثلاث صفحات وتبدأ الحديث عن المرض بذكره ثم أعراضه ثم التشخيص ثم العلاج، والعقاقير الموصوفة مثل البيرة واللبن البقرى، والملح، والأعشاب والبخور إلى جانب الأدوية. ولم يصف الكاتب سموماً فى علاجه(٥٨).

وكما كان للمصريين القدماء باع طويل فى الآداب والعلوم والتاريخ والطب، كان لهم أيضاً إسهامات جيدة فى مجال الحكمة والفلسفة الأخلاقية. لدرجة أن حكمة المصريين كانت مضرب المثل عند اليونانيين الذين كانوا يعتقدون أنهم- كما يقول ديورانت – أطفال بالقياس إلى هذا الشعب العظيم(٥٩).

ومن أقدم ما لدينا من مؤلفات فى هذا الجانب "تعاليم بتاح حوتب" وهى ترجع إلى حوالى ٢٨٠٠ ق. م. وكان بتاح حوتب هذا كبير وزراء الملك "جد-كا-رع-اسيسى" من ملوك الأسرة الخامسة. وقد وجدت النسخة الكاملة من هذه النصائح مدونة فى بردية تسمى بردية بريس Prisse وترجع إلى الأسرة الثانية عشرة وهى محفوظة فى متحف اللوفر، ومما ورد فى هذه البردية من نصائح ومواعظ توضح علاقة الزوج بزوجته مؤكداً على حسن المعاملة بينهما، كما تشير بعضها إلى إرشاد التلاميذ وغيرهم من الذين يعدون لتولى المناصب الكبرى فى الدولة إلى الأخلاق الحسنة(٦٠).

ومن هذه التعاليم أيضاً مجموعة تعاليم امنؤيى التى عنونها بما نصه "تعاليم لتفتيح الذهن وتهذيب الجاهل، ومعرفة كل الكائنات التى نقلها بتاح وسجلها

---

(٥٨) حسن كمال. الطب المصرى القديم .- القاهرة، ١٩٦٤ .- ص ٦٤٨-٦٤٩ .

(٥٩) ديورانت. المرجع السابق، ص ١٤٩ .

(٦٠) حسن رجب. المرجع السابق، ص ١٢٩، ديوارنت. المرجع السابق، ص ١٤٩.

تحوتى"[٦١]. ومن ذلك برديتا لندن وليدن فهما يشتملان على مجموعة كبيرة من الحكم الفلسفية السامية، ومما جاء فى البردية الأخيرة ما نصه " ليست سعادة الإنسان فى تغذية جسمه، بل فى تغذية روحه، الرجل الصالح يتذكر دائماً آخرته، لا تصاحب الشرير ولا تعامله، الصاحب تعرفه عند الشدة"[٦٢].

وأما الدين فقد كان أساس كل شىء فى مصر الفرعونية، لذلك كثرت النصوص الدينية، إما لغرض التعبد أو التعليم أو التبرك. ولعل من أهم الكتابات الدينية التى وصلت إلينا ما يعرف "بكتاب الموتى" الذى يرجع إلى الدولة الحديثة. وهو عبارة عن نصوص كانت تكتب على ورق البردى وتوضع إلى جانب المتوفى فى قبره داخل صندوق، أو تلف بين طيات أربطة المومياء، وكانت فى معظمها مجموعة من التعاويذ والتى يعتقد أن لها قوة سحرية تمهد الطريق للعالم الآخر وتجعل إقامة المتوفى هناك أمراً ميسراً. فهو لم يكن كتاباً مقدساً مصرياً كما تخيل البعض- أى أنه لم يكن كتاباً يتضمن مبادىء فلسفية، وإنما كان مجموعة من الرقى مكملة برسوم تدعم قوتها الفعالة، وإن قراءة هذه الرقى والتراتيل" أو حتى مجرد وجودها مكتوبة بجانب الميت يمكن أن تمنحه حياة سعيدة إلى الأبد"[٦٣].

ولم يكن لكتاب الموتى صيغة واحدة، ولكن كان يشتمل على عدة موضوعات تختلف باختلاف الزمان والمكان، فبعضها كان يتضمن إضافة إلى ما سبق أوصاف مراسم الاحتفال بجنازة الميت، وقد تشمل صيغ التوبة وصلوات ودعوات وتمنيات للميت، كان يرددها الكاهن وأقارب المتوفى عند الاحتفال بجنازته مثل "لتبعث من جديد وتؤله". وقد تتضمن نسخ أخرى صوراً من الحياة الآخرة وما فيها من حساب ومخاطر[٦٤].

---

(٦١) عبد العزيز صالح. التربية والتعليم فى مصر القديمة.- ص ٤٠-٤١.

(٦٢) حسن رجب. المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٦٣) معجم الحضارة المصرية القديمة .- المرجع السابق، ص ٢٨١-٢٨٢ .

(٦٤) المرجع السابق. والصفحات؛ شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٣٠-٣١ .

هذا ولم يكن كتاب الموتى كتاباً له بداية ونهاية وذا أجزاء مختلفة تتبع بنظام متدرج منطقى، ولكنه كان مجموعة من الأجزاء المتداخلة ذات الشكل المستقل، وكتاب الموتى مقسم إلى فصول تختلف فى الطول، ولكن بصفة عامة كان فصل يتكون من عنوان ونص. ومثال هذه العناوين "فصل الخروج من النهار والحياة مرة أخرى بعد الموت"، "فصل الدخول والخروج من العالم السفلى"، "فصل شرب المياه" ، "فصل فتح الفم" ، "فصل إعطاء القلب إلى المتوفى" والمقصود بالعنوان فى هذا السياق هو : الكلمات التى يتفوه بها المتوفى فى المناسبة الطويلة.

وعلى الرغم من أن بدايات كتاب الموتى ترجع إلى الدولة القديمة إلا أنه لم يصبح استخدامه ظاهرة عامة إلا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها، حيث كانت بعض النصوص منه تكتب على جدران الحجرات الداخلية لعدد من مقابر (أهرامات) الملوك والملكات فى نهاية عصر الدولة القديمة والذى عرف بنصوص الأهرام، واستمر الأمر كذلك خلال الدولة الوسطى حيث دونت هذه النصوص على جدران التوابيت مما عرف بنصوص التوابيت. ولم يصلنا نص منها على ورق بردى إلا من الدولة الحديثة. وهى النسخة التى وجدت مع موميا الميت الخاصة بأبيويا Iuya من الأسرة الثامنة عشرة ويبدو أنها نسخة كاملة حيث وجدت فى نهايتها ما نصه "لقد انتهى الكتاب من بدايته إلى نهايته كما وجد مكتوباً بعد نسخه ومراجعته ومقارنته وتحقيقه علامة علامة[٦٥].

ولقد كان استخدام كتابة الموتى فى الأسرة الثامنة عشرة بسيطاً واقتصادياً ولكن فى العصور المتأخرة تزايدت الأولوان والزينة، وقد كان هناك نموذج من كتاب الموتى يحتفظ به لدى بائعى الكتب حيث كانت تجارته رابحة، فكان الكاتب يترك مسافة فارغة لاسم المتوفى، ويتضح ذلك عند ملاحظة أن

---

[٦٥] حسن رجب . المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨ ؛ Cerny.J. op.cit.,P.25-26.

اسم المتوفى كان يكتب بشكل أسرع أو مختلف عن خط النص الأصلى، وبصفة عامة كان النص يكتب أولاً ثم تضاف التصويرات والزخارف فيما بعد(٦٦).

وعلى أية حال فقد تعددت موضوعات التراث الفكرى للمصريين القدماء ما بين علم، وآداب، ورياضيات، وفلك، وطب، ودين، وعمارة، وفنون، وغيرها وكان لهم فضل السبق فى وضع أسس هذه العلوم.

ولكى تكتمل صورة الكتاب فى مصر القديمة لابد لنا من وقفة نتعرف منها على الكاتب الذى كان له الفضل فى تدوين هذا التراث وحفظه، والطرق التى كان يستخدمها فى التدوين، وآداب هذه المهنة، وذلك ما سنتناوله بالتفصيل فى الصفحات التالية.

٤-الكاتب المصرى القديم.

وكان نتيجة ازدهار حركة الكتابة فى مصر القديمة أن وجدت طبقة فى المجتمع المصرى تعرف بطبقة الكتاب، تمارس كتابة الكتب والرسائل، فهم أشبه بطبقة الناسخين أو الوراقين فى العصور الوسطى، أو الطابعين فى عصر الطباعة، غير أن كلمة كاتب كانت تطلق على من استعمل القلم من المدنيين أو الكهنة ومساعديهم، وذلك لتدوين سجلات عمل ما أو لتسجيل النصوص الدينية أو لإنتاج نسخ كتب الحكمة، أو لقيد الحسابات أو المساحات، فضلاً عن نسخ وتسجيل رسائل العلوم وكتبها، ومن ثم كانت هذه الطائفة أساس الدولة وعماد المجتمع، وهم الذين شكلوا الفكر المصرى واحتفظوا لنا به منذ الألف سنة الثالثة قبل الميلاد.

لكل هذا، ونظراً لأن نظام الدواوين الحكومية والإدارة فى مصر قد اعتمدت على السجلات؛ كان الكاتب فى قومه سيداً، وكان هو يعلم هذه الحقيقة وكثيراً ما كررها فى سجلاته من البردى، من ذلك ما نصه "إن الكاتب هو الذى

---

(٦٦) Ibid P.24 .

يفرض الضرائب على مصر العليا، ومصر السفلى، وهو الذى يجمعها، إنه هو الذى يمسك حساب كل شىء، وتعتمد عليه جميع الجيوش، إنه وهو الذى يأمر جميع المملكة، وكل شىء تحت إدارته"[٦٧].

لذلك حظى الكاتب فى مصر الفرعونية بامتيازات عديدة، منها : إعفائه من الضرائب وارتفاع دخله المادى، وإغداق الحكام عليه بالعطايا والأموال، وتقريبه إلى مجالسهم، واستشارته فى جميع أمور الدولة، وتعينه فى المناصب العليا. ومما يؤكد ذلك هذه النصوص التى دائماً ما كان الكُتّاب يعددوها فى برردياتهم ومنها:

"إن مهنتك مريحة أكثر من أية مهنة أخرى، فهى تعفيك من العمل، وتحميك من كل عمل، وتنقذك من حمل كل فأس ومعزقة، لا يتحتم عليك أن تحمل سلة، لا تحتاج إلى أن تمسك مجدافاً، وتتحاشى المتاعب، لا تكون تحت إمرة كثيرة من السادة، أو جمع من الرؤساء، لأن الكاتب رئيس كل ذى مهنة". كن كاتباً كى تصير أعضاؤك ناعمة ويداك رخصتين وتسير فى ثياب بيضاء فيعجب بك الناس، ويحميك رجال البلاط وتنادى شخصاً فيلبى نداؤك الألوف، وتسير حراً فى الطريق"[٦٨].

وفى نصوص أخرى نجد بعض النصائح التى كان يزجيها الأب لولده، والمعلم لتلميذه، لتشجيعه على طلب العلم والدراسة. فمن ذلك ما نصه.

"وجه وجهك لتصبح كاتباً، ولتصبح المرتبة الطيبة من نصيبك، وحينئذ إذا ناديت واحداً لباك ألف، وحتى تبدو طليقاً على الطريق، ولا تغدو كفحل المبادلة"، ". . . إعمل على أن تصبح كاتباً فذلك يعفيك من

---

(٦٧) معجم الحضارة المصرية القديمة . المرجع السابق، ص ٢٨٠ .

(٦٨) المرجع السابق والصفحة.

الكد أو التكاليف وتتقى كل عمل يدوى . . .، وحتى لا تصبح خاضعاً لموالى كثيرين أو خاضعاً لرؤساء عديدين"، "إن كاتباً واحداً لأعز قيمة من بيت الباني، ومن مقصورة في الغرب، وإنه لأجمل من قصر شيد، ومن نصب تذكارى فى معبد"[٦٩].

وذلك لأن كتبهم قامت مقام القصور والأهرامات فى ترديد أسمائهم وتذكير الناس بهم.

وقد يكون السبب الحقيقى لإعجاب الكاتب بنفسه وفخره بمهنته هذا الإعجاب الذى يصل إلى حد الغرور هو أنه كان يعرف القراءة والكتابة فى دولة أُمية، وأنه كان قد نال قسطاً وافراً من العلوم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد يكون السبب مكانة الكتب الرفيعة عند المصريين القدماء والتى انعكست بطبيعة الحال على المشتغلين بصناعتها.

وعلى كل حال، ومع تقدم الزمن ظهر نوع من التخصص فى الكتابة فإلى جانب الكتاب الكهنة أو الكتاب الدينيين كان هناك الكتاب الرسميون الذين يكتبون أمور الدولة، ويحررون سجلاتها، وكان هناك من يكتب ما بين الناس. وهناك من تخصص فى تدوين "كتاب الموتى" وبيعها على نحو ما أشرنا إليه سلفاً. هذا فضلاً عن كُتَّاب الملوك والحكماء، وكان هناك قليل من عامة الشعب من يكتب لنفسه ويسجل ما يريد من نصوص دينية وعلمانية فضلاً عن أمور حياتهم الدنيوية.

وهذا التخصيص فى حد ذاته دليل على انتشار الكتاب، وكثرة عدد طائفة الكتاب فى ذلك الحين.

وكما كان لكل مهنة فى مصر القديمة آدابها وأخلاقياتها، كان على الكاتب المصرى أن يتحلى ببعض المبادىء السامية لعل من أهمها : التواضع

---

[٦٩] سمير أديب. المرجع السابق، ص ١٤،١١،٩.

واللين والرفق. فقد ورد فى إحدى البرديات المحفوظة فى المتحف البريطانى ما نصه "إن الشخص ذا المهارة يعرفه الناس، ويترقى خطوة خطوة بما يتوافق مع شخصيته . . . احترم الآخرين حتى تكون محترماً . . . حب الرجال حتى يحبونك. لا تتكلم كثيراً، لا تمشِ مختالاً عندما يعرف اسمك . . . قف مع الآخرين . . . لا تكن عصبياً حتى تجد موطىء قدمك فليس هناك من هو مثلك فى خبرتك بالكتابة."(٧٠)

والحقيقة أن المصريين القدماء قد اهتموا بإعداد الكاتب وتعليمه، وغالباً ما كان يمر هذا الإعداد بعدة مراحل، ذكرها عبد العزيز صالح(٧١) على النحو التالى :

-المرحلة المنزلية حيث يقوم بعض الآباء المثقفين فى تعليم أبنائهم.
-المرحلة الأولية وتتم فى مدرسة متواضعة ملحقة بمعبد.
-مرحلة جامعية متقدمة كان يحضرها التلاميذ فى مدارس نظامية.
-مرحلة تطبيقية وقد دلت عليها تمارين من عصر الرعامسة على أنهم كانوا يحضرونها فى مكاتب الإدارات الحكومية المختلفة.
-منهاج تربوى تثقيفى تعهدت به قصور الملوك والأمراء وأبناء الخاصة.
-ثقافة عالية تعهدتها دور الحياة وهى مدارس التعليم الأكاديمية العالية.
-بالإضافة إلى الثقافات والمذاهب الفكرية التى كان يحصل عليها الكاتب نتيجة الاطلاع الحر على ما تحتويه مكتبات المدن والمعابد.

ومن الجدير بالإشارة هنا أن إعداد الكاتب وتعليمه، ومن ثم ممارسة المهنة لم يكن وقفاً على الرجال فى مصر القديمة دون النساء، فهناك أمثلة عديدة

---

(٧٠) سليم حسن . الأدب المصرى القديم، ص ١٨ .

(٧١) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٤٧؛ وانظر أيضاً: أرمان ، أدولف، وهرمان رانكة.- مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة | ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحرم كمال .- القاهرة ، ١٩٥٣، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

تدل على أن بعض النساء كن كاتبات، ولهن ألقاب مثل "كاتبة الرسائل الملكية"، ومن الرسائل التي ترجع إلى عصر الرعامسة رسالة وجهتها إحدى سيدات الحريم الملكي بالفيوم إلى الملك سيتي الثاني تخبره فيها بنجاحها في تثقيف وتدريب جماعة من الفتيات الأجانب عهد بهن إليها، ولاشك أنه لو لم تكن هذه السيدة على شيء من العلم، ومن المكانة العلمية لما وجهت رسالتها للملك، ولما عهد إليها بتثقيف وتعليم أولئك الفتيات[٧٢].

ونظراً لهذا الدور الحضاري الذي كان يقوم به الكاتب، وضع الشعب المصري أصحاب هذه المهنة في المكانة الأولى من صفوف المجتمع، وإحاطتهم بجو من الاحترام والتقدير ومما يدل على ذلك ما جاء في إحدى البرديات ما نصه "**أما الكتبة المتعلمون فإن أسماءهم أصبحت خالدة للأبد، بالرغم من أنهم قد رحلوا... فلم يصنعوا لأنفسهم أهرامات من المعادن أو شواهد قبور من الحديد لكي تذكر أسماءهم، لكنهم تركوا لهم ورثة في الكتابات وكتب الحكمة، فكتب الحكمة هي أهرامهم، والعلم ابنهم . . . وإذا كانوا قد رحلوا فإن أسماءهم وسيرتهم ما زالت تذكر في كتبهم وسوف تبقى ذكراهم إلى الأبد.**"[٧٣]

وليس أدل على صدق هذه المقولة من أننا لازلنا نذكر هؤلاء العظماء رغم مرور قرون عديدة على رحيلهم.

ونجد في نص آخر تأكيداً على هذه المكانة، حيث ذكر ما نصه "المرء يتحلل وجسمه يصير تراباً، وتنخفض عشيرته جميعاً ولكن كتاباً واحداً يخلد ذكره من خلال فم مرتله وقارئه."[٧٤]

---

[٧٢] عبد العزيز صالح .- المرجع السابق ، ص ١٩١ .

[٧٣] Cerny.J. op.cit. P.39.

[٧٤] شعبان خليفة، المرجع السابق، ص ٣٥ .

وكان الكاتب المصرى القديم يكتب إما واقفاً منتصباً أو جالساً القرفصاء وهى ما تعرف بالجلسة الشرقية، أو جالساً متربعاً أو على رجليه، وكان يقتصر الوضع الأول على الحالات التى يقوم فيها الكاتب بتدوين قطعة صغيرة من البردى، بحيث كان يمسك أعلى الورقة بأصابع يده اليسرى حاملاً أسفلها فوق ذراعه اليسرى ويكتب عليها بيده اليمنى، وفى حالة تدوين لفائف طويلة من البردى، كان يجلس الكاتب المصرى جلسة القرفصاء أو متربعاً وقد استند جزعه على الأرض وأمامه رجلاه متربعتان وهو الوضع الذى نشاهده فى أغلب تماثيل الكاتب المصرى، ومن أشهرهم "أمنحوتب بن حابو" ، "حور محب" فى عصر الدولة الحديثة . ولعل الوضع الأكثر انتشاراً فى الرسوم التى تصور الكاتب جالساً فوق رجليه الممتدتين تحته. وقد كان يستدعى جلوس الكاتب شد إزاره- الشنديت- حول ركبتيه مما يساعد على استقرار لفافة البردى عليها، وهو يحمل بيده اليسرى اللفافة التى يفردها لطول معين ثم يكتب بعد ذلك بيده اليمنى، وعند الانتهاء من كتابة هذا الجزء يقوم بفك جزء آخر من اللفافة تاركاً الطرف الأيمن ثم كتابته من اللفافة ينحدر بجواره على الأرض، وهكذا حتى ينتهى من كتابة البردية كلها(٧٥). وغالباً ما كان يضع أدوات الكتابة من اللوحة والدواة والمداد بجانبه، أما القلم فكان مكانه المفضل دائماً خلف أذن الكاتب.

وقد ذكر عبد العزيز صالح وضعاً آخر لجلسة الكاتب المصرى، وذلك عند معرض حديثه عن إحدى دور التعليم الجماعية، حيث ذكر إنه فى قاعاتها الرئيسية التى توزعت فيها عشر مناضد اجتمع عشرة كتبة ورئيسهم يجلسون على مقاعد مرتفعة، ويضع كل منهم طرف برديته على منضدة أمامه، ويدلى

---

(٧٥) Cerny .J. op.cit., P.14.

ببقيتها تجاهه إلى أسفل، وذلك على خلاف المعتاد فى تصوير الكتبة المصريون على الأرض.(٧٦)

وأيا ما كان الأمر وبفضل هؤلاء الكتاب ترك المصريون القدماء تراثاً زاخراً يمثل حياتهم أصدق تمثيل ويؤكد أنهم كانوا أول من وضع الأساس في بناء الفكر الإنسانى.

٥-الملامح المادية والببليوجرافية للكتاب المصرى

وبعد أن انتهينا من بحث العناصر الأساسية لصناعة الكتاب المصرى القديم وانتاجه فإن ثمة تساؤل عن الملامح الببليوجرافية للكتاب المصرى القديم، أو بعبارة أخرى: ما هو النظام الذى كان المصريون القدماء يتبعونه فى ترتيب الحقائق والمعلومات فى لفائفهم البردية. إن الإجابة عن هذا السؤال ليست بالهينة نظراً لعدم توافر نماذج عديدة ومتباينة من لفائف البردى، ولكن حسبنا فى ضوء ما توافر لدينا من معلومات فى المصادر، وما تحت أيدينا من برديات-فى المتحف المصرى بالقاهرة – أن نرسم صورة للملامح الببليوجرافية للكتاب المصرى القديم.

١/٥ - الشكل العام للكتاب المصرى القديم

كان الكتاب المصرى المصنوع من البردى على شكل درج أو لفافة، وإذا ما أريد قراءته، كان لابد من طرح اللفافة وفردها حتى تظهر الكتابة تدريجياً، وتتم عملية الفرد إلى اليسار، وجرت العادة ألا تكون السطور بطول اللفافة، ولكن كانت اللفافة تقسم إلى أعمدة أو صفحات تتكون من سطور، وهكذا كان الكتاب يقسم إلى أقسام تشبه الصفحات وتظهر للقارىء كلما فرد اللفافة

---

(٧٦) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٤٤ . وللمزيد عن الكتبة فى مصر القديمة : فئاتهم وإعدادهم ووظائفهم ودورهم فى المجتمع المصرى، انظر على سبيل المثال. فايزة محمود صقر. الكتبة فى مصر القديمة | إشراف نجيب ميخائيل، رسالة ماجستير، آداب الأسكندرية، ١٩٨٤.

ناحية اليسار. وفى مكتبة جامعة ليبزج بردية طولها عشرون متراً وتحتوى على مائة وعشر صفحات كتبت بداية النص عليها من جهة اليمين وتتابع الصفحات من اليمين إلى اليسار.[٧٧]

وقد اعتاد الكاتب المصرى القديم أن يكتب فى ورق البردى على الجانب الذى صنعت فيه الألياف أو الشرائح أفقياً وهو المسمى بوجه الورقة Recto، أما الجانب الآخر الذى تصف فيه الشرائح رأسية والمسمى ظهر الورقة Verso فقد كان نادراً ما يستخدم فى الكتابة، ولو استخدم فإن ذلك لتكملة النص الذى انتهى تسجيله فى وجه الورقة، ومع ذلك فقد كان هناك استثناءات حيث وصل إلينا عدد من الرسائل التى ترجع إلى عهد الدولة الحديثة تبدأ الكتابة فيها من ظهر الورقة مثل (بردية هاريس ٥٠٠)[٧٨].

ولعل نقطة الضعف الوحيدة فى طريقة الكتابة على الظهر هى أن سطور هذه الكتابة تتعرض للتشويه بسبب حركة يد الكاتب من أسفل الصفحة لأعلاها قبل جفاف الحبر تماماً[٧٩]، لذلك لجأ الكاتب المصرى للكتابة على وجه الورقة حيث السطور الأفقية التى تتوازى مع الشرائح.

وكان الوضع الطبيعى أن يبدأ الكاتب بالجزء الداخلى للفافة حيث هو المكان الذى يؤمن كتابته، ويحافظ عليها. فضلاً عن تعرضه لأقل نسبة من التلف.

وبعد أن يفرغ الكاتب من تدوين لفافته أو قراءتها كان يقوم بطيها وذلك بإعادة لفها بحيث يجعل نهاية اللفافة فى الجزء الداخلى منها[٨٠]، وبذلك تكون

---

(٧٧) سفزودال. المرجع السابق، ص ١٤ وراجع أيضاً. محمد ماهر حمادة. المرجع السابق، ص ٦٣.

(٧٨) حسن رجب. المرجع السابق، ص ٨٤.

(٧٩) المصدر السابق والصفحة.

(٨٠) Cerny.J. op.cit., P.8.

اللفافة جاهزة للتداول من قبل القارىء الجديد، والذى يبدأ اللفافة من أقصى اليمين.

٢/٥ –إعادة استعمال اللفافة

كثيراً ما كان الكاتب يستعمل البردية فى إعادة الكتابة عليها بعد الإستغناء عن النص القديم المدون عليها بكتابة نصوص جديدة، وذلك إذا كانت اللفافة قد تم الكتابة عليها من الجانبين، فقد كان يزيل النص القديم من أحد جانبى اللفافة أو من كليهما، ثم يكتب من جديد، ويطلق على هذه العملية اسم المسيحة **Palimpsest**. وكانت تتم عملية الإزالة عن طريق غسل البردية أو مسحها بقطعة من القماش المبتلة بالماء، وفى كل الأحوال كانت تنقصها جودة الإزالة وتبقى آثار الكتابة السابقة بحيث يمكن مشاهدتها(٨١)، ومن أمثلة ذلك بردية هاريس (٥٠٠) فقد تحصل الكاتب على أوراق مكتوبة من البردى ثم غسل ما عليها من المداد وكتب على أحد وجهيها ثلاث مجاميع من الأغانى والأناشيد(٨٢).

وقد انتشرت هذه الظاهرة فى عصر الفراعنة لاسيما فى إبان حكم الرعامسة ويعزى أحد المؤرخين المحدثين ذلك إلى ارتفاع ثمن ورق البردى، ومن ثم لجأ كثير من القدماء إلى استخدام اللخاف لكتابة النصوص القصيرة(٨٣).

والحقيقة أنه لم يكن هذا هو السبب فى غسيل أوراق البردى وإعادة الكتابة عليها فلم يكن ورق البردى مرتفع السعر فى العصر الفرعونى، ولكن على العكس تماماً فقد كانت هذه المادة منتشرة ومتوفرة بكثرة وفى كل مكان، والأكثر من هذا كان أى إنسان فى مصر يستطيع صناعة ورق البردى فى بيته،

---

(٨١) Ibid. P. 8.

وراجع. حسن رجب. المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٨٢) Ibid. P. 70.

(٨٣) حسن رجب. المرجع السابق، نفس الصفحات.

لاسيما وأن المادة الخام. وهى نبات البردى كانت تنمو طبيعياً علـــى أطـراف المستنقعات فى وادى النيل ، ولكن السبب فى انتشار هذه الظاهرة فيما نعتقد أنه كان هناك غرض آخر لعملية غسل الورق وهى اعتقاد المصرى القديم بوجـود قوة سحرية للكلمة المكتوبة، ولأغراض الاحتفاظ بهذه القوة السحرية للمعرفـــة لنفسه دون غيره، كان عليه أن يقوم بغسل اللفافة المكتوبة فى الجعة، ثم يقـــوم بشرب الجعة حتى يحتفظ لنفسه بما فيها من علم ومعرفة. من ذلك أنـــه عندمـا امتلك الأمير "تا نفركا بتاح" "كتاب تحوت" قام بعمل نسخة مـــن الكتـــاب كلـــه وغسل الحبر فى الجعة ثم شربه" وبذلك عرف كل شيء مكتوبـــاً فـــى كتـــاب تحوت، كما تقول الأسطورة[٨٤].

٣/٥ – حجم الكتاب والمسطرة والترقيم.

يلاحظ فيما بقى لنا من أوراق البردى أنه لم يكن هناك حجم واحد لهذه الأوراق، ولكن اختلفت أحجام الكتب طولاً وعرضاً على اختلاف عصور مصر الفرعونية، ولكن نستطيع أن نؤكد على وجود أحجام كانت شائعة الاستخدام من ذلك : الورق الكبير ذو حجم لا يتجاوز عرضه ٤٧سم، وكان هذا النوع يستخدم عادة فى المكاتبات الإدارية وتسجيل الموضوعات القضائية. وبعض الأعمـــال الحسابية، ولم تظهر هذه النوعية من الورق إلا فى عصر الدولة الحديثـــة، ولا شك أن هذه الأوراق تتلائم وطريقة الكتابة الرأسية الخاصة بـــهذا النـــوع مـــن الموضوعات بما تحويه من أسماء وأشكال وأرقام مع وضع مجموعها فى أسفل الصفحة، أما البرديات المتبقية من الدولة الوسطى فينحصر طولـــها مـــا بيـــن ٢٩،٣٣سم وهو الحجم الأكثر ملائمة للنصوص الأدبية التى يقتضى تداولـــها فتحها ثم إعادة لفها عدة مرات، من ذلك بردية قصة سنوهى، والفلاح الفصيـــح السابق الحديث عنها.

---

(٨٤) Baikie, J.Egyptian papyri and papyrus Hunting.- London, 1952.p 12-20.

وأما البرديات التى تخلفت لنا من الدولة القديمة فيتراوح طولها ما بين ٢٨،٢١سم. من ذلك بردية بولاق رقم (٨) وبردية برلين رقم (٩٠١٠) وهى وثيقة قضائية، ويبلغ طول الأولى ٣٢ سم والثانية ٢٣,٥سم[٨٥]

أما عن عدد السطور الأفقية للورقة فى كل عمود أو نهر رأسى، فقد كان يتوقف بطبيعة الحال على طول اللفافة المطلوب الكتابة عليها، وكان يختلف هذا العدد من عمود لآخر فى اللفافة الواحدة.

من ذلك نجد عدد الأسطر فى بردية برلين رقم (٣٠٢٣) والخاصة بقصة الفلاح الفصيح، يتراوح ما بين ٨ إلى ١٤ سطراً فى العمود الواحد علماً بأن طولها ١٦ سم؛ وفى بردية برلين أيضاً رقم (٣٠٢٢) وهى قصة سنوهى وارتفاعها أيضاً ١٦ سم، نجد عدد الأسطر يتراوح ما بين ١٣ ، ١٧ سطراً فى سبعة أعمدة فقط، أما بقية الأعمدة فتقل عدد أسطرها لتصل إلى ثمانية أسطر[٨٦]. ومن ذلك بردية ايبرس والتى بلغ عدد سطور الصفحة فيها عشرين سطراً[٨٧]، ولأن لفافة البردى كانت غالباً مكونة من عدة برديات، وقد وصلت ببعضها عن طريق لصق الصفحات ليكون لفافة، لذلك لم يهتم الكاتب المصرى بترقيم صفحاتها على نحو النظام المتبع فى الكتاب الحالى الذى يأخذ شكل كراس Codex، حيث لم يكن هناك -فيما نعتقد- ثمة مبرر للترقيم من اختلاط الصفحات، وتقديم بعضها وتأخير الآخر وذلك لتعذر انفصالها، ولم تصل إلينا برديات تم ترقيم صفحاتها إلا برديتين هما: بردية ايبرس الطبية وقد رقمت صفحاتها من ١-١١٠ صفحة، وبردية أخرى ترجع إلى العصر البطلمى تحوى قصصاً عن كهنة منف العظام وهى مكتوبة بالقلم الديموطيقى، وإن كنا نرجح أن

---

(٨٥) Cerny. op.cit., P. 14, 17-20.

(٨٦) حسن رجب. المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩؛ Ibid . P. 20-21.

(٨٧) انظر لوحة رقم (٣)

عملية الترقيم فى البردية الأولى جاءت متأخرة عن عصر تدوين البردية وذلك لاختلاف شكل الرموز بين النص والترقيم فى درجة سواد المداد. وأنها تم ترقيمها فى العصر البطلمى وذلك حين "**بدأت ظاهرة التعقيبات والترقيم تأخذ طريقها إلى المخطوطات فى العصر اليونانى**"(٨٨).

٤/٥- العنوان واسم المؤلف ورؤوس الموضوعات.

غالباً ما كان يبدأ النص فى الكتاب المصرى بالعنوان، وفى أحيان أخرى كان يدخل الكاتب فى الموضوع مباشرة، وفى هذه الحالة كان يوضع العنوان فى ظهر (Verso) الصفحة الأولى، بحيث يكون ظاهراً لأى شخص يمسك الكتاب فى يده. وقد يضاف إلى العنوان ملخص محتويات الكتاب وبداية النص، وكان النص أحياناً ينتهى بكلمة أو بعبارة تفيد انتهائه مثل "لقد انتهى هذا الكتاب من بدايته إلى نهايته" كما وجد مكتوباً "**بعد نسخه ومراجعته ومقارنته وتحقيقه علامة علامة**".

وكان الفصل الجديد أو القسم الجديد يكتب غالباً بعد نهاية سابقة مباشرة، وفى بعض البرديات وجدنا أن الفصل الجديد يبدأ بسطر جديد على أن يترك بقية السطر السابق والذى انتهى به الفصل خالياً مما يدل على أنه بداية فصل.

والحقيقة أنه لم يكن هناك اهتمام بذكر اسماء المؤلفين فى اللفافات إلا نادراً فجميع الأعمال كانت تعرف بالعنوان ولو ذكر اسم المؤلف فإنه يأتى بعد ذكر العنوان مباشرة عند البداية. وكانت تكتب رؤوس الموضوعات والكلمات المفتاحية وهى أشبه بعناوين فصول، وكذلك الكلمات الختامية للكتب؛ كانت

---

(٨٨) أحمد بتبين. التعقيبات فى المخطوطات العربية .- عالم الكتب، مج١٤، ع٥. سبتمبر ١٩٩٣. ص ٥١٩.

تكتب كلها بالمداد الأحمر. ومن ذلك بردية ايبرس حيث استخدم الكاتب المداد الأحمر لكتابة رؤوس الموضوعات[٨٩].

وقد يوضع عنوان الكتاب أو بيان بمحتوياته على جزازة وتلصق في بداية الوجه الخلفي للصفحة، بحيث يمكن رؤيتها بعد الانتهاء من إعادة لف البردية وبذلك توفر عملية إعادة فتح البردية للتأكد من محتوياتها[٩٠]، وقد وصلتنا العديد من البرديات وهي تحمل عنوان الكتاب مكتوباً خارج البردية من ذلك البردية رقم (١٠٠٠٥٤) بالمتحف البريطاني الخاصة بالسرقات من الجبانات، وقد وضعت جزازة على ظهر الصفحة الأولى للبردية مكتوب عليها العنوان "التحقيق مع اللصوص"، ومن ذلك أيضاً بردية "حقا نخت" حيث وضع على ظهرها جزازة مكتوب عليها عنوانها[٩١] .

٥/٥- الهوامش والفواصل

ولما كانت طرفي مقدمة اللفافة ونهايتها (يمين اللفافة ويسارها) هي أكثر أجزائها عرضاً للتلف نتيجة كثرة التداول، لذا كان يترك مسافة بيضاء "هامش" دون كتابة، وكانت هذه المسافة تقوى بلصق شرائح في الجزء الخلفي، مع مراعاة أن يكون اتجاه الألياف شرائح التقوية متعامدة مع حافة اللفافة، وبذلك تقل احتمالات تلف حوافها[٩٢].

وفضلاً عن ذلك اعتاد الكاتب – في حالة الكتابة الرأسية- أن يترك مسافة بيضاء أيضاً من الطرف العلوي للبردية وكذلك الطرف السفلي، لأن هذين الطرفين هما أكثر تعرضاً للاحتكاك والتآكل. ولم يكن من المفضل تقويتها بشريحة أخرى من البردي بطول البردية كلها حيث ان ذلك يجعل اللفافة أكثر

---

(٨٩) أنظر لوحة رقم ٣

(٩٠) حسن رجب ، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٢ ؛ Cerny. J. op.cit., P.86.

(٩١) انظر لوحة رقم ٥

(٩٢) عبد المعز شاهين. الأسس العلمية ص ١١-١٢ ؛ أنظر أيضاً حسن رجب. المرجع السابق، ص ٨٧ .

تصلباً فى الفتح والضم وتلافياً لذلك كان يترك الكاتب مسافة من طرفى البردية دون كتابة مما صنع هامشاً على طرفيها(٩٣).

وبالإضافة إلى الهوامش الأربعة على أطراف البردية (العلوية والسفلية واليمين واليسار) كان الكاتب المصرى يترك هامشاً دون كتابة ليفصل بين كل عمود (صفحة) وآخر فى اللفافة.

وكان يتراوح عرض هذه الهوامش الداخلية ما بين ١,٥ إلى ٣سم، وأحياناً كانت البردية تتكون من عدة أعمدة أو صفحات تضيق لدرجة أن أطراف السطور فى الصفحة تكاد تتلاقى مع المجاورة لها، مما كان يجعل الكاتب يفصلها بخطوط رأسية غير منتظمة(٩٤).

وهكذا عرف الكاتب المصرى نظام الهوامش والفواصل لضبط نهايات السطور من ناحية وحفاظاً على عدم ضياع أى من محتويات الكتاب نتيجة لتلف الأطراف بفعل كثرة التداول.

٦/٥- تصويب الأخطاء.

كان الكاتب المصرى إذا أخطأ وتنبه للخطأ فى حينه أزال الرمز أو الرموز الخطأ عن طريق غسله بقطعة من القماش مبتلة بالماء، أو لعق الحبر بلسانه إن كان خطأً صغيراً. فقد كان يرمز لكلمة يزيل فى اللغة المصرية القديمة بصور اللسان والرجل وقد وضع يده على فمه. وإن كان الخطأ كبيراً، سطراً أو أكثر مثلاً وتنبه إليه الكاتب متأخراً فكان يقطع الجزء الذى به الخطأ ويلصق مكانه جزءاً آخر من بردية أخرى ثم يعيد الكتابة عليها، وكانت الكلمات المنسية تضاف فى مكانها فوق السطور إذا كانت لا تتجاوز رمزاً أو رمزين، وإذا تجاوز الخطأ ذلك ولم تكن هناك مسافة كافية فوق السطر،كانت توضع فى

---

(٩٣) Cerny. J. P.86. وانظر أيضاً لوحة رقم ٣، ٥٨.

(٩٤) حسن رجب. المرجع السابق، ص ٨٨ .

مكان السهو علامة (X) ، ثم تضاف الكلمات المنسية فى الهامش الأعلى والأسفل أو فى الهوامش التى بين الصفحات، وكان تصويب الأخطاء يتـم عـادة بـالمداد الأحمر.

ومن ذلك بردية "سميث" الطبية، فقد وقع فيها أخطاء متكررة، وقد صحح الخطأ بالحبر الأحمر فوق الحبر الأسود، وفى بردية ايبرس نسى الكـاتب كتابـة سطر ونصف فى صفحة ٣١، ثم أعاد كتابتهما فى هامش أعلى الصفحة بعـد أن وضع علامة (X) فى مكان السهو من الصفحة[٩٥].

٧/٥ - الايضاحيات فى الكتاب المصرى القديم

وعلاوة على الخط المجود، وضبط الكتابة، وما يتطلبه ذلك مـن توافـر الهوامش والفواصل وتصويب الأخطاء، عرف الكاتب المصرى أيضاً الايضاحيات وهى الرسوم والصور وما شابهما لتوضيح النص، وقد ساعد على انتشار ذلـك أن الكتابة المصرية القديمة كانت على شكل رموز وصور، وقد استعمل المصريـون الألوان على النحو التى أشرنا إليه سلفاً . ومنه اللون الأحمر، والأصفر، والأبيـض، واستعملوا الألوان ذات الصفات الخاصة لتصوير الكائنـات المقدسـة، والألـوان التقليدية للمخلوقات البشرية؛ فصوروا الرجال مثلاً باللون البنى المائل إلى الحمرة. والنساء بلون أفتح. وتعج حوائط المعابد[٩٦] . وكذلك لفافات البردى بـالعديد مـن الكتابات المصحوبة بنماذج مصورة، من ذلك كتب الموتى التى اشتملت على صور مثل منظر النعش المحمول، والأشياء المادية التى تدفن مع الموتـى والنائحـات، ورحلة قارب الجنازة التى تحمل النعش إلى أرض الموت ومراسم الحساب أمـام الآلهة، ومن ذلك أيضاً الصور الهزلية والتى تصور الحيوانات بهيئة الآدميين[٩٧].

---

[٩٥] حسن رجب . المرجع السابق ، ص ٩٥-٩٦ ؛ Cerny- op.cit P.86.

[٩٦] معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص ١٠٢-١٠٣ .

[٩٧] انظر لوحات رقم ٧- ٨.

ويذهب تشرنى إلى أن نص اللفافة كان يكتب أولاً، ثم يضاف بعد ذلك إليه الرسوم، ففى بردية رقم (١٠٤٧١) بالمتحف البريطانى الخاصة بنخت Nakht ، والتى ترجع إلى الأسرة السابعة عشرة، كذلك فى كتاب الموتى الخاص بالمدعو آنى Ani(٩٨) ، يتضح أن هاتين اللفافتين قد كتبتا أولاً ثم أضيف إليهما الرسوم والصور بعد ذلك.

---

(٩٨) Cerny. op.cit., P.85.

الخلاصة :

وهكذا يتبين لنا من كل ما سبق أن المصريين القدماء عرفوا الكتابة منذ بداية التاريخ دون أن ينقلوا شيئاً عن الحضارات القديمة المعاصرة لها، وإنما كانت نابعة من متطلبات الحياة فى مصر الفرعونية، وكتبوا بهاشؤون حياتهم المعيشية والدينية، واستخدموا مواد عديدة للكتابة؛ كان أهمها وأكثرها انتشاراً واستعمالاً ورق البردى، وكان للكتاب المصرى القديم ملامحه المادية والببليوجرافية المميزة، وكان له صناعته وتجارته ودوره الفعال فى بناء وتطور الحضارة المصرية القديمة، ومن المؤكد أن هذه الصناعة، وذلك الدور قد استمر دون عوائق حتى آخر العصور القديمة مروراً بالفترة البطلمية ثم الرومانية، واستمر كذلك الشكل العام للكتاب، ومادته المتمثلة فى البردى–فى الأعم الأغلب– ومع بداية الحقبة المسيحية فى مصر حدث نوع من التطور للكتاب المصرى فى مادته وملامحه، حيث استخدم الجلود بكثرة كمادة للكتابة وتحول شكل الكتاب من اللفافة إلى شكل الكراس codex .

وعلى كل حال فإن توافر مادة الكتابة، ومكانة الكتاب فى المجتمع، وحرص المصريين على تدوين نتاجهم الحضارى، ليست هى كل عوامل تطور وانتشار صناعة الكتاب، ولكن هناك ظاهرة أخرى ساعدت على هذا الانتشار ومدته بأسباب القوة والانطلاق، هو شغف المصريين بالقراءة وتقديرهم للكتاب، وهى ظاهرة ينبغى أن تسجل هنا بالفخر والإعجاب، فقد كان للكتاب فى مصر القديمة مكانة عظمية تكاد تقترب من مكانة العبادة، وهناك العديد من النصوص التى ترجع إلى ذلك العصر، وتؤكد على قيمة الكلمة المكتوبة. من ذلك ما نصه "لقد مات الإنسان وتحولت جثته إلى مسحوق، وأصبح كل معاصريه تحت

التراب إلا أن الكتاب هو الذى ينقل ذكراه من فم إلى فم. إن الكتاب أنفع من البيت المبنى ومن الصومعة، أو الفلسفة الرصينة، ومن النصب فى المعبد[٩٩]".

ومن هذه النصوص أيضاً، ما جاء فى نصائح الحكيم "خيتى بن دواوف" لابنه "بيبى" وهو يدخله المدرسة إذ قال له "ضع قلبك وراء الكتب لأنه ما من شىء يعلو على الكتب". "وليتنى أستطيع أن أجعلك أن تحب الكتب أكثر من أمك، وليتنى أستطيع أن أريك جمالها، إنها أعظم من أى شىء آخر.[١٠٠]" ومن ذلك أيضاً ما جاء فى نصائح "آنى" لابنه "خنس حتب" حيث ذكر فيها ما نصه "خصص نفسك للكتب وضعها فى قلبك، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازاً"[١٠١].

وكتب أحد المولعين بقراءة الكتب يقول "إن من سوء الحظ أن يكون الإنسان جندياً، وإن حرث الأرض لعمل ممل، أما السعادة فلا تكون إلا فى توجيه القلب إلى الكتب فى النهار والقراءة فى الليل.[١٠٢]

هذه النصوص وغيرها إنما تؤكد على حقيقة هامة وهى تقدير الإنسان المصرى القديم للكتب وأهميتها وسمو مكانتها فى المجتمع المصرى.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الاهتمام وتلك المكانة أن حرص الأفراد على جمعها وحفظها وتنظيمها، وذلك لامكانية استرجاعها وقت الحاجة إليها، ومن ثم وجدت المكتبات بأنواعها المختلفة ووجدت لها نظمها الادارية والفنية، ودورها الايجابى فى بناء الحضارة المصرية القديمة. وهذا ما سنتناوله تفصيلاً فى الدراسة القادمة

---

[٩٩] ستيبتسليتش ، الكسندر . المرجع السابق، ص ٣٦ .

[١٠٠] أحمد أمين سليم . المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الأسكندرية. - مجلة كلية الآداب. - مج ٣٨، ج١ (١٩٩٠) .- ص ٨٣ . وانظر أيضاً :

Lichtheim, M. Ancient Egyption Literature, London, 1975, P. 184-185.

[١٠١] أحمد أمين سليم. المرجع السابق، ص ٨٤، وراجع أيضا شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٣٤ .

[١٠٢] ديورانت، ول . المرجع السابق، ص ١٠٥ .

الدراسة الثانية
المكتبات فى مصر الفرعونية

تناولنا فى الفصل الأول؛ نشأة الكتاب فى مصر القديمة والعناصر المكونة له وملامحه المادية والببليوجرافية، وأوضحنا مدى اهتمام المصريين القدماء بالكتب قراءة واستخداماً لذا كان من الضرورى أن تنشأ المؤسسات التى تعمل على جمع هذه الكتب وتحفظها للأجيال القادمة؛ وهى المكتبات أو دور الكتب حسب مصطلح ذلك العصر. وسنحاول فى هذا الفصل معالجة هذه المؤسسات معالجة تاريخية من حيث نشأتها وتطورها وأنواعها ومقومات وجودها وخدماتها ودورها فى المجتمع المصرى زمن عصر الأسرات الفرعونية.

١-نشأة المكتبات الفرعونية وأنواعها.

تشير العديد من النصوص التى ترجع إلى العصر الفرعونى إلى وجود مكتبات فى مصر منذ الدولة القديمة، وإن اتخذت مسميات مختلفة مثل دار الكتب، دار لفافات الكتب، مقر المخطوطات، ديوان الكتب، خزانة الكتب، دار الكتب المقدسة، بيت الكتابات، بيت البرديات، بيت الكتب المقدسة، بيت الكتب الإلهية. ولهذه التسميات دلالتها - كما سنذكر فيما بعد - للتعبير عن مقار المكتبات وطبيعة مقتنياتها والهدف من انشائها .

أما تلك النصوص التى تدل على وجود المكتبات فى العصر الفرعونى فنذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

- سجل حجر بالرمو الشهير أن فرعون مصر ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة "عمل اثاره للتاسوع فى دار الكتب المقدسة" [١]، وإذا

---

[١] عبد العزيز صالح. التربية والتعليم فى مصر القديمة.- ص ٣٦١ . ويقصد بالتاسوع مجموعة من الآلهة عبدها المصريون القدماء فى هليوبوليس، وكان رع على رأسها كأول خالق للكون، والذى أنجب من ذاته شو اله الهواء وأخته تفنوت المكملة لروحه واللذان تزاوجا وأنجبا جب إله الأرض، ونوت إلهة السماء، واللذان جبا أوزوريس وإيزيس وست ونفتيس ليكتمل التاسوع. وللمزيد راجع : أرمان، أدولف، ديانة مصر القديمة، ١٠٣؛ هارى، ج. ايمحتب إله الطب والهندسة، ص ١٤٣.

كان من الصعب تحديد المقصود من هذا السياق أنه قد أقام آثاراً فعلا في دار الكتب، أم سجل أخبار مذهب التاسوع ومبادئه على جدرانها، أم زودها بلفافات من البردى تتعلق بالمذهب، فإن السياق قد نص صراحة على وجود دار الكتب المقدسة أو المكتبة.

- جاء في قول معلم يدعى " أمون نخت " لتلميذه "حورى معين" ناصحا له. **"كن كاتبا وجسا فى دار الحياة، تكن بذلك أشبه بخزانة كتب"**[٢]

- جاء فى بردية ليدن رقم ٣٤٧،٣،٢، والتى ترجع إلى عصر الرعامسة "أن الاله حورس المعروف بأنه يملك القوى السحرية، وسيد **الكلمات** عند المراكز العظيمة فى بيت الحياة، **وخالق المكتبة"**. [٣] وهذه اشارة صريحة على وجود المكتبة فى مصر الفرعونية .

-ونقرأ أيضا - فى بردية أنستازى رقم (١) **"أن المعلم كان مشغولاً فى المكتبة"**.[٤]

-وتذكر بردية هاريس أن الأوامر المكتوبة كانت **تحفظ فى المكتبة** [٥]

-وجاء فى نص تحدث عن تصوير أرباب المذهب التاسوعى بمعبد رعمسيس الثانى فى أبيدوس ما نصه "... **فى هيئاتهم التى خلقها بتاح وفقا لمخطوطات تحوتى عن ابدانهم فى السجل الكبير الموجود بدار الكتب."**[٦]

وهكذا نخلص من استقراء هذه النصوص وغيرها أن المصريين القدماء عرفوا المكتبات أو دور الكتب، ولقد شهدت مصر الفرعونية على مدى عصور

---

[٢] عبد العزيز صالح . المرجع السابق، ص ٢٢٥؛ أحمد سليم. المرجع السابق، ص ٨٦ .

[٣] Gardiner, A.H., The house of life.- journal of Egyption Archaeology.- Vol 24, 1938.- P.164 .

[٤] فايزة صقر . المكتبة فى مصر القديمة.- مرجع سابق، ص ٢١٣ .

[٥] المرجع السابق والصفحة

[٦] عبد العزيز صالح. المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

أسراتها الواحدة والثلاثين، نوعين رئيسيين من المكتبات هما المكتبات الخاصة ، والمكتبات الملحقة بالمعابد.

لقد تمثلت البدايات الأولى للمكتبات فى مصر الفرعونية فى تلك المجموعات من الكتابات التى احتفظ بها الملوك والأمراء فى قصورهم، حيث خصصت فى القصور غرف لحفظ السجلات والمخطوطات الرسمية، وسجلات الحكومة ووثائقها، وكذلك التسجيلات الدالة على ملكية الأفراد من العقارات والأرض، فضلا عن المعاهدات والاتفاقيات وسجلات الأنساب وغيرها من الموضوعات الرسمية التى عرفت فى ذلك العصر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت القصور منذ بداية الدولة القديمة، وحتى نهاية عصر الفراعنة مقاراً لتربية أبنائها وأبناء الأمراء والمقربين إليها من أبناء الخاصة والمتصلين بالبلاط الملكى؛وكانت القصور مقارا لتربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم بهدف بث روح الولاء للفرعون ولاسرته، وتزويد البلاط بالأتباع الاكفاء المخلصين . لذلك اشتملت ابنية القصور الفرعونية على مدارس لتعليمهم (٧)

ولم يكن لمثل هذا النشاط أن يتم دون كتب و مكتبات باعتبارهما ركنين أساسيين فى العملية التربوية والتثقيفية، ومن أجل هذا زودت القصور بخزائن الكتب. من ذلك نجد أن خوفو ملك مصر من الأُسرة الرابعة كان يملك فى قصره "بيت الكتابات" وكان يحتوى على البرديات الخاصة بالعبادة والطقوس الدينية والفنون، والعلوم فى جانب مع تلك الكتابات المتعلقة بشئون الضرائب والعوائد ومراسلات القواد (٨)، وكان المشرف على هذه المكتبة أحد رجال الدولة

(٧) للوقوف على نظم التربية والتعليم فى قصور الفراعنة، ومنهاجه، وتراجم بعض من تعلموا فى هذه القصور. راجع . عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٩٣-٢١٧؛ أدولف أرمان.- ديانة مصر القديمة إترجمة ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ، محمد انور شكرى.- القاهرة، ١٩٥٢.- ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٨) Johnson, Elmer D., A history of Libraries in the western world.- New yourk, 1965.- P.33.

المدعو "من حبو" حيث ذكر فى نقش على مقبرته ما نصه "كاهن جلالة الملك خوفو، كاتم أسرار الفرعون، المشرف على مكتبة الإله، المتصل بالوثائق الرسمية، "من حبو "[٩]

وقد استمر هذا التقليد عند خلفائه من الفراعنة حيث أصبح من الأهمية بمكان أن يشتمل قصر الملك على مكتبة تزخر بالعلوم والفنون، ولدينا قائمة طويلة بأسماء مكتبات القصور نذكر منها على سبيل المثال :

-مكتبة قصر الملك نفر - اير - كا - رع ثالث ملوك الأسرة الخامسة.

فقد جاء فى النقش المسجل على مقبرة واشى بتاح فى أبو صير وكان يشغل منصب الوزير وكبير القضاه وكبير المهندسين، أنه أثناء محاولة علاجه فى القصر الملكى "أحضر جلالته - أى الملك - صندوق الكتب" ليستخرج منه بردية طبية[١٠] والشاهد من هذا النقش أنه كان لدى الملك فى قصره صناديق للكتب وكان فى بعضها برديات طبية.

-مكتبة قصر أسيسى (جد كا رع) وهو أحد ملوك الأسرة الخامسة أيضاً.

وقد أثر عنه اهتمامه بالعلم والمعرفة وكان يقرب إليه الحكماء أمثال بتاح حوتب الذى أشرف على تربية هذا الملك نفسه، وكان له مكتبة فى قصره، يداوم التردد عليها، وكان لها أمين يدعى سيتي-زيمب لقب بسيد الكتابات السرية، ورئيس أمناء المكتبة وهو الذى كان يرعى جلالة الملك عند زيارته للمكتبة واستخدامه لمقتنياتها.[١١]

---

(٩) أحمد سليم. المرجع السابق، ص ٩٧

(١٠) Breasted, J.H., Ancient Recards of Egypt Historical Documents.- Chicago, 1906. Vol. 1, P-M, 246

(١١) محمد أبو المحاسن عصفور. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم.- بيروت: دار النهضة المصرية، ١٩٨١، ص ١١٧ ؛ شعبان عبد العزيزخليفة. عود عن المكتبة المصرية القديمة.- دراسات عربية فى المكتبات والمعلومات، ع١ ، ١٩٩٥،ص ٨٣ .

-مكتبة قصر بيبى الأول.

وهو أحد ملوك الأسرة السادسة حكم نحو خمسة وعشرين عاماً نعمت خلالها مصر بشيء من الرخاء والازدهار وارتقت فيها الفنون وأكثر من تشييد العمائر، وكان من آثاره مكتبة قصره التى عمل أميناً لها أحد وزرائه يدعى خيتى، وقد آلت هذه المكتبة مع ما ورثه من أمور الحكم إلى الملك الثانى المدعو بيبى الثانى واستمرت هذه المكتبة نحو مائة وعشرين عاماً. ويبدو أنها انتهت نهاية مأسوية حيث راحت ضحية بداية الثورة التى اندلعت فى البلاد فى أواخر عهد الأسرة السادسة وما تبع ذلك من فوضى واضمحلال.[١٢]

-مكتبة قصر أمنحتب الثالث

وهو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد خصص فى قصره الملكى غرفة لتكون مكتبة، سميت "مكان سجلات قصر الملك" وقد بقى لنا من محتوياتها بعض اللوحات الفخارية مكتوبة بالخط المسمارى، وهى عبارة عن مراسلات دبلوماسية بين فرعون مصر أمنحتب الثالث، وبين عدد من رؤساء الدول التابعة لمصر فى أسيا. ومن هذه اللوحات عثر على لوحة فخارية خاصة بالملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تى، وقد سجل عليها عبارات تشير إلى الملك وزوجته، وكان من أشهر الأمناء الذين عملوا فى هذه المكتبة "أمنحتب بن حابو" الكاتب الشهير والمؤلف الذى عرف بحكمته وأمثاله.[١٣]

-مكتبة قصر سيتى الثانى

حكم هذا الملك فترة قصيرة فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وعلى الرغم من أن عهده كان عهد فساد فى أنحاء البلاد وتدهورت الحالة العامة

---

(١٢) محمد أبو المحاسن عصفور. المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٣؛شعبان خليفة . المرجع السابق، ص ٨٤.

(١٣) أحمد سليم. المرجع السابق، ص٨٦ – ٨٧، شعبان خليفة. المرجع السابق ص ٨٨

Jonson, Elmer D., op.cit., p.33-34;

HR. Hall., An Egyptian Royal Book plate: the Exlibric of Amenphpi III, and teie.- Journal Egyptian Archaeology ,- Vol 12, 1926. P.30-33 .

بسبب وجود عدد كبير من المرتزقة الذين كانوا يتنقلون دائماً للاشتراك في الحروب جرياً وراء الغنائم والأسلاب[١٤]، على الرغم من ذلك إلا أن سيتى الثانى قد شيد فى قصره مكتبة كبيرة كانت امتداد لما سبقها، وكان دائم التردد عليها، ومن الذين تولوا أمر هذه المكتبة* قناً "(بفتح القاف مع تشديد النون) الذى لقب بسيد اللفافات حيث يعزى إليه الفضل فى حفظ كمية كبيرة من النتاج الفكرى المصرى لا سيما الأدب منه.[١٥]

-مكتبة قصر الملك سبتاح

وهو من أواخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة كان له مكتبة خاصة في قصره،عمل بها كأمين مكتبة وحافظ لسجلاتها* نفرحور بن نفرحور* كاهن الـه القمر تحوت، هذا وقد ارتبط بهذه المكتبة أيضاً شخصان هما: بيباى الذى كان يرسله الملك الى النوبة لتحصيل الضرائب، و*سيتى* الذى كان نائباً للملك وأمين مكتبته وكاتب سجلاته.[١٦]

ولم تكن أميرات العصر الفرعونى أقل اهتماماً بالعلم والمعرفة لذلك نجد بعضهن وقد احتفظن بمكتبات فى قصورهن للاستخدام الخاص وبلغ من عنايتهن بها أن خصص لهذه المكتبات من يقوم بالاشراف عليها وتنظيمها وتقديم خدماتها من ذلك مكتبة قصر سيدة من بيت ملكى تدعى "نفرو كايت"يُرجح أنها زوجة الفرعون منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة فى الدولة الوسطى، فقد عثر

---

(١٤) محمد بيومى مهران. مصر والشرق الأدنى القديم : مصر، ج٣ .- الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨ .- ص ٢٩٤ .

(١٥) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٩١ .

(١٦) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٩٠-٩١ . ومن الجدير بالإشارة هنا أن بعض المراجع الحديثة قد دأبت على ترديد مقولة إن سيتى هذا هو الذى أصبح نفسه فيما بعد سيتى ملك البلاد، وبالبحث تبين لنا أن الملك سيتى الثانى قد حكم مصر قبل الملك سبتاح وولي بعده وأن الذى حكم بعد سبتاح سيدة وتدعى تاوسريد. وأما سيتى أمين مكتبة سبتاح كان مجرد أمين وخازن للكتب، وأن هناك تشابه فى الاسم ليس أكثر. انظر محمد بيومى مهران. المرجع السابق والصفحة.

على لوحة حجرية فى دندرة ترجع إلى عهد هذا الملك خاصة بالمدعو خنم أردو الذى كان أميناً لمكتبة الملكة نفرو كايت. حيث تشير إلى أنه إبان عهده قد زادت المجموعات وأضاف إليها الكثير من الكتب والبرديات والأشياء الثمينة حتى أنه لم يعد ينقصها شيئ حسب علمه، وأنه قد رتبها وجملها وأصلح ما كان قد فسد منها ونظمها وربط ما كان منها محلولاً.(١٧)

وقد اكتشف فى مركز اللاهون EL – Lahun عدد كبير من بيوت الأغنياء، ووجد تقريباً فى كل بيت بقايا أوراق البردى، ويشير هذا بطبيعة الحال إلى انتشار التعليم واهتمام السكان بالقراءة، وكانت هذه الملفات إلى جانب سجلات الأعمال والمراسلات بين الأسر والأوراق القانونية والوصايا كثيراً من الأعمال الأدبية والتاريخ والدين وبعض من البرديات الطبية، كما اكتشفت فى دير المدينة مجموعة من بيوت العمال الذين كانوا يعملون فى إحدى المشروعات الضخمة لرعمسيس الثانى، وعثر فى هذه البيوت على نماذج عديدة من ملفات البردى وقطع من اللخاف والاستراكا، كانت تستعمل لكتابة أشياء متعددة، وقد حوت هذه اللفائف كثيراً من الفواتير والسجلات التجارية والرسائل والمذكرات إلى جانب كتابات متنوعة فى الآداب والدين.(١٨) ولا شك أن هذه الاكتشافات وغيرها تؤكد أن التعليم والقراءة وتكوين المكتبات لم يكن حكراً على الطبقة العليا فى المجتمع المصرى، ولكنه كان أيضاً للطبقات الأخرى من العمال والفلاحين حظهم فيها وكان لهم دورهم التعليمى والتثقيفى .

ولم يقتصر أمر تكوين المكتبات الخاصة فى مصر الفرعونية على الملوك والأمراء، بل كان هناك أيضاً لدى العلماء والكتاب والتجار والأغنياء بل

---

(١٧) احمد سليم . المرجع السابق، ص ١٩٠ .

Weigall,A., Histoire de l'Egypte Ancienne.- Paris,1949.P.69-70 .

(١٨) Jonson, Elmer D., op.cit., p.34-36

وبعض من عامة الشعب مكتباتهم الخاصة التي يرجعون إليها للقراءة والاطلاع والتثقيف لهم ولذويهم. وكانت تتراوح بين عدد قليل من لفافات البردى إلى مجموعات ضخمة منها ، وقد دلت المكتشفات في هذا المجال على نوع هذه المجموعات، التي كانت تلائم أذواق وثقافات واهتمامات مالكيها.

ولعل من أشهر المكتبات الخاصة وأقدمها هي: مكتبة الساحر والعالم الكبير (جدى)، فقد ورد فى قصة خوفو والسحرة أن الأمير حر دوف أخبر والده الملك خوفو بأنه يوجد رجل أوتى من العلم الكثير يدعى جدى يعيش في مدينة "جد سنفرو" وعندئذ كلفه والده بأن يذهب إليه ويحضره بنفسه، وعندما ذهب إليه، طلب منه الحضور إلى القصر الملكى، فقال له "جدى" جهز سفينة لى لتحضر تلاميذى وكتبى معا[19] وهذه إشارة واضحة لوجود المكتبة واهتمام هذا العالم بها وحرصه على اصطحابه لها أينما ذهب.

والحقيقة أن القوم كانوا يقدرون الكتب ويتبارون فى جمعها ويعتنون بها عناية كبيرة حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم الخاصة، ويدلنا على ذلك العديد من النصوص القديمة، من ذلك ما قاله أحد الآباء موبخاً ابنه، "... إنك مشغول بالدخول والخروج تتجاهل الكتب، وتتنازع معى، وتلقى توجيهاتى خلف ظهرك"[20] وفى سياق أخر ينصح أب ابنه باقتناء الكتب الكبيرة وقراءتها ودراستها وحبها فيذكر ما نصه "وجه ذهنك إلى الكتب، واحصل عليها لأنه ما من شيئ يعلو على الكتب، فليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وليتنى أستطيع أن أريك جمالها، أنها أعظم من أى شيئ أخر"[21] وهكذا يستفاد

---

(19) Erman, A., the literature of the Ancient Egyptions/ Translated into English by A. M. Blackman, london, 1927, P.42 .

(20) فايزة صقر. المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(21) انظر . أحمد سليم. المرجع لسابق، ص ٨٣،نجيب ميخائيل . المرجع السابق،ج ٤ ، ص ١٥-١١٨،
Lichtheim. M., Ancient Egyptian ion literature , London 1975,P

مما تقدم أن المكتبات الخاصة وجدت فى مصر وانتشرت عند مختلف فئات المجتمع ملوك وأمراء وأميرات وعلماء وتجار وقد وجه المجتمع للاهتمام بها والعناية بمحتوياتها واستخدامها.

هذا ولم تكن هذه المكتبات الخاصة؛ رغم كثرتها كماً وكيفاً، هى النوع الوحيد الذى عرفته مصر إبان عصر الفراعنة، فقد وجد إلى جانبها نوع أخر هو المكتبات الملحقة بالمعابد، فمنذ بداية عصر الأسرات شيد المصريون المعابد الكبيرة لمعبوداتهم المختلفة، واتخذت مقراً للتعليم، فضلاً عن ممارسة الطقوس الدينية، ولأن الكتب تعتبر ركناً أساسياً فى العملية التعليمية فلا تقوم إلا به، لذا ألحق المصريون بمعابدهم مكتبات من أجل حفظ التسجيلات الدينية والنصوص المقدسة، التى ازداد عددها مع الأيام غزارة، وأصبح من الصعب حفظه كله فى الذاكرة، وأصبح من الضرورى تسجيله وحفظه فى مكان معين وتسليمه للاجيال القادمة لذلك بدأت مجموعة المعبد بنسخ من القوانين المقدسة والأناشيد والطقوس الدينية، وقصص الخليقة، ورسم حيوانات الآلهة وكذلك شروح وتعليقات رجال الدين[٢٢].

وكان من ملحقات المعابد الكبرى فى عواصم البلاد مؤسسات للتعليم العالى، اطلق عليها (دار الحياة)، وكان لها مقام كبير عند المصريين القدماء. حيث تعددت أنشطتها فضلاً عن أنها كانت ملتقى الكتاب والعلماء والجادين من طلاب العلم والمعرفة، وكانت مقراً للتأليف والتدوين والنسخ لذلك كانت تضم كثيراً من نفائس الكنوز فى العلم والمعرفة والدين والقانون والطب والفلك وعلوم الرياضة والإدارة وتقويم البلدان، وقد اشتهرت دور الحياة فـى العالم القديم كمؤسسات للعلم والثقافة، نذكر منها ما كان ملحقا بمعابد امون الكبرى بطيبة، ومعبد حورس العظيم بادفو ، ومعبد مين بقفط ، ومعبد تحتور بدندرة، ودار

(٢٢) Jonson, Elmer D., op.cit., p.9

الحياة بالأشمونيين، ودار أونو* بهليوبوليس، وكانت فى الأعم الأغلب من أعرق دور العلم، فكانت تستقبل – لا سيما فى العصور المتأخرة– طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من بلاد الإغريق، فينهلون من فيض علومها الذاخرة[٢٣].

ولم يكن هذا النشاط المرتبط بدور الحياة يتم دون كتب ومكتبات لذا نقرأ فى لوحة الكاهن "بادى–سوبك" من هوارة[٢٤] ما نصه "... سيد دار الكتب، المبجل فى دار الحياة الذى تنطق باسمك بواسطة كتبة دار الحياة عن طريق تمجيده..." ويحتمل أن يكون السيد هذا هو الإله أوزيريس الذى يظهر على اللوحة وهو يتلو هذا النص، ومن هذا النص نفهم أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المكتبة، ودار الحياة وأنه كان لهما إله واحد مشترك لما فيهما من صفات ادبية مشتركة[٢٥]، وثمة نص آخر يؤكد إلحاق المصريين القدماء للمكتبات بدور الحياة؛ فقد ذكر عن رعمسيس الرابع "أنه فحص حوليات تحوتى الموجودة فى دار الحياة، واطلع على محتوياتها"[٢٦] وعلى كل حال سوف نقدم فى هذا السياق نماذج من المكتبات الملحقة بالمعابد عامة ودور الحياة خاصة.

–مكتبة معبد الأشمونيين

ورد ذكر هذه المكتبة فى لوحة المجاعة المنقوشة بجزيرة سهيل[٢٧]، حيث أن البلاد فى عهد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة قد امتحنت بسبع

---

[٢٣] للمزيد عن دور الحياة، ونشاطها ورجالاتها ودورها فى المجتمع المصرى القديم. راجع. عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص٢١٩–٢٢٨؛ سمير أديب. مرحلة التعليم العالى فى مصر القديمة. مرجع سابق .

[٢٤] هذه اللوحة محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة رقم J.d 44065 راجع: سمير أديب. المرجع السابق، ص ١٦٢ .

[٢٥] المرجع السابق والصفحة.

[٢٦] عبد العزيز صالح . المرجع السابق، ص٢٢٥–٢٢٦ .

[٢٧] لوحة المجاعة نص نقش على صخور جزيرة سهيل فى بلاد النوبة ويرجع الى عصر بطليموس الخامس دونه كهنة الإله خنوم ويروى أنه فى عهد زوسر أصيبت البلاد بمجاعة بسبب توقف الفيضان عن الوصول إلى منسوبه المعتاد، وبعد استشارة حاكم الاقليم الجنوبى من مصر أمر زوسر بأن توقف الأراضى الواقعة–

سنوات عجاف، فأرسل الملك كاهناً ليسترشد بمقتنيات مكتبة معبد الأشـــمونيين؛ مدينة العلم والدين، وقد قدم إليه الكاهن تقريراً مفصلاً لكل ما تمكن من معرفتــه عن منطقة الشلال. ولذلك عندما سأل الملك زوسر الحكيم أيمحوتب عن مـــارد النيل والإله المتحكم فيها، طلب إيمحوتب منه أن يتوجه إلى معبد الأشـــمونيين (دار الحياة) ليفتح الكتب ويسترشد بها[٢٨] حيث ذكر ما نصه "سأدخل إلـــى دار الحياة وسأفتح قدرات رع (أرواح رع) وسأسير على هديـــها"[٢٩]. والمقصـــود بأرواح رع هنا هى الكتب (وسوف.نتناول ذلك تفصيلاً فيما بعد) والشاهد مـــن هذا النص هو وجود مكتبة فى معبد الأشمونيين التى استخدمت من قبل الكـــهان والحكماء للإستفادة منها فى أمور تخص الدولة.

-مكتبة معبد الإله أتوم فى هليوبوليس

ورد ذكر هذه المكتبة فى نص يرجع إلى عهد الملـــك *نفرحتـــب الأول؛ الملك الثانى والعشرين من عصر الأسرة الثالثة عشرة؛ وهى فترة الاضمحــلال الثانى، حيث .. يذكر هذا النص أن الملك سافر من طيبة إلى هليوبوليس ليبحث فى الكتابات القديمة فى مكتبة معبد الإله أتوم، ليتحقق من الهيئة الخاصة بالإلــه أوزير*، حتى يتمكن عمل تمثال له وفقاً لما كان عليه عند بداية العالم، فقد ذكـــر ما نصه "... **إننى أرغب فى رؤية الكتابات القديمة للإله أتوم . وأعرف الإلـــه فى صورته حتى أستطيع تصويره مثلما كان من قبل ... أيها الملـــك لتتقـــدم جلالتك نحو دور الكتب (المكتبات) لترى جلالتك كل الكتابات المقدسة، وتقـــدم**

---

*-على جانبى النيل من جزيرة سهيل لإله خنوم، وبذلك عاد الفيضان. للمزيد راجع. محمد أبو المحاسن عصفور. المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(٢٨) سمير اديب. المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦٠

(٢٩) أحمد سليم. المرجع السابق، ص ٩٥

جلالته إلى المكتبة وفتح مع رفاقه جميعهم الكتب ووجد جلالتـــه كتـب معبـد أوزوريس سيد أبيدوس"[٣٠]

-مكتبة تل العمارنة

لقد بنى تل العمارنة الفرعون أمنحوتب الرابع المسمى أخنـــاتون فـى حدود سنة ١٩٥٠ ق.م وجعلها عاصمة له وأطلق عليها "أخت أتون"، وشيد بـها معبداً لعبادة الإله أتون، ألحق به دار الحياة للتعليم وقد خصصت إحدى قاعاتـها لتكون داراً للكتب وكانت تتألف محتوياتها من عدد غير قليـــل مــن اللوحــات الفخارية فضلاً عن البرديات"[٣١] وصلنا منها حوالى مائتا رسالة أو مكتوب من سوريا وفلسطين وبابل ومن ملوك الحيثيين، ومن ثم كانت مكتبة إلـــى جـانب كونها أرشيف، وكان يعمل أميناً لهذه المكتبة الوزير ر ع مس الذى لقب بسيد كل الخزائن والمسئول عن الأرشيف والمكتبة[٣٢].

-معبد سيتى الأول

أنشأ هذا المعبد فرعون مصر سيتى الأول فى أبيدوس، لكنه وافته منيته قبل أن يتمه، فأكمله من بعده إبنه رعمسيس الثانى وألحق به دار حياة للتعليـــم ومكتبة عظيمة، وقد وصلنا وصف كامل لهذه المكتبة فهى تتكــون مــن أُربــع حجرات يتوسطها بهو وذلك فى الركن الجنوبى الغربى للمعبد وقد أثبت علـــى

---

(٣٠) أحمد سليم، المرجع السابق، ص ٩٥ – ١٠٢؛ شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٨٦-٨٧. هذا ويرى بوستيد أنه كان يوجد فى معبد هليوبوليس هيكل الإله أتوم وكتبه Breasted, J.H., OP.cit., Vol.1, P.333,no.d; Mariette, catalouge general des monuments d'Abydos decsuerts pentant les fouilles de cetteviue, Paris, 1880.p .233.

(٣١) Persson, Elmar ., op.cit.,

(٣٢) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٨٢.

وعن رسائل تل العمارنة التى هى مقتنيات المكتبة ومحتوياتها راجع: الفريد، سيبريل. اخناتون| ترجمة أحمد زهير أمين، مراجعة محمود ماهر طه. – القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢. ص ١٦٣-١٧٥.

إحدى الصناديق التى وجدت فى هذه الحجرات ما نصه"بيان لتحوت، أثبت لـك حوليك المدونة فى الكتب أمام كل الأحياء"، ويرى د. عبد الحميد زايد أن هذه الحجرات كانت بجانب كونها مكتبة فانها كانت تضم أيضاً سجلات أرشيفية خاصة بالنفائس التى يمتلكها المعبد[٣٣].

-مكتبة معبد رعمسيس الثانى بأبيدوس

وهو غير معبد والده سيتى الأول، فقد ورد العديد من النصوص المسجلة فى هذا المعبد وتشير إلى وجود دار للكتب، فيه من ذلك ما نصه "سأعرفك – الإله حعبى – فى قاعة المخطوطات التى أسست فى دار الكتب"، وفى نص أخر يظهر الملك رعمسيس الثانى وهو يبحث فى حوليات الإله تحوت الموجودة فى دار الحياة، ويذكر الملك أنه لم يترك أحداً منهم، فلقد بحث عن جميع الآلهة والإلهات الكبرى والصغرى[٣٤]، ويبدو أن هذه المكتبة قد استمرت إلى عهد رمسيس الرابع فقد ورد أنه كان دائم البحث فيها عن التقاليد التى كان يريد تجديدها فى معبد أبيدوس، ولا شك أنه كان يبحث فى ملفات ووثائق دار الكتب[٣٥]

-مكتبة معبد الأقصر

يذكر الدكتور عبد العزيز صالح[٣٦] عن قاعة كشف عنها فى معبد الأقصر، تحدثت نصوص واجهتها عن سفر رعمسيس الثانى إلى قاعة الكتب حيث نشر مكاتبات دار الحياة وعرف منها خبايا السماء وكل أسرار الأرض"،

---

(٣٣) Z ayed, A. The Archives and treasury of the temple of sety I at Abydos .- Annales de seruice des Antiqueties de L' Egypte. Vol. Lxv, 1983. P. 19-71 .
راجع أيضاً أحمد سليم. المرجع السابق، ص ١٠٥ أنظر لوحة رقم (١٤)

(٣٤) أحمد سليم . المرجع السابق، ص٨٩، ٩١-٩٢

(٣٥) سمير أديب. المرجع السابق، ص ١٦٣

(٣٦) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٤٥، ٣٦٤

ولا شك أن هذه القاعة كانت مكتبة المعبد، وكان الفرعون وأبناؤه من بعده يخصونها بالاهتمام والزيارة، وإن بدت بطبيعة الحال حالتها الراهنة خاوية معتمة.

-مكتبة معبد الرمسيوم

لعل من أشهر وأهم المكتبات المصرية القديمة فيما قبل مكتبة الاسكندرية تلك المكتبة التى ألحقها رمسيس الثانى بمعبده ودار الحياة المسماة الرمسيوم فى طيبة، والذى أنشأه بعد انتصاره فى موقعة قادش الشهيرة.

ولقد أشار ديودورس الصقلى إلى هذه المكتبة قائلاً أنه يوجد فى معبد الرمسيوم بعد صالات الأعمدة مكتبة مقدسة كتب عليها عبارة "علاج النفوس"[٣٧] وهى تسمية لها دلالتها، وتوجد هذه المكتبة وقاعة ذات ثمانية أعمدة وقد سجل فى سقفها أشكال فلكية وصور على أحد جانبى مدخلها للإلهة سشات وهى جالسة، وقد كتب فوقها "ربة الكتابة وسيدة دار الكتب"، وصور الإله تحوت على الجانب الأخر رب المعرفة، ووراءهما رعمسيس الثانى وهو يحمل أدوات الكتابة، كما ذكر فى نقوشها آلهة السمع والبصر والفطنة والنطق الخلق، وذلك ما يشير إلى سمو المكتبة ومقتنياتها[٣٨] تلك التى بلغت عشرين ألف كتاب على حد قول المؤرخ إيامبليكوس السريانى[٣٩] ولا شك أن ضخامة قاعة المكتبة تشير إلى كثرة عدد المقتنيات من ناحية،ومن ناحية اخرى نوع الاستخدام التى خصصت له، كما أن المناظر الفلكية المصورة فى سقف المكتبة توحى بأنها كانت تتضمن كتباً فى الفلك فضلاً عن الكتب الدينية ، وكتب السحر وكتب

---

(٣٧) Diodorus of sicily. Book 1, 49/ with an English Translation by C.H.O Layather C.H.old fater .- London , 1968 . P. 173 .

(٣٨) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ٣٦٤؛ أحمد سليم. المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(٣٩) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٧٦ .

العلوم الأخرى التى كانت تدرس فى الرمسيوم[٤٠]

-مكتبة معبد نفرتارى بدير المدينة

ينتسب هذا المعبد ومكتبته إلى أحمس نفرتارى زوجة أحمس الأول ، أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، حيث عبدت هى وابنها امنحتب الأول منذ نهاية الأسرة الحادية والعشرين ومن ثم أقيم لها هذا المعبد فى منطقة دير المدينة غرب طيبة، وقد ألحق به مدرسة نظامية زودت بمكتبة؛ وصلنا منها عدد غير قليل من مقتنياتها من اللخاف والاستراكا وبعض البرديات منها تعاليم آنى الشهيرة[٤١].

هذه مجرد نماذج لمكتبات المعابد ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر، فقد وجدت مكتبات أخرى مثل مكتبة معبد دندرة ومكتبة معبد إسنا ومكتبة معبد إيزيس فى جزيرة فيلة كما دونت قائمة بستة وثلاثين كتاباً فى معبد الطود مما يدل أيضاً على وجود مكتبة بالمعبد[٤٢].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان فى مصر القديمة نوع من المعابد أو دور الحياة تخصص فى ممارسة الطب وتعاليمه وإعداد الأطباء وتأهيلهم وبعض هذه المعابد بلغ شهرة كبيرة، منها دار الحياة فى أونو (هليوبوليس)،

---

(٤٠) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ شعبان خليفة المرجع السابق،ص ٧٦-٧٧؛ Person, Elmar D., op.cit., p. 34 .; Nichols. The library of Rameses the great , london , 1964 . p.

(٤١) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٥٢،١٥٦،١٥٧، ومن الجدير بالذكر أن تعاليم آنى هى واحدة من التعاليم والنصائح التربوية الفرعونية كان قد كتبها الحكيم آنى لابنه خنسوحتب مبيناً فضل أمه عليه وذلك فيما نصه " إذا ألحقت بالمدرسة وقتما علمت الكتابة، واظبت أمك دونى على الذهاب إليك يومياً للطعام والشراب من دارها ". للمزيد عن تعاليم آنى. راجع

Myer, I.am account of Egyptian, New york, 1900,p.197.

-مرجع عن تعاليم آنى. سمير حسن. الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة، ج (٢١ القاهرة) ١٩٩٠. محمد بيومى رمضان. الحضارة المصرية القديمة- ج (١) الآداب والعلوم، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٥٨-٢٦٥.

(٤٢) عبد العزيز صالح - المرجع السابق، ص ٣٦٣.

ودار الحياة التى أنشئت فى سايس للمولدات، اللاتى كن يقمن بدورهن بتدريس علم أمراض النساء، ومدرسة إيمحوتب بمنف والتى كان يتردد عليها الأطباء أنفسهم حتى عهد جالينوس فى القرن الثانى الميلادى، وكان بطبيعة الحال يلحق بهذه المعابد **مكتبات طبية**[٤٣] وبالاضافة إلى المكتبات التى ورد ذكرها فيما سبق هناك العديد من النصوص الذى ذكرت مصطلح دار الكتب وذلك من برديات وقطع من اللخاف والاستراكا، فضلاً عن نقوش المعابد، وذلك دون تحديد نوعى أو مكانى لها[٤٤]، وقد وجدت هذه المخلفات الأثرية فى مواقع عدة مثل: فى الاقليم الشمالى: تانيس، الجيزة، أبوصير، منف، سقارة، اللشت، تل بسطة، هليوبوليس، كما وجدت أيضاً مثل هذه المخلفات فى مواقع من الاقليم الجنوبى فى المينا، البرشا، مير، أسيوط، الحواويش، أبيدوس، دندرة، طيبة، إسنا، ادفو، كوم امبو، أسوان، فيلة، نورى، نباتا، الجندل الرابع، وهذا مما يرجح وجود مكتبات فى هذه الأماكن. وذلك يعنى أن المكتبات المصرية القديمة قد انتشرت فى العصر الفرعونى فى جميع الاقاليم المصرية من تانيس وسقارة شمالاً حتى نباتا ونورى جنوباً.

٢-إدارة المكتبات الفرعونية وتنظيمها وخدماتها

عرضنا فى الصفحات السابقة من هذا الفصل أنواع المكتبات التى أفرزتها الحضارة المصرية إبان عصر الفراعنة، وأتينا على نماذج منها، ولكى تقوم هذه المكتبات بدورها فى المجتمع كان لابد من توافر مجموعة من المقومات المادية والتنظيمية والفنية والخدمات، وسوف نعالج فى الصفحات التالية مدى توافر هذه المقومات فى المكتبات الفرعونية وذلك فى إطار المحاور الخمسة التالية:

---

(٤٣) المرجع السابق، ص ٢٢٣؛ سمير أديب. المرجع السابق، ص ٩٢-٩٤ .

(٤٤) انظر النصوص الواردة فى مستهل الفصل الثانى ص ٦٤

-المبنى والتجهيزات

-العاملون

-المقتنيات وتنميتها

-الفهرسة والفهارس

-الخدمات

١/٢-المبنى والتجهيزات

مما لا شك فيه أن مبنى المكتبة وتجهيزاته هو أحد المرتكزات الأساسية التى تعتمد عليها المكتبة فى تقديم خدماتها، فلا توجد خدمة مكتبية حقيقية بدون مبنى وتجهيزات مناسبة، وذلك بتوافر مجموعة من المواصفات الفنية كجودة التهوية وتوافر الإضاءة الطبيعية والبعد عن الضوضاء.

وعلى الرغم من كثرة نماذج المكتبات التى أتينا عليها فى الصفحات السابقة اعتماداً على المصادر والمراجع الأساسية إلا أن هذه المصادر قد ضنت علينا بالمعلومات والحقائق عن مبنى المكتبات الفرعونية وتجهيزاتها. لكن من حسن الطالع أنه قد وصلنا نموذجان من مكتبات المعابد يرجعان إلى الدولة الحديثة وبالتحديد من عصر رعمسيس الثانى، ولا زالت قائمتين حتى الأن هي: **مكتبة معبد سيتى الأول فى أبيدوس، ومكتبة معبد الرمسيوم فى طيبة**، وسوف نتحدث عنهما بالتفصيل كنماذج لمبانى المكتبات الفرعونية. ولكن ما نريد أن نؤكد عليه منذ البداية أن مكتبات مصر الفرعونية سواء كانت مكتبات خاصة أو مكتبات معابد، كانت عبارة عن قاعة أو أكثر. وقد ثبتت فى جوانبها صناديق الكتبوجرات فى الحوائط لحفظ البرديات، فقد ورد لفظ "قاعة الكتب والمخطوطات" كثيراً فى النصوص القديمة؛ من ذلك ما ورد فى أحد نصوص رعمسيس الثانى المسجلة بمعبد أبيدوس وتتصل بمعرفته بالإله حعبى ما نصه

"سأعرفك أمام فناء قاعة المخطوطات التى أسهمت فى دار الكتب"(٤٥). وهذا يشير إلى أن الدار أو المكتبة كان بها قاعة للمقتنيات كمخزن، ويحتمل ذلك وجود قاعة للاستخدام والقراءة والنسخ وخلافه، وأنه أمام فناء هذه القاعة أقيم تمثال حعبى الإله، وفى معبد إيزيس بفيلة تم اكتشاف لوحة كتب عليها "**هذه صالة-قاعة-الكتب للمكرمة سيشات (ربة دور الكتب) التى تحفظ فيها سجلات إيزيس التى تهب الحياة ...**"(٤٦) أما عن مكتبة معبد سيتى الأول بأبيدوس فقد كانت تتكون من أربع حجرات تقع فى منتصف المعبد يتوسطها بهو، وذلك فى الركن الجنوبى الغربى من المعبد، وقد ثبتت فى الحجرات الأربع صناديق لحفظ الوثائق وملفات البردى، وقد رسم على حوائطها بعض من الألات الموسيقية، كما سجلت عليها العديد من التسجيلات ومنها على سبيل المثال ما نصه بيان لتحوت "**أثبت لك حولياتك المدونة والكتب أمام كل الاحياء**"(٤٧).

أما مكتبة معبد الرمسيوم: فهى عبارة عن قاعة طويلة تقع فى منتصف المعبد ذات ثمانية أعمدة على صفين ذات تيجان على شكل برعم البردى، وكان الباب المؤدى إلى القاعة مطعماً بالذهب ومزيناً بالاحجار الكريمة وقد رأى شامبليون ذلك بنفسه فى نهاية القرن الماضى، وقد زينت جدران القاعة الداخلية بالعديد من المناظر الدينية كالموكب المقدس ومراكب أمون ومراكب رعمسيس، ومنظر للآلهة سيشات وتحوت وإهما يسجلان اسم الملك على أوراق الشجرة المقدسة، وقد زين السقف بالعديد من المناظر الفلكية مثل قوائم لكواكب سيارة، والنجوم والابراج والتقويم القمرى(٤٨).

---

(٤٥) أحمد سليم. المرجع السابق، ص٨٩، وانظر ايضاً

-Lepsius, C.R., Denkmaler aus Aegypten and Aethiepien, Berlin,1850,p.50.

(٤٦) ستيتسفيتش، الكسندر. المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٤٧) - Za yed, A., op.cit., p.32

(٤٨) -Nichols, op.cit., P.18 – 22 ; Quilbell the Ramesseum. London , 1898, P.1-2.

وهكذا كانت المكتبة المصرية الفرعونية تتكون عادة من قاعة أو أكثر وقد لاحظنا من النموذجين السابقين من أنها كانت تتوسط المؤسسة الأم أى المعبد، ومن ثم يسهل وصول المستفيدين إليها.

ونظراً لأن طبيعة مقتنيات المكتبة الفرعونية كانت تأخذ معظمها شكل لفافة Rool البردى، وبعضها كان من قطع الأستراك واللخاف، فقد كان يتم حفظ هذه المقتنيات فى صناديق وخزانات وجرارات وهناك العديد من الدلائل التى تشير إلى ذلك ومنها:

-ورد نص فى نقش مقبرة واشى بتاح فى أبى صير، وكان هو أحد وزراء الملك نفر-اير -كا-رع. ويدور حول محاولة علاج واشى بتاح بالقصر الملكى، حيث استدعى له الملك الأطباء والكهنة، فقد ورد فى هذا النقش ما نصه "**وأحضر جلالته صندوق الكتب**" ليستخرج منه بردية طبية.(٤٩)

-وتشير بردية برلين الطبية رقم ٣٠٣٨ فى مقدمتها أنها "كانت محفوظة مع وثائق قديمة فى صندوق"(٥٠) كما وجدت بردية برلين القانونية رقم ٣٠٤٧ فى إحدى الجرار فى سقارة.(٥١)

-وعثر على عشر لفائف من البردى ترجع إلى عهد الأسرة السادسة فى منطقة الجبلين داخل صندوق خشبى(٥٢)، وهو محفوظ الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة رقم J.66844.

-وعثر كذلك على صندوق خشبى به إثنتان وثلاثون بردية مدونة بالخط الهيراطيقي ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة خلف معبد الرمسيوم.(٥٣)

---

(٤٩) Br easted, J.H., op.cit., p.246.

(٥٠) أحمد سليم . المرجع السابق، ص ٨٦.

(٥١) حسن رجب. المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٥٢) Posner, Krieger , Les papurus de L'Arr cin Emrire. IF Aoc 6412. P.28-29 .

(٥٣) - Quibell, op.cit. P.3.

-ويذكر د. عبد الحميد زايد أن مكتبة معبد سيتى الأول كانت تحفظ مقتنياتها فى صناديق بلغت تسعة وعشرين صندوقاً كانت مثبتة على حوائط الحجرات، وقد زينت بصور الاله تحوت حامى دور الكتب[٥٤].

-ورد فى أوستراكا من الأسرة الحادية والعشرين ما نصه "كن كاتباً فطناً فى بيت الحياة تصبح أشبه بخزانة كتب"[٥٥]، وهذا النص يحتمل أن يكون المقصود بخزانة كتب هنا الخزانة أى الصندوق ويحتمل أن يكون المقصود هنا المكتبة ذاتها.

-ومن ناحية أخرى اكتشف فى معبد ايزيس فى قاعة الكتب مجموعة من الرفوف يعتقد أنها كانت تستخدم لحفظ لفائف البردى مفردة أو فى صناديقها أو جرارها[٥٦].

وعلى كل حال نخرج من هذا العرض بأن مكتبات مصر الفرعونية كانت عبارة عن قاعات تحتوى على صناديق وجرار وخزانات وأحيانا رفوف لحفظ مقتنياتها من البردى والأوستراكا وغيرها من المقتنيات.

٣/٢-العاملون فى المكتبات الفرعونية

وكانت تدار المكتبة الفرعونية بواسطة مكتبيون يعاونهم عدد من الكتاب والنساخ والمساعدون، وقد تعددت ألقاب العاملين بالمكتبات الفرعونية والتى وردت فى النصوص القديمة ما بين كاتب دار الكتب، مفتش دار الكتب، رئيس دار الكتب، كاهن دار الكتب، أمين المكتبة، المشرف على المكتبة، المشرف على كتبة دار الكتب، فقد لقب كل من سبكاف عنخ، ومن حبو من مكتبى الدولة القديمة بلقب المشرف على المكتبة، وحمل أحد رجال الدولة القديمة أيضاً لقب

---

(٥٤) Zayed, A. op.cit., P57.

(٥٥) أحمد سليم. المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٥٦) ستيبتسفيتش، الكسندر. المرجع السابق، ص ٤٢ .

المشرف على كتبة دار الكتب، وورد فى نص على مقبرة جحوتى مس فى القرنة رقم٢٥٩ أنه كان كاتباً، وأميراً وكاهناً وحامل أختام مصر السفلى زمن الملك تحتمس الرابع وقد لقب "بالرئيس فى دار الكتب" (٥٨)، كما حمل المدعو باسر أمين مكتبة قصر أمنحوتب الثالث لقب"المشرف على الأسرار فى دار الكتب(٥٩)، وفى النص التكريسى لمعبد سيتى الأول بأبيدوس؛ دعا رعمسيس الثانى بلاطه للحضور للاجتماع فجاء فى النص ما يلى "أنه قال مناديا معيته (بلاطه أو حاشيته) من القضاة والنبلاء ورؤساء الجنود ورؤساء دور الكتب ليحضروا أمام جلالته... (٦٠) وقد لقب أحدهم وهو تحوتى محب بلقب "رئيس أمناء المخطوطات".(٦١)

لقد أمدنا الدكتور شعبان خليفة(٦٢) بقائمة طيبة بأسماء بعض أمناء المكتبات الفرعونية، وبعضاً من ترجماتهم؛ قوامها ثلاثة وعشرون أمين مكتبة، سوف نوردها مضافاً إليها إثنى عشر اسماً آخر استخلصناها من المصادر والمراجع المختلفة.(٦٣)

---

(٥٨) Hegazy, S., and Mtosi., Atelin Private tamb No. 295, London, 1980, p.13.

(٥٩) لقد ورد هذا الرقم فى لوحة رقم C.65 بمتحف اللوفر. راجع:
Pierret Recueil d, inscriptioms inedites du Musee Egyptian du louver, Paris, 1875. Vol. II, P.46.

(٦٠) Bressted, op.cit., vol III p.264.

(٦١) Gardiner, A.H., Late Egyptian Miscellanies, Bruxell, 1937, P.XIX

(٦٢) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٩٥

هذا ولم نستطع التحقق من المكتبة التى كان يعمل بها كل من سبكاف عنخ واخت إيرن (رقمى ١١،١٠ فى الجدول) من الدولة القديمة وقد تأكدنا من أنهما كانا يعملان كأمناء مكتبات فى مصر الفرعونية من خلال ألقابهما حيث اتخذ الاول لقب "المشرف على المكتبة"، واتخذ الثانى لقب"المشرف على مكتبة الإله، أو المشرف على دار الكتب المقدس" راجع. احمد سليم. المرجع السابق، ص ٨٩.

(٦٣) أحمد سليم. المرجع السابق، ص ٨١-١٠٦؛ عبد العزيز صالح. المرجع السابق؛ وما بهما من مراجع، انظر ايضاً المراجع المثبتة فى الهوامش السابقة.

جدول رقم (١)

أسماء بعض أمناء المكتبات الفرعونية

والمكتبات التي كانوا يعملون بها

م	اسم أمين المكتبة	المكتبة التي كان يعمل بها	الأسرة التي ينتمي إليها
١	تحوت + سيشات	----	ما قبل الأسرة الأولى
٢	وحم كا	أمين مكتبة قصر الملك خوفو	الأسرة الرابعة *
٣	من حبو	أمين مكتبة قصر الملك خوفو	الأسرة الرابعة*
٤	حلحاتور تيكوتنخ	أمين معبد الشمس (أبوصير)	الأسرة الخامسة
٥	سيتي زيسب	أمين قصر الملك أسيسي	الأسرة الخامسة
٦	خنيو	أمين قصر الملك بيبي الأول	الأسرة السادسة
٧	زاو بن خوى	أمين قصر الملك بيبي الثاني	الأسرة السادسة
٨	كاشمن	مكتبة قصر الملك بيبي الثاني	الأسرة السادسة*
٩	آري	مكتبة قصر الملك بيبي الثاني	الأسرة السادسة*
١٠	شبسكاف عنخ		الدولة القديمة*
١١	إخي إيرن		الدولة القديمة*
١٢	خنم اردو	مكتبة الملكة نفروكايت	الأسرة الحادية عشرة*
١٣	إيحا		الأسرة الحادية عشرة*
١٤	منتوحتب	مكتبة سنوسرت الأول	الأسرة الثانية عشرة
١٥	سيهيب – يري	مكتبة قصر سنوسرت الثالث	الأسرة الثانية عشرة
١٦	سننموت	مكتبة قصر تحتمس الثالث	الأسرة الثامنة عشرة
١٧	رخمي – رع	مكتبة قصر تحتمس الثالث	الأسرة الثامنة عشرة
١٨	جحوتي مس	مكتبة قصر تحتمس الرابع	الأسرة الثامنة عشرة
١٩	امنحوتب بن حابو	مكتبة قصر امنحوتب الثالث	الأسرة الثامنة عشرة
٢٠	باسر	مكتبة قصر امنحوتب الثالث	الأسرة الثامنة عشرة*
٢١	رعموس	مكتبة معبد أتوم تل العمارنة	الأسرة الثامنة عشرة
٢٢	أمين – إم – آن	مكتبة معبد رعمسيس الثاني بأبيدوس	الأسرة التاسعة عشرة
٢٣	تحوتي محب	مكتبة معبد الرمسيوم	الأسرة التاسعة عشرة*
٢٤	نفرحور بن نفرحور	مكتبة قصر سبتاح	الأسرة التاسعة عشرة
٢٥	بيباى	مكتبة قصر سبتاح	الأسرة التاسعة عشرة
٢٦	كنا	مكتبة قصر سبتاح	الأسرة التاسعة عشرة
٢٧	سيتي الثاني	مكتبة قصر سبتاح	الأسرة التاسعة عشرة
٢٨	آمون واح سو	مكتبة معبد سيتي الأول	الأسرة التاسعة عشرة*
٢٩	ماى	مكتبة قصر رعمسيس الثالث	الأسرة العشرون
٣٠	ريمحاب	مكتبة قصر رعمسيس الثالث	الأسرة العشرون
٣١	موسوى	مكتبة قصر رعمسيس الثالث	الأسرة العشرون
٣٢	شيد موسر	مكتبة قصر رعمسيس الثالث	الأسرة العشرون
٣٣	أشيحاب	مكتبة قصر رعمسيس الرابع	الأسرة العشرون
٣٤	- امنحوتب	مكتبة قصر رعمسيس التاسع	الأسرة العشرون
٣٥	حورى بن آون نفر	مكتبة قصر رعمسيس العاشر	الدولة الحديثة *

* الأسماء المميزة بهذه العلامة هي إضافات المؤلف على قائمة أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

ومن دراستنا لترجمات هذه الأسماء الخمسة والثلاثين لأمناء المكتبات الفرعونية نخرج بالمؤشرات التالية:

١-لقد تولى أمانة المكتبات الفرعونية رجال كانوا هم الذروة في مجتمعهم، فبعضهم كان يشغل بالإضافة إلى عمله كأمين مكتبة مناصب عدة مثل رئيس القضاة، رئيس المهندسين المعماريين، وزير للفرعون، مثل: سيتي – زيمب الذى كان أقوى رجل فى بلاط الملك اسيسى وكان أميناً لمكتبة قصره، ومنتوحتب أمين مكتبة سنوسرت الأول الذى لقب بسيد كتب الملك وصاحب الحضور الملكى، وامنحوتب بن حابو أمين مكتبة الفرعون أمنحوتب الثالث، وكان كاتباً ملكياً ووزيراً للأشغال العامة ورئيس الكهنة؛ فضلاً عن أنه كان مؤلفاً اشتهر بحكمه وأمثاله، وكان عالماً فى الكتب، ومساعداً فى تقديم المعلومات للفرعون. ولأهمية منصب أمين المكتبة فى مصر الفرعونية، وبحكم وظائفه كان يعين عضواً فى مجلس الحكم المسمى بمجلس الثلاثين(٦٤).

وفى النص التكريسى لمعبد سيتى الأول بأبيدوس؛ اشارة صريحة الى ذلك، حيث دعا رعمسيس الثانى بلاطه للحضور معه لافتتاح المعبد فجاء في هذا النص ما يلى "إنه قال منادياً معيته (حاشيته) من العظماء والنبلاء ورؤساء الجنود ورؤساء دور الكتب ليحضروا أمام جلالته..."(٦٥) وذلك يعنى أن أمناء المكتبات فى مصر الفرعونية كانوا من معيته الملك الفرعون مثلهم فى ذلك مثل الوزراء والعظماء وقيادات الجيش.

والخلاصة أن هذا المنصب كان رفيعاً فى المجتمع لا يعمل فيه إلا البارزون فى الفكر والأدب والفنون والقضاة بل والوزارة أيضاً.

---

(٦٤) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٨٣-٨٥ .

(٦٥) Breasted. op.cit., Vol III, P.264.

٢-وكان على من يشتغل فى وظيفة أمين المكتبة أو المشرف على المكتبة فى مصر الفرعونية أن يهتم بها كل الاهتمام ويعمل على تزويدها بالكتب وترتيبها، وتنظيمها وحفظها وصيانتها، وتيسير استخدامها، فقد أشارت إحدى النصوص القديمة الى هذه المهام؛ حيث يذكر خنم اردو أمين مكتبة نفرو كايت فى لوحة جنائزية عثر عليها فى دندرة، أنه قد أثار اهتمام نفرو كايت بحسن خطه فعينته فى مكتبة أمها الغنية بالمخطوطات والعلوم، ثم يشير إلى أنه قد زادت مجموعات المكتبة على يديه حتى لم يعد ينقصها شيئ، ثم يقول ما نصه "لقد رتبتها وجملتها، وأصلحت ما قد كان ناله العطب منها، وربطت ما كان محلولاً، ونظمت مما كان مرتبكاً"[٦٦]. وهذه إشارة واضحة للترتيب والتنظيم والصيانة، وهى المهام الموكلة بأمين المكتبة فى مصر الفرعونية.

٣-وكما كان لكل أمر فى مصر الفرعونية آلهة ترعاه وينتسب إليها، كان للمكتبات إلهان هما جحوتى (تحوت،توت) إله الفكر والقمر والملقب بذى المكانة فى دار الكتب، والربة سيشات (صافيخ) ربة الفكر والكتابة ودور الكتب والوثائق، كما لقبت بسيدة دور الكتب.[٦٧]

والحقيقة أن تحوت وسيشات لم يكونوا آلهة بالمعنى المعروف كالإله آمون، أو أتوم، وأوزير، ولكن أطلق عليهما ذلك على سبيل المجاز فقد كانا من النماذج الأولى لأمناء المكتبات فى مصر الفرعونية، فى عصر ما قبل الأسرة الأولى، وأنهما كانا من البشر، ولأنه ينسب إليهما اختراع الكتابة وتدوين الكتب الأولى وتطوير بعض العلوم والمعارف وإنشاء المكتبات الأولى، إتخذهما المكتبيون المتعاقبون نموذجاً ومثلاً لهم وخلعوا عليهما صفات الألوهية، وقد

---

[٦٦] أحمد سليم. المرجع السابق، ص ٩٠ .

[٦٧] عبد العزيز صالح. المرجع السابق ، ص ١٣٦٠؛ أحمد سليم. المرجع السابق ، ص٩٨ ؛ شعبان خليفة . المرجع السابق ، ص٩٣ .

حدث هذا بالفعل للعديد من الآلهة المصريين القدماء حيث كانوا بشـرا ولأنـهم كانوا رواداً فى بعض الأمور وقد برعوا فيها، وقد اتخذها المتعاقبون عليهم مثالاً والهة. من ذلك إيمحتب إله الطب والهندسة فقد كان كاتباً وطبيباً ومهندساً فـى عصر زوسر، ثم صار فى عصر الدولة الوسطى نصـف إلـه وقـد اتخـذه المصريون إله للطب مع نهاية العصر الفرعونى وبروز العصر البطلمـى(٦٨)، ومما يؤكد ذلك أننا نلمس فى جميع الكتابات التى وصلتنا وتنسب إلى تحوت أنه كان بشراً من ذلك ما ورد فى تعويذة منقوشة على تابوت عثر عليه فى أسـيوط ترجع إلى عصر الدولة الوسطى جاء فيها ما نصه "... تبعـاً للكتابـات التـى وضعها جحوتى للإله أوزيريس فى دار الكتب المقدسة(٦٩)

كذلك وصف نفسه فى كتابات أخرى بأنه "أداة الكتابة للإله الواحد الـذى ينطق بكلماته"(٧٠) وقد نسب إليه اختراع الكتابة وفصل اللغات وتسجيل الأحـداث التاريخية والقوانين(٧١)، لذلك أعتبر حامى الكتب، والتى هى الرمز المادى للعلـم والمعرفة، وحامى كتابها ومؤسساتها وهى المكتبات. وأما سيشات فقـد لقبـت بسيدة الكتابات وسيدة دار الكتب، ومقدمة دار الكتب المقدسة، وكـانت زوجـة تحوت، وهى أول أمينة مكتبة فى التاريخ، وقد إتخذها المصريون ربة للمكتبـات حتى العصر البطلمى الذى شهد ظهور ربة أخرى تحمل صفات سيشات وألقابها هى حتحور، وهى غير حتحور ربة الولادة والسعادة والأماكن البعيـدة والتـى عرفت منذ الدولة القديمة(٧٢).

---

(٦٨)Hayes, the Scepier of Egypt, New York, 1963,. 1,p.188-199.

(٦٩) محمد العزب موسى. ايمحتب اله الطب والهندسة .- القاهرة : هيئة الاثار المصرية، ١٩٨٤ . صفحات متفرقة .

(٧٠) Fowltner, O.. The ancient Egyptian ., London, 1978.p.54-55 .

(٧١) للمزيد عن تحوت راجع : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص٩٤-٩٥.

(٧٢) Bleeker. C.J. Hathor and Thatf two key Figures of the ancient Egyption Religion.- Leiden. 1973. p 69

٣/٢-مقتنيات المكتبات الفرعونية

وكثيراً ما وصفت المكتبات المصرية فى عصر الفراعنة بنوعيها الخاصة والملحقة بالمعابد، بصفة التقديس، أو بأنها مقدسة، من ذلك: دار كتب الإله، دار الكتب اللالهيه، دار الكتب المقدسة. ومن النصوص التى أوردت هذه الصفات ما سجله حجر بالرمو أن فرعون مصر ساحورع "عمل أثاره للتاسوع فى دار الكتب المقدسة"[٧٣]، وعلى الرغم من أن هذا السياق يشير إلى افتراض الصفة الدينية للمقتنيات، إلا أنه فى الواقع أن هذه المقتنيات لم تكن تبحث فى المجموعات الدينية فقط، وإنما تعدتها إلى أصول الفلك، وقواعد الفنون، والطب، والجغرافية، والتاريخ، أى أنه لم يكن ينقصها التنويع فى الموضوعات، وإن شملت القداسة محتويتها جميعاً.

وفى رواية نفرحتب أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة أنه كان "شغوفاً بأن يرى كتابات أتوم ويبحث فيها ويتعرف على تكوين التاسوع وقرابينه وظهوره. وأن يتعرف على الإله أوزير فى صورته حتى يصوغ له تمثاله وفق ما كان عليه فى العهد القديم. . ."، ويتبين لنا من هذا النص أن ما أطلع عليه نفر حتب لم يكن دينياً خالصاً، وأنما كان فيه ما هو أقرب إلى كتب الفن بحيث يوضح جسد أوزير ووجه وأصابعه، ويؤكد علاقة مقتنيات دور الكتب بقواعد الفنون فضلاً عن الدين. وتحدثت نصوص أخرى عن تصوير للأرباب التاسوع بمعبد رعمسيس الثانى فى أبيدوس من ذلك ما نصه ". . . فى هيئاتهم خلقها بتاح ووفقاً لمخطوطات تحوتى فى السجل الكبير الموجود بدار الكتب" وروى فى نص أخر على لسان رعمسيس الثانى معرفته بشئون المعبود بمعنى رب النيل "الثابتة فى حالة المخطوطات المسجلة بدار الكتب"[٧٤].

---

[٧٣] راجع ص ٦٣ من الفصل الثانى وما به من هوامش

[٧٤] عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ص ٣٦٣

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن أن نستدل من لوحة المجاعة أن مكتبة الأشمونيين كانت تحفظ ضمن مقتنياتها بكتب جغرافية، ذلك أن الكاهن الذى أرسله زوسر ليسترشد بمقتنيات المكتبة، قدم له الكاهن بعد عودته تقريرا مفصلا لكل ما تمكن معرفته عن منطقة الشلال؛ حيث وجد بيانات عن وصف لمنطقة فيلة وتعداد أسمائها الأسطورية، والنيل والفيضان، وصفات الإله خنوم والمحاصيل المختلفة وألقابه، والألهه الموجودة بمعبده وأسماء الأحجار والجبال والمحاصيل المختلفة، وهكذا يبدو لنا أن لوحة المجاعة هذه جزء من سجل جغرافى عن المنطقة[٧٥]

وكذلك فنحن لا نشك فى أن هذه المكتبات الفرعونية قد حوت كتب فى التاريخ والرياضيات والفلك والطب والعمارة والقانون فضلاً عن الأعمال السحرية، فقد وصلتنا برديات كثيرة تبحث فى هذه الموضوعات، من ذلك بردية **Salt825** الخاصة بالأعمال السحرية والدينية، والتى أطلقت عن الكتب التى فى المكتبة لفظ "أرواح رع أو قدرات رع (باورع) وتذكر أن هذه الكتب هى التى تعطى للإله أوزير الحياة وتقضى على أعدائه[٧٦]، وكذلك بردية تورين التاريخية، وبردية أدوين سميث الطبية أيضاً وبرديات الحكمة والفلسفة والأخلاقيات مثل بردية بريس التى تحتوى على تعاليم بتاح حوتب، وبردية بولاق التعليمية، والبرديات القصصية وكتب الموتى وغيرها[٧٧] لقد كانت هذه البرديات من الشهرة والزيوع بحيث لا نجادل فى وجودها ضمن مقتنيات مكتبات المعابد المصرية القديمة.

---

(٧٥) سمير أديب . المرجع السابق ، ص١٣١

(٧٦) Derchain. P . Les papyrus salt 825 Bruxelles 1915. p 55

(٧٧) انظر ص ٣١ من الفصل الأول، وراجع أيضا حسن رجب. المرجع السابق، ص١٢٨ ١٤

وهكذا فإن مكتبات المعابد لم تقتصر على الكتب الدينية فقط، وإنما تنوعت كتبها لتشتمل المعارف الدنيوية وكانت من الكثرة عدداً أن وصلت في إحدى المكتبات عشرين ألف كتاب في مكتبة معبد الرامسيوم، وفي نص من بردية تورين ترجع إلى عهد رعمسيس الثاني جاء فيه "إنني أقطن في دار الكتب المحتوية على ملايين الكتب الكبيرة"(٧٨)، وهكذا رغم ما في هذا النص من مبالغة – في رأي الباحث – إلا أنه ينم على عظمة مجموعات هذه المكتبة، وكثرة عددها.

وأما المكتبات الخاصة فقد شابهت مكتبات المعابد من قدسية مجموعاتها وتنوع موضوعاتها لاسيما مكتبات القصور، أما المكتبات التي كان يمتلكها الأفراد فقد كانت تتراوح ما بين عدد قليل من لفائف البردي إلى مجوعات كبيرة تناولت معظمها شجرات الأنساب وسجلات الأعمال ونسخ من الكتب الدينية وبعض البرديات الخاصة بالقصص والتعاليم والمواعظ والأخلاق، والسحر والتمائم والتعاويذ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، وفي محاولة للتعرف على طرق الفراعنة في تزويد مكتباتهم بالكتب يقابلنا صمت شديد للمصادر والمراجع على السواء، فقد ضنت علينا معلومات يمكن أن نستقرأ منها سياستهم الإقتنائية، ولكن في ضوء دراستنا لدور المعابد ومحتويات مكتباتها فنحن لا نشك في أن هذه المكتبات قد اعتمدت بصفة أساسية على النسخ في بناء وتنمية مجموعاتها، فقد كان ضمن ملحقات المعبد دار للتدوين والنسخ، وفيها تُألف الكتب وتُدون الرسائل وتُنسخ النصوص، ويتم تصنيفها وترتيبها وتبويبها. وفي رحاب هذه المعابد نسخت آلاف النسخ من كتب الموتى، وكان يعمل في كل من هذه المعابد عدد

(٧٨) Rossi, F, Etpleyte papyrus de turin.- Leiden, 1916, p. 29 .

غير قليل من الناسخين والمحرربين لهذه المهمة، وكان يحتفظ ببعض من هـذه الكتابات فى مكتبة المعبد، فقد ذكر صراحة فى أكثر من موضع أنه كان يحتفظ فى دار الحياة بالحوليات التى كانت تكتب بواسطة كتبة دار الحياة.(٧٩)

كذلك فإن من الطبيعى أن تعتمد المكتبات الفرعونية لاسيما الخاصة منها على الشراء كمصدر أساسى لتزويد مكتباتهم، وكان بعض مالكيها يستخدمون كاتباً أو أكثر لنسخ الكتب وبعضهم كان يجمع بين الطريقتين فى التزويد والشراء والنسخ.(٨٠)

٤/٢- الفهرسة والفهارس

ومن المؤكد أن هذه المكتبات المصرية القديمة كانت لديها طرقاً معينة لترتيب وتنظيم مقتنياتها من لفائف البردى والاوستراكا واللخاف، لاسيما إذا كان عددها كبيراً، كما هو الحال فى مكتبة معبد الرمسيوم فى عهد رعمسيس الثانى، وذلك لإمكانية استرجاعها وقت الحاجة إليها، فقد كان لكل مكتبة فهرسها الذى يدل على ما فيها من كتب، وكان هذا الفهرس يأخذ الشكل البطاقى؛ فقد أثبتت الأدلة الأثرية أن المصريين القدماء توصلوا إلى عمل بطاقات فهرسة للكتب؛ سجل عليها عنوان الكتاب، واسم مؤلفه وتمليكة صاحبه، وكانت تثبت هذه البطاقات على الصناديق أو الخزانات التى تحوى الكتب. من ذلك يحتفظ المتحف البريطانى ببطاقة مصنوعة من القيشانى تحت رقم 22878 كان قد عثر عليها مع لوحات تل العمارنة وهى ترجع إلى عصر الملك أمنحتب الثالث، ويبلغ حجمها ٦,٢سم×٣,٨سم، وقد سجل على هذه البطاقة عنوان الكتاب **"كتاب شجرة الجميز وشجرة الزيتون"** وأعلى العنوان سجلت تمليكة صاحبه "الإله الطبيب نب- ماعت-رع إله الحياة، محبوب بتاح، ملك الأرضين، وزوجته الملكة تى لها

---

(٧٩) راجع عبد العزيز صالح . المرجع السابق . ص٢٢١- ٢٢٣ .

(٨٠) Person, Elmer D. op. 35.

الحياة"[٨١]. ويشير ذلك إلى أن هذه البطاقات كانت لأحد الكتب الموجودة فى مكتبة قصر أمنحتب الثالث وزوجته تى.

ويبدو أن المكتبة كانت تحفظ مقتنياتها فى صناديق، وكان يثبت على صندوق البطاقة أو البطاقات الدالة على ما فيه، حيث يوجد فى أعلى بطاقة أمنحتب الثالث المستدير ثقبان، وربما يكون ذلك لإدخال السلك منهما وتعلق، أو تثبت على الصندوق أو على الجدران.[٨٢] ولكن هل كان للمكتبة فهرس عام يدل على ما فيها من مقتنيات؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يرى "بيرسون"[٨٣] أن فهارس المكتبات المصرية القديمة كانت عبارة عن قوائم بالكتب المحتواه فى المكتبة أو أحد قاعاتها، وكانت تكتب على البردى وتعلق على جدران المكتبة فى الخارج أو كانت تنحت على الجدران كلما أمكن ذلك. ومن الجائز أن يثبت صواب هذا الرأى فى المستقبل إذا ما اكتشفت أدلة أثرية مادية أو نصية تشير إلى ذلك،وأما حتى الآن فليس بين أيدينا ما نعول عليه توافر هذا الشكل من الفهارس فى مصر الفرعونية، وأما فهرس مكتبة معبد إدفو الذى يستند إليه الباحثون فى الحديث عن شكل الفهارس المصرية القديمة، فإنما هو يرجع إلى أواخر العصر البطلمى، وليس عصر الأسرات الفرعونية، وسوف نتناوله بالتحليل عند حديثنا عن المكتبات المصرية فى العصر البطلمى.

٥-خدمات المكتبات الفرعونية

ولم تكن المكتبات فى مصر الفرعونية بمثابة دور لحفظ الكتب فقط، وإنما استخدمت كذلك للقراءة والاطلاع، وهو الهدف المستهدف من إنشائها،

---

(٨١) Besold, C. and E. A. Budge. The tell EL – Amárna Tablets in the Britih Museum .- London, 1892, P.X

(٨٢) -أحمد سليم . المرجع السابق ، ص٨٦-١٨٧ وانظر أيضاً اللوحة رقم ٥)

(٨٣) Parson, Elmer D,op. Cit, p.40.

فبدون استخدام المقتنيات تصبح المكتبة مجرد مخزن لا مبرر لوجوده، وهنـــاك العديد من النصوص القديمة التي تؤكد هذه الحقيقة نذكر منها على سبيل المثال:

-ورد في لوحة المجاعة المشار إليها سلفاً ما نصه على لســان الحكيــم أيمحوتب "سأدخل إلى دار الحياة، وسأفتح قدرات رع وسأسير على هديـــها"[٨٤]، والمقصود بقدرات رع هنا هي الكتب نفسها[٨٥]. أي أنه سوف يفتح الكتب فـــي مكتبة الأشمونيين ويقرأها ويسترشد بها في كتابة تقريره للملك زوسر عن موارد النيل والإله المتحكم فيها لعلهم يستطيعون الخروج بالبلاد من مأزق المجاعة.

-وفي أحد النصوص الخاصة بالملك رعمسيس الثاني في أبيدوس يظهر الملك وهو يبحث في حوليات الإلـــه تحــوت الموجــودة فــي مكتبــة معبــده بأبيدوس.[٨٦]

-من ذلك أيضاً نص على لوحة من الحجر الجيري محفوظة بـــالمتحف المصري تتصل بمكتبة معبد أتوم في هليوبوليس عهد الملك نفرحتب الأول مـــن الأسرة الثالثة عشرة، جاء فيه ما نصه "إنني أرغب في رؤية الكتابات القديمـــة للإله أتوم. . . . وأعرف الإله على صورته حتى أستطيع تصويره مثلما كان من قبل. . . أيها الملك لتتقدم جلالتك نحو الكتب لترى جلالتك كل الكتابات المقدسة. وتقدم جلالته إلى المكتبة وفتح مع رفاقه جميعهم الكتب ووجد جلالته كتب معبــد أوزير أول الغربيين سيد أبيدوس. . . مثلما رآه جلالته في الكتب ورأى صورته ككل لمصر العليا والسفلى. . . ."[٨٧]ويشير هذا النص إلى أن الملك بحث فـــي

---

(٨٤) أحمد سليم . المرجع السابق ، ص٩٥؛ عبد العزيز صالح . المرجع السابق ، ص٢٢٦؛ سمير أديب - المرجع السابق ، ص ١٥٩-١٦٠

(٨٥) Wilson, J. A., The Tradition of seuen lean years in Egept, ANET, (1969), p. 31.

(٨٦) أحمد سليم . المرجع السابق، ص٩٢.

(٨٧) المرجع السابق ، ص٩٩-١٠٢، وانظر أيضاً :

Mariette, Catalouge general des monuments d' Abydes decsverts pentant les fouilles de cette ville, paris, 1880, p.233, No766

مقتنيات المكتبة واستخدمها ليتحقق من معلومات أراد أن يقف عليها، وهى الهيئة الخاصة بالإله أوزير، حتى يتمكن من عمل تمثال له وفقاً لما كان عليه فى بداية العالم.

-ورد فى لوحة بمتحف اللوفر رقم C.232 ما نصه "يا أيها المطلع فى دار الحياة، والمكتشف لطرق الآلهة، والمدرك لكتابات دار الكتب والمفسر لأسرار قدرات وأرواح رع (الكتب). . ."[88]، ومن استنطاق هذا النص نعرف أنه كان فى مكتبة دار الحياة مطالعون يقرأون ويستخدمون مقتنياتها.

وعلى الرغم من أن كل مقتنيات المكتبات الفرعونية كانت متاحة للاستخدام إلا أنه كان هناك بعض الكتب السحرية والدينية والتى تحتوى على الطلاسم، والتعاويذ، وكذلك البرديات التى تتضمن دعوات لحماية إله الشمس من هجمات الشيطان (أبوفيس)، وحماية الفرعون من كل الأضرار، هذه الكتب لم يكن يسمح لأى فرد عادى أن يطلع عليها أو يراها لأهميتها وقدسيتها، وذلك باستثناء بعض الأفراد المهمين أو الذين لهم صلة بهذه الكتابات مثل الملك نفسه باعتباره كبير الكهنة والإله الأعظم للبلاد، وكذلك كبير الكهنة المرتلين والكهنة وحافظى البخور وهم الذين يشتركون فى أداء الطقوس الدينية، وكذلك واضعيها من كتاب المعابد حيث تسنح لهم الفرصة جميعاً سواء فى النسخ أو أداء الطقوس قراءتها، فقد فقد ورد ببردية هيراطيقية سحرية محفوظة الان بالمتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم CCG58027 ما نصه ". . . الكتاب السرى الذى لا تراه عين، ما عدا الملك نفسه وكبير الكهنة المرتلين، والمختص بحفظ البخور فى دار الحياة. . ."[89] ونفس المعنى ورد فى بردية Bremner Rhind المحفوظة

---

(٨٨) سمير أديب . المرجع السابق ، ص ١٥٧

(٨٩) المرجع السابق . ص ١٠٧

بالمتحف البريطانى تحت رقم 10188 حيث ورد فيها ما نصه ". . . هذا الكتاب السرى فى دار الحياة الذى لا تراه؟ الكتاب السرى لقهر أبوفيس..."(٩٠)

وفى نقش ورد على مقبرة المدعو تى بسقارة، وكان مشرفا على أهرامات ومعابد الشمس فى أبو صير زمن الأسرة الخامسة، فقد ورد فى هذا النقش ما نصه "لقد اطلعت على كل الأسرار فى دار الكتب المقدسة"(٩١)وذلك حيث إن وظيفته كانت تتطلب الاطلاع على الكتب السرية لأداء الطقوس الدينية.

وهكذا يمكن أن نخرج من هذه النصوص بحقيقة مؤداها أن المكتبات الفرعونية، قد وجدت أساسا للاستخدام والقراءة، وأن المثقفين كانوا يترددون على هذه المكتبات؛ يلجأون إلى كتبها ذات المعارف المتنوعة بحثا عن ما يريدونه من معلومات ... وذلك فيما عدا بعض الكتب السرية أو التى تشمل على تعاويذ سحرية والخاصة ببعض الطقوس الدينية، والتى ذكرت النصوص أن قراءتها كانت حكرا على الملك والكهنة فقط.

وبالاضافة إلى هذا النشاط؛ **الاطلاع الداخلى** لمقتنيات المكتبات قدمت المكتبات المصرية الفرعونية خدمة أخرى لمن تحول ظروفهم دون الانتقال إليها هى **خدمة الإعارة الخارجية**، وكان لها آدابها وشروطها؛ فقد أورد الدكتور شعبان خليفة نصا يرجع إلى عهد تحتمس الثالث نقش على مقبرة الوزير رخمس– رع الذى كان يعمل وزيرا وقاضيا وأمين مكتبة، حيث ذكر ما نصه "... وفى حالة قيام الوزير بدور رئيس القضاة فى قضية ما، وعندما يحتاج إلى أية وثائق أثناء المحاكمة من المكتبات فإن هذه الكتب ترسل إليه موثقة من جانب أمين المكتبة ومختومة بخاتم الوزير وتعاد إلى المكتبة فى مكانها الأصلى،

---

(٩٠) المرجع السابق ، ص ١٥٧

(٩١) Wild, I' Adresse aux vissteuro dutombeau de Ti, annales du seruice des antiqueties de I' Egypt, (1959) p. 104-106

ويضيف هذا التقرير، وإذا طلب رئيس القضاة كتاباً من الكتب السرية فلا يجب أن يخرج من المكتبة إلى المحكمة ولا يأخذه الخزنة إلى هناك".[٩٢]

ويستفاد من هذا النص أنه كان للإعارة الخارجية فى المكتبات الفرعونية اجراءتها التى تتضمن ضبط واقعة الإعارة لحفظ وسلامة المقتنيات من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه لم يكن يسمح بأى حال من الأحوال بالإعارة الخارجية للكتب السرية لأى شخص مهما كان وإنما اقتصر استخدامها داخل المكتبة فقط على حفظ بعض الأفراد كالملك والكهنة.

الخلاصة:

تبين لنا فيما سبق أن المكتبات قد وجدت فى مصر من بداية الدولة القديمة وانتشرت فى جميع أقاليم مصر طيلة عهد الأسرات، وقد وجد منها نوعان رئيسيان هما المكتبات الخاصة ومكتبات المعابد وكان لها نظمها الإدارية والفنية التى تتفق مع طبيعة مقتنياتها وتلبية احتياجات المجتمع إذ ذاك. كما يذكر للمكتبات الفرعونية أنها لم تكن مجرد خزائن لحفظ الكتب ولكنها كانت مقاراً للأنشطة والخدمات المكتبية،فوفرت لجمهورها خدمات الاطلاع الداخلى والإعارة الخارجية وكان لها أيضاً نظمها التى تعمل على ضبط عملية الاستخدام من ناحية، والحفاظ على مقتنيات المكتبات من ناحية أخرى.

لقد ظلت مصر الفرعونية حتى نهاية عهد الأسرات مهداً للعلم والمعرفة، فقد ذكرت عنها الأوديسيا وهى من أقدم مصنفات الاغريق أنها بلد الأطباء أحكم أهل العلم، ويذكرمؤرخوهم أن حكمة مصر وعلمها كانت الملهمة للمشرع سولون، وللفيلسوف طاليس الذى تعلم من أسرار كهنتها ونقل عنهم الهندسة وكذلك بيتا جوراس الذى قضى بمصر حوالى ٢٢سنة ليتعلم الفلك والهندسة فى

[٩٢] شعبان خليفة . المرجع السابق ، ص٨٨

معابدها، وأفلاطون الذى تعلم فيها الحكمة واللاهوت والعلوم، وكذلك تلميده يودكسوس الكنيدى الذى تعلم فيها الفلك(٩٣)

وكان ذلك بفضل ما وفره لها ملوكها من مراكز ثقافية ومعابد كبيرة ومانتضمنه من مكتبات عظيمة بمحتوياتها من الكتب والبرديات.

لقد استطاعت المكتبات المصرية أن تخدم جانباً من المطالب الثقافية الحضارية عند أهلها، وحسبها أنها مثلت نقطة بداية وأساس لما تلاها من مكتبات فى عصور لاحقة، أما قول استرابو Strabos أن أرسطو هو "أول من جمع الكتب، وهو الذى علم المصريين كيف يؤسسون مكتبة(٩٤) هو فى الحقيقة قول لم يعد يقوى على الصمود أمام تلك الحقائق التاريخية المدعمة بالأدلة والبراهين .

وفى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد يغزو الإسكندر الأكبر مصر وينهى حكم الاسرات الفرعونية، وينشئ قواده دولة البطالمة وبذلك ينتهى عصر من تاريخ مصر السياسى والاجتماعي والاقتصادى والدينى والفكرى وتنتهى مع صفحة من صفحة من تاريخ المكتبة المصرية عبر عصورها التاريخية، لكى تبدأ صفحة أخرى جديدة إذ شهدت مصر إبان الحكم البطلمى نهضة مكتبية رائعة قوامها إنشاء أعظم مكتبات العالم القديم على الاطلاق وهى مكتبة الإسكندرية، فضلا عن مكتبات المعابد المصرية ومكتبات العلماء، وما قامت به من دور فى التاريخ والحضارة الإنسانية وهذا ما سنتناوله تفصيلاً فى الدراسة القادمة

---

(٩٣) عبد العزيز صالح . المرجع السابق ، ص ٣٥١

(٩٤) Encyclopedia of Librarianship, London: Bowes and Bowes, 1958, 203

الدراسة الثالثة
المكتبات فى مصر
إبان العصر البطلمى الرومانى

شهدت مصر إبان عصر البطالمة والرومان نهضة مكتبية متعددة الأطراف؛ فقد أراد ملوكهم أن يجعلوا من دولتهم كعبة للعلم والعلماء، فأنشأوا "الموسيون" وألحقوا به مكتبة كبيرة حوت نسخاً من النتاج الفكرى العالمى، ويسروا للعلماء سبل الإقامة بمصر لإجراء البحوث والتجارب والدراسات؛ فوفد العلماء إلى الإسكندرية، وكذلك الباحثون والفلاسفة من شتى الأصقاع، لاسيما بلاد اليونان، وأصبحت الإسكندرية عاصمة البلاد؛ هى عاصمة الأدب والعلم والفلسفة للعالم المتحضر فى ذلك الوقت، وعلى الجانب الآخر اهتم البطالمة بالمعابد المصرية وألحقوا بها المكتبات التى كانت تعج بالمؤلفات والكتب الدينية والدنيوية.

ويهدف هذا الفصل إلى رصد حركة المكتبات فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى؛ وذلك من خلال الحديث عن ثلاثة محاور. خصص المحور الأول للحديث عن أشهر مكتبات العالم القديم؛ مكتبة الإسكندرية: نشأتها وتطورها، ومواردها، ونظمها، وخدماتها، والعاملون بها، ودورها فى المجتمع، وتحدثنا فى المحور الثانى عن نهاية مكتبة الإسكندرية، وما أثير حول هذه النهاية من جدل ومناقشات وظروف ذلك، وتناولنا فى المحور الثالث المكتبات المصرية الأخرى غير مكتبة الإسكندرية؛ وهى مكتبات المعابد والمكتبات الخاصة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى.

١-مكتبة الإسكندرية

بدأت فكرة المكتبة والتخطيط لها على يد بطليموس الأول (سوتير) وريث الإسكندر الأكبر ومؤسس الدولة البطلمية فى مصر؛ فقد فطن الرجل منذ البداية إلى أنه إذا كانت قوة الجيش والسلاح ضرورية للحفاظ على مملكته والزود عنها وربط رقعتها، فإن رعاية العلوم والفنون والآداب هى أنجح وسيلة يمكن أن تكسبه ودولته شهرة ومجداً بل وخلوداً.

ولذلك جمع حوله نخبة كبيرة من الرجال البارزين فى الأدب والفلسفة والعلوم والفنون، كان قد استقدمهم من مختلف بلاد اليونان، وييسر لهم سبل القيام بأبحاثهم العلمية، وكان فى طليعة هؤلاء الرجال صديقه الفيلسوف دمتريوس الفاليرى الذى كان قد وصل إلى الإسكندرية كلاجيء سياسى[1]، وقد أعجبه حرص سوتير ورغبته فى أن تصبح الإسكندرية – عاصمة مصر إذ ذاك مركزاً للثقافة والعلم والحضارة فاقترح عليه إنشاء مجمع علمى تلحق به مكتبة كبيرة وسمى هذا المجمع "الموسيون Mouseion" وهى كلمة يونانية تعنى "معبد ربات الفنون والعلوم اللاتى يوحين للشاعر والكاتب والمفكر"، فلاقت الفكرة قبولاً لدى بطليموس، وعهد إليه بتنفيذها، وعينه مديراً ومشرفاً على الموسيون أو المتحف ومكتبته، وسخر له من المال ما شاء من أجل شراء الكتب وجذب العلماء الأجانب إلى الإسكندرية.[2]

---

(1) كان ديمتريوس الفاليرى واحدا من المشائين فى مدرسة أرسطو، وقد استطاع أن يحكم أثينا مدة عشر سنوات، إلى أن طرد عام ٣٠٧ ق. م ، ثم ذهب بعد ذلك إلى مدينة طيبة بواسطة اليونان، ومنها فر لاجئاً إلى سوتير فى الإسكندرية فى سنة ٢٩٧ على الأرجح، وكان إلى جانب كونه سياسياً كان كاتباً فيلسوفاً غزير الإنتاج، ولكن نزعته القديمة للاشتغال بالسياسة دعته إلى التدخل فى النزاع الذى شب بين أبناء بطليموس الأول بعد وفاته على وراثة العرش فوقف مع الابن الخاسر فكان مصيره السجن والموت. للمزيد عن ترجمته راجع. مصطفى العبادى. مكتبة الأسكندرية القديمة : سيرتها ومصيرها .- باريس : اليونسكو، ١٩٩٢ .- ص ٧٥-٧٦؛ سمير يحيى الجمال. تاريخ الطب والصيدلة المصرية: العصر اليونانى الرومانى.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.- ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(2) مصطفى العبادى. المرجع السابق، ص ٧٣-٧٥؛ سمير يحيى الجمال. المرجع السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧ إبراهيم نصحى. تاريخ التربية والتعليم فى مصر، الجزء الثانى : عصر البطالمة · القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ – ص ١٤٣؛ سعد محمد الهجرسى همسات ونداءات فى آفاق القراءة والكتب والمكتبات . ص ٤٦٧.

Johnson Elmero Ahistory of libraries in the western world.- New York: The Scarecrow press 197^ P 51

Jackson Sidney L Libraries and Librarienship in the west Abrief Histor N Y: Mc Graw Hill Book Compan 974 P 9

وهكذا لم يكن القصد إنشاء المكتبة لذاتها، وإنما خدمة للمؤسسة الأم؛ وهى الموسيون أو المتحف، وكان على المكتبة منذ البداية أن تسعى إلى تحقيق هدف هذه المؤسسة التى تنتمى إليها وهو "**تيسير سبل البحث العلمى**" لذلك عملت هذه المكتبة على جمع التراث الإنسانى وتحريره وتنظيمه وتقديمه للباحثين والقراء، وفى هذا السياق يذكر إراناروس Iranarus من القرن الثانى الميلادى، "إن بطليموس بن لاجوس كان يهدف إلى أن يزود المكتبة التى أسسها فى الإسكندرية بكتابات جميع الشعوب التى هى جديرة بالدراسة الجادة"[٣]، وكانت نواتها مجموعة من كتب المعابد المصرية القديمة والمكتبات الخاصة التى استولى عليها البطالمة، يضاف إليها ما أمكن جمعه من المكتبات اليونانية وخاصة مكتبة أرسطو التى نقلها دمتريوس من أثينا إلى الإسكندرية (وسوف نعود لمناقشة هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد).

وفى عهد بطليموس الثانى (فلادلفوس ٣٠٨ ق.م – ٢٤٦ ق.م) ازدهرت المكتبة ازدهاراً واسعاً حتى نسبها بعض المؤرخين إليه[٤]، واستمرت فى النمو والازدهار إلى حد أنه فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد؛ أى بعد

---

[٣] مصطفى العبادى . المرجع السابق ص ١٧٤؛ وأنظر أيضا:
Irenaeus, Adversus Heareses III, 212 apud Eusebjus, histaria Ecclesiastica, Vol 8, P. 11-15.

[٤] ينسب بعض الباحثين إنشاء مكتبة الإسكندرية إلى بطليموس الثانى وليس إلى سوتير استناداً إلى رواية ارستياس حيث ذكر أن الترجمة السبعينية للتوراة إلى اليونانية قد حدثت فى عهد فلادلفوس بناء على اقتراح من ديمتريوس الفاليرى الذى كان مسئولاً عن مكتبة الملك، وفى رواية أخرى مخالفة تشير إلى أن سوتير هو مؤسس المكتبة وليس فلادلفوس حيث روى إنيوس فى القرن الثانى الميلادى "أن بطليموس بن لاجوس كان يهدف إلى أن يزود المكتبة التى أسسها فى الإسكندرية بكتابات جميع الشعوب. ونحن بدورنا نرجح الرأى الثانى على اعتبار أن احتمال ارتباط دمتريوس بفلادلفوس أو قيام تعاون بينهما أمر مستحيل، فالثابت تاريخياً أن فلادلفوس عقب سيطرته على الحكم قبض على دميتريوس وأبعده إلى الدلتا حيث توفى أو أعدم ودفن فى أبى صير. للمزيد راجع حاشية (١) عاليه ومابها من مصادر، راجع أيضاً: سعد الهجرسى المرجع السابق، ص ٤٦٩

نصف قرن من إنشائها ضاق المبنى الأصلى للمكتبة بما فيه من الكتب، مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية فى معبد السرابيون؛ عرفت باسم المكتبة الصغرى، تمييزاً لها عن المكتبة الأم، وكان ذلك فى عهد بطليموس الثالث (يوارجيتس ٢٤٦ – ٢٢١ ق.م). ومن الجدير بالإشارة أن هناك العديد من الكتاب الحديثين نسبوا إنشاء هذه المكتبة الصغرى لفيلادلفوس [٥]وليس لابنه يوارجتيس، ولكن لحسن الحظ أن عثر على لوحة التأسيس الأصلية للمعبد ومكتبته فى الحفريات التى أجريت فى الموقع بكوم الشقافة بالإسكندرية سنة ١٩٤٣ – ١٩٤٤، وقد سجل على اللوحة بوضوح اسم بطليموس الثالث وإعادة بنائه لمعبد السرابيون[٦]؛ وقد زودت المكتبة الأم المكتبة الوليدة بحوالى ثلاثة وأربعين ألف مجلد من الكتب المكررة لتكون نواتها من ناحية، ومن ناحية أخرى كوسيلة لإيجاد مكان فى المكتبة الكبيرة للكتب الجديدة، ومن ناحية ثالثة لتوفير مكتبة ثانية يستطيع القارىء التردد عليها[٧].

وعلى أى حال فسرعان ما نمت هذه المكتبة الوليدة هى الأخرى، وأصبحت فى العصر الرومانى مركزاً لحركة علمية كبيرة، وهاتان المكتبتان تعرفان فى التاريخ بمكتبة الإسكندرية.

---

[٥] أنظر على سبيل المثال :

شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة .– القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧. ص ٢٨٥. إبراهيم نصحى . المرجع السابق، ص ١٤٦.

[٦] محمد ماهر حماده. المكتبات فى العالم : تاريخها وتطورها فى مطلع القرن العشرين .– الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨١. ص ٦٩ .

Johnson, Elmer D.op.cit, P. 52-53.
Jackson, Sidney L. op.cit, P.9.
Rowe, A. The Discavery of the Famaus Temple and Enclosure of Sarapis of Alexandria.- Cairo : Institut Francais, 1946. P. 1-9.

[٧] إبراهيم نصحى. المرجع السابق والصفحة.

وفى محاولة للتعرف على مبنى المكتبة وتجهيزاتها، يقابلنا صمت شديد للمصادر حيث لم نتوصل إلى معلومات يقينية عن مقر المكتبة، وما وصلنا فى هذا الجانب وصف استرابون للموسيون وذلك عندما زار الإسكندرية فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد وأقام بها خمس سنوات حيث وصفه بهذه العبارة "الموسيون جزء من القصور الملكية، ويشتمل على منتزه ورواق ومقاعد، وبيت كبير لاجتماع العلماء أعضاء الموسيون"[٨]، رغم ذلك ذهب المؤرخين الحديثين إلى أن مقر المكتبة الأم كان يقع فى الحى الملكى فى منطقة ما بين الكورنيش والميناء الشرقية بمسافة تتراوح ما بين ربع ونصف كيلومتر، أما مكتبة السرابيون فكانت فى حى راكودة حيث كان يقيم أكثر السكان المصريين، وهو ما يطلق عليه الآن حى كوم الشقافة، ويقوم مبنى المكتبة على شكل ممشى طويل يحيط به مجموعة كبيرة من الأعمدة العظيمة، وعلى جانبى الممشى وضعت تماثيل للآلهة والمفكرين وينتهى الممشى بمجموعة من الحجرات والقاعات بلغت عشرة، بعضها كان للدراسة حيث يجتمع العلماء ومريدوهم يتناقشون ويتعلمون. وبعض هذه القاعات خصص للكتب؛ بعضها خصص للكتب اليونانية، وأخرى للكتب المصرية، وقاعات لغيرها من الثقافات الأخرى المعاصرة لها، كما كان هناك قاعات للطعام ومرصد، وأماكن لإقامة العلماء، ومنسخ الكتب، وقد زينت جدران القاعات بالنقوش الغائرة والرسوم الجدرانية، ووضعت لفافات البردى فى اسطوانات داخل عيون خاصة فى الجدران، أو فى جرار أو رفوف تثبت على الجدران، كما يرجح بعض المؤرخين أنه كان بالمكتبة عدد غير قليل من المقاعد والمكاتب المخصصة للقراء.[٩] والحقيقة أن

---

[٨] مصطفى العبادى. مكتبة الاسكندرية القديمة .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦ .- ص١١.

[٩] أنظر على سبيل المثال :

شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٢٨٥ ؛ إبراهيم نصحى. المرجع السابق، ص ١٤٤.

هذا الوصف الداخلى للمكتبة الأسكندرية ما هو إلا وصف ترجيحى، فلم يصل إلينا المبنى أو أى معلومة تفصيلية عنه، ولكن تم الكشف عن مبان مشابهة ترجع إلى ذلك العصر وهى مكتبة برجامون ، وأكاديمية أفلاطون وليكيون أرسطو، ولأن النمط المعمارى كان واحداً فى تلك الفترة، فقد رجح العلماء التشابه الكبير بين مبنى مكتبة الأسكندرية والمبانى السابقة الأخرى.

وفيما يتعلق بمجموعات المكتبة، فقد تفاوتت تقديرات المصادر القديمة لعدد الكتب التى كانت تضمها كل من المكتبتين الأم، والسرابيون، لكن أقرب هذه التقديرات إلى الحقيقة هو احتوائها على حوالى نصف مليون مجلد، ويؤكد ذلك نصان إحداهما لتزيتزيس حيث ذكر أنه كان يوجد فى المكتبة الصغرى ٤٢,٨٠٠ مجلد، وفى المكتبة الكبرى ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مختلطة، ٩٠,٠٠٠ مجلد غير مختلط"[١٠]. أما النص الثانى فهو لأحد الشراح القدماء لروايات أرستوفانس Aristophanes فى بعض هوامشه التى وجدت فى مخطوطة عثر عليها فى مكتبته فى روما، وقد ترجمه الدكتور العبادى عن اليونانية وجاء فيه : "**لأن ذلك الملك بطليموس. الذى كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من المؤلفين المشهورين، بعد أن اقتنى الكتب– ودفع ثمنها من الأموال الملكية – من أرجاء العالم قدر المستطاع، أنشأ مكتبتين واحدة خارج القصر (مكتبة السرابيون) والأخرى داخل القصر (الموسيون)، وكان بالمكتبة الخارجية ٤٢,٨٠٠ مجلداً، وفى مكتبة القصر ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مختلط ، ٩٠,٠٠٠ مجلد مفرد**

= الكسندر سيتسفيتش. المرجع السابق، ص ١٢٥. ، Johnson, Elmer D. op.cit, P.52. ، وانظر لوحة رقم ١٥،

[١٠] إبراهيم نصحى. المرجع السابق، ص ١٤٧، ستيتسفيتش، الكسندر. المرجع السابق، ص ١٢٦، سعد محمد الهجرسى. المرجع السابق، ص ٤٦٩.

ومختصرات، كما ذكر كاليماخوس أحد رجال القصر وأمين المكتبة الملكية، وأرانوشينس أمين المكتبة ذاتها من بعده بقليل". [11]

ويرجع أهمية هذا النص إلى أن كاتبه يستمد مادته من كاليماحوس الذى كان أميناً للمكتبة وأعلم الناس بمحتوياتها، ويستدل من هذا النص أنه كان بالمكتبة ٥٣٢,٨٠٠ كتاب على وجه التحديد، وأما ما ترويه جل المصادر[12] من أنه كان بالمكتبة حوالى ٧٠٠ ألف مجلد وقت حريق يوليوس قيصر (٤٧ ق.م)، فهو رقم لا يبدو مخالفاً للرقم الأول على اعتبار أن المدة بين أمانة كاليماخوس للمكتبة (٢٦٠-٢٤٠ ق.م) وحريق يوليوس قيصر (٤٧ ق.م) حوالى مائتى عام، وهذه الفترة كفيلة بزيادة ونمو المجموعة من ٥٣٢,٨٠٠ إلى ٧٠٠,٠٠٠ كتاب.

ويستدل كذلك من النص على أنه كان بالمكتبة نوعان من الكتب، إحداهما (مختلطة) والثانية (مفردة)، والمقصود بالمختلطة هنا هى "لفافات بردية تحوى كل منها على كتابين أو أكثر، أو عدة أجزاء من كتاب كبير، وأما المفردة فهى لفافات من الأوراق البردية تحتوى كل منها على كتاب واحد، أو جزء من كتاب كبير.

ولكن ينبغى أن لا يتبادر إلى الذهن أن هذه المجلدات كانت كتباً بالشكل الذى نراه الآن، وإنما كانت كما ذكرنا من قبل – على شكل لفائف Rool وليس كراسات Codex ، حيث كان ورق البردى يصنع على شكل لفائف طويلة تنتهى عادة باسطوانة خشبية تلف عليها عند طرفيها. وكانت هذه اللفائف محدودة الطول، إذ أطول اللفائف البردية التى عثرنا عليها تبلغ حوالى ٣٥ قدماً ومعنى هذا أن اللفافة تعادل نحو أربعين صفحة إذا قارناها بالكتاب الحديث

مصطفى العبادى المرجع السابق ص ٠

انظر على سبيل المثال

Johmson Elmer D op cit P 54

ولعل هذا هو السبب فى تقسيم المؤلفات القديمة إلى كتب، فالإلياذة والأوديسيا على سبيل المثال تنقسم كل منها إلى ٢٤ كتاباً، بمعنى أنها كانت مدونة على ٢٤ لفافة بردى.[١٣]

وأيا ما كان الأمر، فإن محتويات مكتبة الإسكندرية من الكتب كانت تغطى جميع المعارف والفنون السائدة فى ذلك العصر من فلسفة وطب وفقه ولغة وفلك ورياضيات وطبيعيات وتاريخ وجغرافيا وغيرها. ولم تقتصر على الكتب اليونانية فقط، ولكنها اشتملت كذلك على ترجمات لتراث المصريين القدماء والبابليين والهنود والفينيقيين إلى اللغة اليونانية.

ويؤكد هذا أكثر من مصدر قديم فضلاً عن اتفاق جميع الكتاب الحديثين على ذلك. ومن هذه المصادر ما ذكره يوستينوس وهو من كتاب القرن الثانى الميلادى عن أنه "بينما كان بطليموس ملك مصر يؤسس مكتبته. اجتهد فى أن يضم مجموعة من كتابات جميع الشعوب[١٤]

وهكذا لم تكن مقتنيات مكتبة الإسكندرية قاصرة على مؤلفات مدرسة فلسفة معينة كمكتبة أفلاطون فى أكاديميته أو مكتبة أرسطو فى معهده، ولكنها كانت وطنية لكل المدارس. عالمية لكل الثقافات وبذلك أصبحت مركز إشعاع فكرى لكل الحضارات.

وإذا كانت مكتبة الاسكندرية قد احتوت هذا العدد الضخم من الكتب، فإن ثمة تساؤل يطرح نفسه على بساط البحث ملحاً فى طلب الإجابة عنه هو كيف أمكن للبطالمة جمع هذه المقتنيات أو ما هى الطرق التى اعتمد عليها البطالمة فى بناء وتنمية مقتنيات مكتبة الإسكندرية ؟

---

(١٣) مصطفى العبادى . المرجع السابق والصفحة.

(١٤) المرجع السابق والصفحة.

وفى محاولة للإجابة عن هذا التساؤل نجد مجموعة من الإشارات قد أمدتنا بها المصادر والمراجع، ومن الممكن أن نكون منها صورة واضحة عن السياسة الاقتنائية لمكتبة الإسكندرية.

بداية – وكما تحدثنا سلفاً – كان نواة هذه المكتبة مجموعة الكتب والبرديات الخاصة بالمكتبات الفرعونية، سواء كانت مكتبات خاصة أو مكتبات ملحقة بالمعابد ودور الحياة حيث قام ديمتريوس بجمعها مصادرة لصالح مكتبة الإسكندرية، وهى المجموعات التى اعتمد عليها بعد ذلك هيكاتايوس الأبديرى فى إعداد كتابه "أخبار مصر"، والكاهن المصرى مانيتون الذى كان على علم بثقافة اليونان ولغتهم، فى كتابة تاريخ شامل لمصر باللغة اليونانية[١٥]، ولم يقف الحد عند تجميع ما هو كائن بالفعل فى مكتبات مصر الفرعونية بل الأكثر من هذا حرص البطالمة على استعادة ما كان قد نهبه الفرس والأشوريون من كتب المعابد المصرية إبان فترات احتلالهم لمصر[١٦].

وقد اشتهر البطالمة برغبة ملحة وسعى دائم وراء اقتناء الكتب فقد وضع بطليموس سوتير تحت تصرف ديمتريوس ميزانية ضخمة من أجل جمع كل ما يمكن جمعه من كتب العالم سواء بالشراء أو النسخ، وقام قدر استطاعته بوضع رغبة الملك موضع التنفيذ، وقد سئل ذات يوم كم من الآلاف من الكتب تم تجميعها؟ أجاب: أكثر من مائتى ألف كتاب وسوف أبذل قصارى جهدى للحصول على ما بقى حتى يبلغ المجموع خمسمائة ألف[١٧]. وكان الشراء- بطبيعة الحال- أهم مصادر الاقتناء، فقد استطاع فيلادلفوس شراء مقتنيات مكتبة أرسطو التى كانت فى اللقيون فى أثينا بمبلغ كبير من المال من نيليوس تلميذه والذى آلت إليه بعد وفاة أستاذه أرسطو[١٨]

ولا شك هذه المقتنيات كانت من أعظم ما فى مكتبة الاسكندرية ومن أهم أسباب جلب الشهرة لها مما جعل الكثيرين من الناس يقصدون الإسكندرية ليطلعوا فى

---

(١٥) مصطفى العبادى. مكتبة الإسكندرية القديمة : مسيرتها ومصيرها .- ص ٩١-٩٢ .

(١٦) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ٣٦٤ .

(١٧) مصطفى العبادى. المرجع السابق، ص٨٨.

(١٨) المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠

مكتباتها على مقتنيات مكتبة أرسطو، وقد يكون هذا هو سبب الخطا الذى وقع فيه المقريزى حين أطلق على مكتبة الأسكندرية اسم مدرسة أرسطو[١٩].

وكان كل كتاب يظهر فى العالم – آنذاك – يحرص البطالمة على الحصول على نسخة على الأقل منه، لذلك نراهم وقد أرسلوا الوكلاء يجوبون أنحاء العالم بحثاً عن الكتب لشرائها أو نسخها أو حتى سرقتها.

من ذلك أن بطليموس السابع (ت ١١٦ق م) كان قد أصدر أوامر مشددة إلى التجار الذين يجوبون البحار بأن يحصلوا له على نسخ من مؤلفات علماء اليونان مهما كلفهم ذلك من نصب.

والأكثر من هذا أن البطالمة حرصوا على اقتناء المخطوطات الأصلية للكتب، إدراكاً منهم لمدى الخطا والتحريف الذى يمكن تقع فيه النسخ على مدى الأجيال، فيروى لنا الطبيب الأغريقى جالينوس أن بطليموس الثالث فلادلفوس بعث إلى أثينا يطلب نسخ الدولة المعتمدة من أجل أعمال أسخيلوس وصوفوكليس ويوريبيدوس لى ليقوم بنسخها فى الاسكندرية وردها مرة أخرى، ونظير تسليمه تلك الأصول أودع فى أثينا مبلغ قيمته ١٥ فالنتون من الفضة ضماناً غلى سلامة المخطوطات لكن الذى حدث أنه نسخها ورد النسخ التى نسخها وأحتفظ بالأصل فى مكتبة الاسكندرية وخسر ذلك الرهن الذى يعادل – فى سنة ١٩٧٧– حوالى ١٧,٧٣٠دولار تقريباً[٢٠].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أشتدت المنافسة بين ملوك مصر وملوك برجامون فى اقتناء المخطوطات، وقد وصل الأمر أن أصدر بطليموس السابع أوامره بمنع تصدير البردى إلى برجامون ليفوز هو بإحراز قصب السبق

---

[١٩] المقريزى، تقى الدين أحمد بن على (ت.٨٤٥هـ |١٤٤٢م).- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .- بيروت: دار صادر، ١٩٨٣.- ج١، ص١٥٩.

[٢٠] إبراهيم نصحى . المرجع السابق ، ص١٤٦؛ مصطفى العبادى : مكتبة الاسكندرية القديمة ، ص١٥

فى مضمار الثقافة والعلوم والفنون، وكان من جراء ذلك التسابق بين الملكين فى اقتناء الكتب أن استغل التجار الفرصة وأخذوا يدلسون عليهم، بدس كتب دخيلة ينسبونها إلى المشاهير ظناً منهم بأن الكل سيسارع إلى اقتنائها.

كذلك لجأ البطالمة إلى بعض الأساليب التعسفية لجمع الكتب، فقد أصدر بطليموس الثالث أمراً يحتم على كل القادمين من الخارج أن يسلموا عند وصولهم الإسكندرية كل ما معهم من كتب لايداعها فى المكتبة، إذ لم يكن من بين مقتنياتها على أن تنسخ صورة من كل منها يأخذ أربابها بدلاً من النسخ الأصلية، ولم يكن هذا الأمر خاصاً بالأفراد القادمين فقط، بل انسحب كذلك على السفن التى ترسوا فى الميناء، فكانت كل سفينة تأتى يتم تفتيشها ويصادر أى كتاب يعثر عليه فيها، ويؤخذ إلى المكتبة، فإذا كانت فى حاجة إليه احتفظوا به وكتبوا منه نسخة تقدم إلى صاحب الكتاب مع بعض التعويض المالى.[٢١] نخرج من ذلك بأن البطالمة سلكوا ثلاثة سبل لتنمية مقتنيات مكتبتهم هى الشراء والنسخ والمصادرة.

وكانت المكتبة مضطرة بدورها إلى تنظيم هذا العدد الضخم من الكتب، فبدون التنظيم الفنى يصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل الوصول إلى أى مدى من مقتنياتها من جانب المستفيدين. ومن خلال المعلومات القليلة والجزئية التى وصلت إلينا يمكن أن نتلمس وجود بعض العمليات الفنية فى مكتبة الإسكندرية مثل التسجيل والفهرسة والتصنيف والترتيب .

فقد تحدث الطبيب جالنيوس عن أحد كتب أبقراط وهو كتاب الأوبئة وذكر أنه كان به علامات معينة أسماها "رموز أبقراط"، وكان الكتاب ملكاً لطبيب يسمى منيمون من سيدى Mn emon of side كان قد اصطحبه معه

---

[٢١] حسن رجب . المرجع السابق . ص١٥٩؛ ستيبتشفيتش، الكسندر . المرجع السابق . ص١٢٦ ؛
Johnson, Elmier D. op. Cit, p.55.

إلى الاسكندرية، وهناك تنفيذ لقرار الملك صدر الكتاب فى الميناء -كالعادة- ويؤكد جالينوس من مصادره التى أخذ عنها أن الكتاب شوهد فى المكتبة بعد ذلك وقد أثبتت عليه العبارتان "من السفن"، "منيمون من سيدي" ويضيف أنه فى حالة جمع المسافرين الذين كانوا يصلون الميناء وفى حيازتهم كتب، كان النظام يقتضي أن يثبت موظفو الجمارك إسم المسافر صاحب الكتاب، قبل أن يودع الكتاب فى الخزائن".[٢٢]

هذه الرواية تشير إلى وجود عملية التسجيل فى مكتبة الإسكندرية حيث كانت هناك خزائن لاستقبال الكتب بمجرد وصولها، وهنا يقوم العاملون بالمكتبة بعملية التسجيل وإعداد الكتب إعداداً فنياً مع ملاحظة إثبات إسم صاحب الكتاب بالإضافة إلى اسم المؤلف بطبيعة الحال وما إذا كان الكتاب مختلطاً أو مفرداً. وعلى هذا النحو لا شك أنه وجد سجل لمقتنيات المكتبة فيما نعتقد.

وعلى الجانب الأخر كان لهذه المكتبة فهرس تفصيلى لمساعدة القارئ وإرشاده إلي ما يريد من مقتنياتها؛ توفر على إعداده أمين المكتبة كاليماخوس بعنوان "Tables of these who were autstanding in every phase of culture and their writings in 120 books"

"قوائم لهؤلاء البارزين فى كل جوانب الثقافة وكتاباتهم فى ١٢٠ كتاباً"

وعى الرغم من أن هذا الفهرس لم يصلنا إلا أن هناك بعض الإشارات التى وردت إلينا تشير إلى أن هذا الفهرس كان مصنفاً تصنيفاً دقيقاً على النحو التالى:

١-شعر الملاحم والشعر الغنائى بصفة عامة.

٢-الشعر التمثيلى وينقسم إلى نوعين التراجيدا والكوميديا .

٣-القانون.

---

[٢٢] مصطفى العبادى. مكتبة الإسكندرية القديمة؛ سيرتها ومصيرها، ص ٩٣-٩٤.

٤-الفلسفة .

٥-التاريخ.

٦-أدب الخطابة.

٧-الطب.

٨-العلوم الرياضية.

٩-متفرقات.

وقد رتبت الكتب حسب موضوعاتـــها، وتحـــت كـــل موضـــوع مـــن الموضوعات العشر السابقة، أعطى كالميـــاخوس عـــن كـــل كتـــاب البيانـــات الببلوجرافية التالية:

*اسم المؤلف

*ترجمة مختصرة عن المؤلف وتشمل: مكان الميـــلاد – اســـم والـــده وأساتذته – تعليمه – لقبه.

*عناوين مؤلفاته مرتبة أبجدياً .

*ملاحظات حول نسبة الكتاب إلى مؤلفه

*كلمات البداية للكتاب

*عدد الأسطر

وقد استطاع كاليماخوس أن يسجل فى هذا الفهرس خمس (٢٠%) مـــا احتوته المكتبة، وهو ما يقدر بحوالى ٩٠ألف كتاب، ثم جاء من بعـــده تلميـــذه أرسطوفان فأتم العمل الذى بدأه كاليماخوس.

وعلى الرغم من أن هذا الفهرس كانت تسيطر عليه روح قوائم الجـــرد وأنه كان يجنح إلى التعريف بالمؤلفين أكثر من وصف المؤلفـــات إلا أن هـــذا

الفهرس يعتبر من "الأعمال الرائدة التى ظلت لفترة طويلة ذات تأثير على الأعمال الأخرى فى المجال"(٢٣).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قام كاليماخوس بإعداد العديد من البيلوجرافيات غير فهرس مكتبة الإسكندرية، ومن ذلك ببلوجرافية كتاب المسرحيات (الأتيك) بعنوان "قائمة كتاب المسرح مرتبة زمنياً منذ بداية العروض"، والببلوجرافية الخاصة بأعمال ديموقراطيس ووزعت أعمالها على خمس قطاعات هى الأخلاق- الرياضيات- الموسيقى- التكنولوجيا. أو العلوم التطبيقية(٢٤).

وعلى أى حال فإن ثمة تساؤل بشأن حفظ وترتيب الكتب بمكتبة الإسكندرية؟ من المعروف أن مكتبة الإسكندرية كانت بها رفوف فوضع عليها الكتب، ولكن كيف كانت ترتب على الرفوف فمن الواضح أن للفائف البردية لا يمكن وضعها عمودياً على الرفوف كما توضع الكتب فى العصر الحديث، لكنها يمكن أن توضع أفقية، ولما كانت اللفائف مصنفة حسب موضوعاتها كان من الضرورى جمعها فى حزم منفصلة بعضها على بعض، وكان من المستطاع القيام بذلك حين توضع اللفائف أفقياً على الرفوف. بحيث لاتستطيع اللفائف المشابهة أن تنزلق بعضها على بعض، ومن الممكن اجتناب ذلك الانزلاق بوضع فواصل عمودية كافية وتقسيم الرفوف إلى أقسام بقدر ما هو مطلوب.(٢٥)

---

(٢٣) للمزيد انظر :

مصطفى العبادى. مكتبة الاسكندرية القديمة ، ص١٨-١٩.

شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٢٩٠-٢٩١

Johnson, Elmier D. op. Cit, p.54.

Pearson. Edward Alexander. The Alexandria library: Glory of hellenic world.- New york: American Elsevier Publishing com., 1952. P. 206-208.

(٢٤) شعبان خليفة. الببلوجرافيا، أو، علم الكتاب: دراسة فى أصول النظرية الببلوجرافية وتطبيقاتها، النظرية العامة.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦ . ص٢٧١-٢٧٢ .

(٢٥) Jackson , Sideney L. op.cit. P.12.

وقد تتابع على إدارة المكتبة منذ إنشائها قوم امتازوا بالثقافة الواسعة والعلم الغزير، ولدينا بيان بأسماء عدد من أمناء المكتبة وتواريخ توليهم هذا المنصب[٢٦]، وقد تعاقبوا خلال أربعة قرون من الزمان (٢٨٢ق.م – ١٣٠م)، وكان أولهم ديمتريوس الفاليرى Demetrios of Phaleron المؤسس الحقيقى للمكتبة – على نحو ما أشرت – ومن بعده زينودوتوس الأفيسى Zenodotus of Ephesus الذى تولى أمانة المكتبة فى الفترة من ٢٨٢ ق.م – ٢٦٠ ق.م) ، وقد قام بدراسة وتحقيق للإلياذة والأوديسة، وهو الذى قسم كل ملحمة إلى ٢٤ كتاباً، وقد أدت دراسته للنصوص إلى تحسينات نحوية كثيرة، ثم جاء من بعده كاليماخوس Calimachus (٢٦٠ ق.م – ٢٤٠ ق.م) الذى يعتبر من أشهر هؤلاء المكتبيين من وجهة النظر المكتبية، فقد لاحظ أن نمو المكتبة أصبح كبيراً جداً إلى الحد الذى أصبح من غير الطبيعى الوصول إلى أى كتاب بسهولة ويسر، فقام كاليماخوس بعملين متلازمين الأول:أنه قسم الأعمال الطويلة إلى أقسام وذلك لأغراض تسهيل عملية تداولها والثانى:أنه أوجد فهرساً شاملاً لمحتويات المكتبة – على نحو ما أسلفنا – واستلم المكتبة من بعده تلميذه أبولونيوس الروديسى Apollonius of Rhodes (٢٤٠-٢٣٠ ق.م) ثم ايراتوسثينس Eratothenes (٢٣٠ – ١٩٥ ق.م) وكان عالماً رياضياً وفلكياً وجغرافياً وإخبارياً، ثم تبعه أرسطوفان البيزنطى Aristophanes of byzantium (١٩٥ – ١٨٠ ق.م) الذى يقال إنه كان يعرف كل محتويات المكتبة وأن معرفته بالشعر اليونانى كانت تمكنه من أن يحقق نسبة النصوص

---

(٢٦)

Pearson, E.A. op cit. P. 164;
Jackson, S.L., op. Cit, p;12
Johnson, E.D., op. Cit, p; 55

وانظر أيضاً شعبان خليفة. الكتب والمكتبات فى مصر القديمة، ص ٢٨٨- ٢٨٩.

إلى مؤلفيها، ولعله هو أول من أضاف علامات الترقيم للنصوص اليونانية واستعمال الفواصل بين الجمل، ثم تولى أمانة المكتبة أبوللونيوس ايدجرافموس (١٨٠-١٦٠ ق.م) وهو من علماء النحو وإليه يرجع الفضل فى ترتيب قصائد الشاعر بندار - ثم جاء ارستارخوس الساموثراقى Aristarchus of Samothrace (١٦٠-١٤٦ ق.م).

ثم جاء من بعده كوداس الرماح (١٤٥-١١٦ ق.م) ولا شك أن تعيين رجل عسكرى حامل للرماح رئيساً للمكتبة أمر يدعو للغرابة، ولكن يبدو أنه تعيين استثنائى لظروف خاصة وهي استئثار بطليموس الثامن بالسلطة فى أعقاب الحرب الأهلية مع أخيه الأكبر، ولاشك أنه قد عين كوداس لينفذ سياسته في القضاء على خصومه داخل الموسيون ولاسيما أن اريستارخوس قد فر خارج البلاد مع علماء آخرين فى عام ١٤٥ ق.م وهو العام الذى بلغت الحروب الأهلية فيه زروتها.[٢٧]

وفى عهد بطليموس التاسع نسمع عن عدد من الأمناء النشيطين الذين كانوا يعملون فى مكتبة الإسكندرية وهم أمونيوس، وزينو، وديوكلوس وقد عملوا تباعاً فى الفترة من (١١٦-٨٩ ق.م)، ثم جاء أونا سندر القبرص Onsander الذى عمل مشرفاً على المكتبة الكبرى فى الإسكندرية فى الفترة من (٨٨-٥٠ ق.م) "فقد كان من أعوان بطليموس التاسع إبان نفيه فى قبرص، ثم كوفىء بتعيينه فى منصب المسئول عن المكتبة بعد عودة الملك إلى الإسكندرية فى ٨٨ ق.م وهو آخر الأمناء المعروفين لنا على وجه اليقين[٢٨].

وهناك ثلاثة أسماء أخرى ورد ذكرها فى بعض المراجع ويرجح أنهم عملوا فى مكتبة الإسكندرية كمشرفين عليها فى ظل الحكم الرومانى وهم

---

[٢٧] مصطفى العبادى .- مكتبة الإسكندرية القديمة : سيرتها ومصيرها، ص ٨٨.

[٢٨] المرجع السابق والصفحة.

كايرمون السكندرى (٥٠-٧٠ م)، ديونيسيوس (١٠٠-١٢٠م)، ثـــم كايوســو يوليوس فاسنيوس (١٢٠-١٣٠م)[٢٩]. وتحديداً فى مكتبة السرابيون التى تحملت عبىء الحركة العلمية فى الاسكندرية بعد تدمير المكتبة الأم.

وكان يعاون هؤلاء الأمناء فى مهمتهم جماعة من كبار العلماء والباحثين وتحت أيديهم عدد كبير من الناسخين[٣٠]، حيث كان ملحق بالمكتبة – كما أشرنا من قبل– قاعة للنسخ (منسخ) يقوم النساخ بنسخ الكتب التى ترد إلـــى المكتبـــة لتعديد نسخها للاستخدام ولعمل نسخ من الكتب المستعارة للمكتبة.

والأسماء السابقة إن دلت على شيء فإنما تـــدل علـــى خطـــورة هـــذا المنصب وأهميته، فكل ما ذكرناهم كانوا من العلماء الأعلام الذين كانت لديـــهم خبرة ودراية واسعة بالكتب من خلال اشتغالهم الدائم بالبحث والعلم، ولم يكـــن هذا المنصب تشريفاً لأصحابه، بل كان تكليفاً يتطلب دقة من العمل ويقظة وقدرة على أدائه مع مراعاة متطلبات المترددين على المكتبة من مختلف فئات المجتمع التى تقوم المكتبة على خدمته.

وقد نال هؤلاء العلماء العاملون بالمكتبة جزءاً كبيراً من اهتمام ورعايـــة الملوك البطالمة فخصصوا لهم المرتبات المجزية والتيسيرات العديدة فكان كـــل عالم يمنح راتباً أو معاشاً سخياً منتظماً، بالإضافة إلى هبات الملك فى المناسبات المختلفة كما تمتع هؤلاء العلمـــاء ببعـــض الامتيـــازات مثـــل الإعفـــاء مـــن الضرائب[٣١].

---

(٢٩) شعبان خليفة . المرجع السابق ص ٢٨٩؛ انظر أيضاً

Johnson, E.D. op.cit, P.

(٣٠) عبد الستار الحلوجى. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات .– القاهرة: دار الثقافـة للنشـر والتوزيـع، ١٩٨٦.– ص١٧

(٣١) مصطفى العبادى . المرجع السابق، ١٩

ولتركيز أسماء أمناء مكتبة الإسكندرية القديمة التى وصلتنا نقـدم هـذا البيان بأسمائهم وسنوات توليهم.

١-ديمتريوس الفاليرى ٢٩٠-٢٨٢ ق.م

٢-زينو دوتوس الأفيسى ٢٨٢-٢٦٠ ق.م

٣-كاليماخوس ٢٦٠-٢٤٠ ق.م

٤-أبولونيوس الروديسى ٢٤٠-٢٣٠ ق.م

٥-ايراتوستنيس ٢٣٠-١٩٥ ق.م

٦-أرسطو فان البيزنطى ١٩٥ ق.م - ١٨٠ق.م

٧-أبوللونيوس ايدجرافموس ١٨٠-١٦٠ ق.م

٨-أرستارخوس الساموثراقى ١٦٠-١٤٦ ق.م

٩-كوداس الرماح ١٤٥-١١٦ ق.م

١٠-امونيوس ١١٦-٨٩ ق.م

١١-زينو ٨٨-٧٦ ق.م

١٢-ديوكلوس
١٣-أوناسندر القبرص
١٤-كايرمون السكندرى
(١٢-١٤: ٨٨ - ٧٦ ق . م.)

١٥-ديونيسيوس ١٠٠-١٢٠ ق.م

١٦-كايوسو يوليوس فاسينوس ١٢٠-١٣٠ م

لقد كان هدف المكتبة - كما ذكرنا سلفاً - هو تحقيق هدف الموسـيون فى تيسير سبل البحث العلمى وذلك بتجمع الإنتاج الفكرى العـالمى وتنظيمـه وتقديم خدماته للباحثين والدارسين. لذلك نرى فى مكتبة الإسـكندرية خدمتيـن كانت تقدمها للمترددين هى خدمات تيسير الاطلاع الداخلى، وخدمات النسخ لمن يريد حيث سمحت لهم بنسخ ما يريدون لأنفسهم من النصوص، وقدمـت لـهم

أدوات النسخ من ورق وأقلام وأحبار بالمجان، كما وفرت للمقيمين من العلماء والباحثين والقراء والمأكل والمشرب والمسكن وبالمجان أيضاً.(٣٢) أما خدمات الإعارة الخارجية فهى لم تكن متوفرة بمكتبة الإسكندرية ربما حفاظاً على المقتنيات من السرقة أو التزوير لاسيما وأنها كانت تتسم بالندرة.

وعلى أية حال فقد هيأت مكتبة الإسكندرية للعلماء والباحثين أسباب البحث العلمى والتأليف بما حوته من مقتنيات وأدوات كالمراصد وغيرها. ففى مكتبة الأسكندرية كتب أقليدس أبحاثه الشهيرة فى الرياضيات، وسجل أرشميدس الكثير من انجازاته الهندسية، واستطاع ايراتوستنيس عالم الفلك أن يقيس المحيط القطبى للكرة الأرضية، وبفضل هذه المكتبة استطاع هيروفيلوس أن ينجز العديد من أبحاثه فى التشريح حتى غدا مؤسس هذا العلم، وكذلك أيضاً هيرون مكتشف الطاقة البخارية، وغيرهم من مجالات الدراسات الأدبية والتاريخية، ولعله ليس من المبالغ فيه أن نقرر أنه لأول مرة أمكن إرساء قواعد منهج البحث العلمى على أسس علمية أدت إلى بلوغ نتائج باهرة فى الرياضيات والطبيعيات والطب والجغرافيا والفلك وتحقيق النصوص، وذلك بفضل ما وفرته المكتبة من أعداد كبيرة جداً من الكتب وبفضل ما وفرته لها البطالمة من موارد مادية وبشرية وفنية جعلتها تؤدى دورها بنجاح طيلة العصر البطلمى.

وبعد أن سقطت دولة البطالمة، وفى النصف الثانى من القرن الأول (ق.م) أصبحت مصر ولاية رومانية، احتضن الأباطرة الرومان معاهد العلم والثقافة بالإسكندرية واستمرت الحركة العلمية، وقد أغدق الرومان على العلماء بالعطايا والرواتب كما كان الحال فى العصر البطلمى. فنحن نعلم أن مدينة الإسكندرية قد حققت مكانة عالية فى مجال الجغرافيا والطب والفلسفة بحيث كان يكفى أن نعرف أن فلان تعلم فى الاسكندرية ليكسبه ذلك مكانة مرموقة بين

---

(٣٢) شعبان خليفة. المرجع السابق، ص ٢٩٢.

الناس، كل ذلك كان بفضل مكتبة الإسكندرية ومقتنياتها وأمنائها فقد لعبت دوراً كبيراً فى تاريخ الحضارة الإنسانية. حيث حفظت لنا تراث اليونان، كما حفظ لنا تراث الفكر الإنسانى القديم وترجماته فى شتى اللغات، فضلاً عن تيسيرها لمهمة البحث العلمى للعلماء والباحثين فى ذلك الوقت.

٢-نهاية مكتبة الإسكندرية

تبين لنا فيما سبق كيف اهتم البطالمة بمكتبة الإسكندرية فوفروا لها جميع عناصر تقديم الخدمات والأنشطة من موارد مالية ومادية وبشرية وتنظيمية، فنمت وازدهرت وكانت الوعاء الذى احتضن التراث الإنسانى لفترة طويلة، فتقاطر إليها العلماء والبحاثة من كل صوب وحدب ومن جميع الاختصاصات من جغرافيين وفلكيين وأطباء ورياضيين ومهندسين وشعراء وأدباء وغيرهم.

ولكن ما لبثت هذه المكتبة التى ظلت منهلاً عذباً يرتوى منه العلماء والمفكرون فى العصور القديمة، ما لبثت أن تلاحقت عليها الكوارث، الواحدة تلو الأخرى. وبدأت إرهاصات هذه الكوارث مع الانحطاط العام الذى أصاب دولة البطالمة، فقد كان أوائل ملوك البطالمة أقوياء محبين للعلم مشجعين للعلماء مقدرين لدور الكتب والمكتبات فى رقى الأمة، لذلك تمكنوا من تحقيق الأمن والرخاء لشعبهم، وجذبوا إليهم العلماء من كل مكان حتى غدت الإسكندرية كعبة العلم والفكر والمعرفة، ولكن منذ بداية القرن الأول قبل الميلاد بدأت البلاد فى الانحدار من سيىء إلى أسوأ، وأصبحت الثروة معولاً للهدم والتخريب، وخاض بعض ملوك البطالمة المتأخرين حروباً مدمرة، أنهكت البلاد اقتصادياً مما كان له أثره المباشر على الحركة العلمية والفكرية، فتدهور الوضع، وهاجر العلماء إلى أثينا ورودس، وأهملت المكتبة وتوقف تزويدها بالكتب، والأكثر من هذا، أصبح من يقوم على أمرها عسكريون بعد أن كانوا علماء ومفكرين.

ومن ذلك أنه فى عهد بطليموس الثامن (سوتير الثانى) تعرض الموسيون ومكتبته إلى كارثة عظمى، عندما أظهر أهل الإسكندرية عدم رضائهم عن تصرفاته لإهماله شئون البلاد، فترك جنوده يعيثون فى الأرض فساداً فقتلوا الشعب واضطهدوا العلماء وشتتوا شملهم، فترك العلماء المتحف وفروا إلى اليونان ورودس، وعين على إدارة المكتبة رجل عسكرى يدعى "كوداس الرماح" وكان من بطشه أن لقب "بحامل الحربة"[٣٣] وهذه كانت أول الكوارث التى لحقت بالمكتبة.

وفى عام ٤٨ ق.م أصابت المكتبة كارثة أخرى وذلك عندما أضرم يوليوس قيصر النار فى أسطوله الرابط فى ميناء الأسكندرية، فامتدت النيران إلى أرصفة الميناء، وأحرقت جزءاً كبيراً من المكتبة. ويؤكد ذلك ما وصلنا من نصوص[٣٤] ترجع إلى القرون الأولى للميلاد منها:

١-يذكر سينيكا الذى كتب فى حوالى منتصف القرن الأول الميلادى أن ٤٠٠ ألف كتاب أحرقت فى الأسكندرية بسبب النار التى أضرمها قيصر فى السفن.

٢-يقول بلوتارخى (٤٦-١٢٧م) صراحة أنه لما أوشك أسطول قيصر أن يقع فى أيدى أعدائه- يقصد المصريين الذين كانوا قد حاصروه- اضطر إلى أن يدرأ الخطر بالحريق، وانتشر من الترسانة البحرية، ودمرت المكتبة الكبرى.

٣-وفى القرن الثانى الميلادى نجد الكاتب الرومانى أولوس جليوس (١٢٣-١٦٩م) يقول صراحة : إنه فى زمن سابق جمعت أو نسخت كمية هائلة

---

(٣٣) مصطفى العبادى. المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣٤) راجع. بتلر، ألفريد. فتح العرب لمصر/عربه محمد فريد أبو حديد.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ .- ج٢، ص ٣٥٤-٣٥٦؛ مصطفى العبادى. مكتبة الأسكندرية القديمة، ص ٢٥-٢٦.

من الكتب فى مصر بواسطة الملوك البطالمة تقدر بنحو من ٧٠٠ ألـف مجلد، ولكن هذه الكتب جميعاً احترقت فى حرب الإسكندرية الأولى، ولم يكـن ذلك عن قصد أو عمد.

٤-ويذكر المؤرخ ديون كاسيوس – الذى عاش فى نهاية القرن الثـانى ومطلع القرن الثالث الميلاديين – أن النار نشبت فى أماكن كثيرة، كما أحرقـت مخازن الغلال والكتب ويقال إن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمـة القيمـة. ولعل ديون يقصد بمخازن الكتب هنا المكتبة الأم.

٥-يؤكد ما سبق قول المؤرخ أميانوس ماقللينيوس – عاش فى القـرن الرابع الميلادى – ما نصه : كانت هناك مكتبة لا تقدر قيمتها بثمـن، ضمـت ٧٠٠ ألف كتاب، قد أحرقت بالنار فى حرب الإسكندرية، حينما دمرت المكتبـة زمن قيصر.

٦-ويؤكد النبأ أيضاً المؤرخ أوروسيوس من مؤرخى القرن الخـامس الميلادى – حيث ذكر ما نصه "أنه أثناء المعركة ذاتها صـدر الأمـر بحـرق أسطول الملك، الذى كان قد رفع على الشاطىء وعندما امتد ذلك الحريق إلـى جزء من المدينة أيضاً، أتى على أربعمائة ألف كتاب مودعة فى بناء كان قريباً، وكان شاهداً فريداً على اجتهاد ودأب أسلافنا الذين جمعوا هذا القدر الهائل مـن أعمال النبوغ الرائعة.

ورغم هذه النصوص التى تؤكد صحة هذه الرواية إلا أنها لم تسلم مـن الشك والتفنيد، ولعل عنصر الحقيقة فيـها أن الحريـق قـد أصـاب المكتبـة بخسائر[٣٥]. ومن المحتمل أن تكون هذه المؤلفات كانت قد حملت إلى الميـناء لنقلها إلى روما وأن هذه الكمية من المؤلفات هى التى امتدت إليـها الحريـق، ولعل هذا ما يفسر لنا السبب الذى جعل أنطونيوس – بـعد مصـرع يوليـوس

---

[٣٥] عبد الستار الحلوجى . المرجع السابق، ص ٢٠ .

قيصر – يهدى كليوباترا– ربما على سبيل التعويض عن فقد المكتبة – مجموعة مكتبة برجامون وقد بلغت ٢٠٠ ألف مجلد[٣٦]. ولا نعرف على وجه الدقة أين أودعت كيلوباترا هذه المجموعة من الكتب، ولكن يكاد يتفق المؤرخون[٣٧] على أن هذه المجموعة قد استقرت فى معبد القيصريون الجديد الذى ابتدأت كيلوباترا بناءه تكريماً لأنطونيوس، ثم اتم بنائه الامبراطور أغسطس، فيذكر فيلون أن من أهم ما اشتمل عليه المعبد الجديد مكتبة عظيمة ذات شأن، ومن المرجح أن تكون هذه المكتبة هى مكتبة كيلوباترا كما ذكر محمد حسين.[٣٨]

وظلت الإسكندرية وما فيها من مؤسسات تعليمية ودور كتب تمارس نشاطها العلمى بازدهار نسبى طيلة القرنين الأول والثانى الميلاديين حتى إذا كان القرن الثالث بدأت تهب على البلاد رياح الفتن والمحن والاضطرابات ففى عام ٢١٦م تعرضت الإسكندرية لغضب كاراكارا الذى "أسال الدماء فى المدينة أنهارا، وأقفل الملاهى، وأمر بمنع الناس من الذهاب إلى القاعة العامة التى كان يجتمع فيها أعضاء المتحف، وعامل علمائه معاملة قاسية، فأوقف الإعانة المالية لهذا المجمع، وألغى مكافآت ورواتب العلماء وجميع امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها، وطرد العلماء الأجانب"[٣٩].

---

[٣٦] مصطفى العبادى. المرجع السابق، ص ١٣٤؛ بتلر، ألفريد. المرجع السابق، ص ٣٥٦؛ محمد حسين. مكتبة الإسكندرية فى العالم القديم .- القاهرة : مطبعة الاعتماد، ١٩٤٤ .- ص ٥١؛ ماهر حمادة. المرجع السابق، ص ٧١ ؛

Jackson, S.L.op.cit, P. 17.
Jahnson, E.D. op.cit, P.56.

[٣٧] راجع المراجع المثبتة فى (٣٦) أعلاه.

[٣٨] محمد حسين . المرجع السابق، ص ٥١.

[٣٩] انظر مصطفى العبادى، المصدر السابق، ص ٣٥،٣٦؛ وما بها من مصادر.

ثم تعاقبت الأحداث بعد ذلك على المدينة ففى سنة ٢٥٦م تعرضت لنوع آخر من التدمير لكنه كان هذه المرة شديداً وخاصة فى الحى الملكى حيث تقع المكتبة، وبعد عشر سنوات نرى موجة أخرى من الاضطهاد والتدمير على يد الإمبراطور أوريليمانوس أصابت الحى الملكى بتدمير شديد لدرجة أن علماء المتحف فروا إلى خارجه ولجأوا إلى معبد السرابيون، ثم تلا ذلك الاضطهاد الأكبر ضد المسيحيين على يد الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٩٦م حيث قتل الناس ودمر جانباً من المدينة وأمر بإحراق جميع الكتب، التى أعمل فيها النار دون شفقة كما يقول يوحنا الأنطاكى(٤٠).

هذه الكوارث جميعاً التى تعرض لها المتحف ومكتبته أثرت عليه ولم يصبح له أى نشاط إلا الذكرى. حيث انتقلت الحركة العلمية إلى السرابيون، وحلت مكتبته محل المكتبة الأم، والتى كفل وجودها فى المعبد لها الحماية والأمان إلى حين.

ولم يكن القرن الرابع الميلادى أسعد حظاً من القرون الثلاثة الأولى للميلاد، ففى خلال عام ٣٦٦م اشتعلت نيران الثورات الدينية، وهدم معبد القيصريون، وأبيد معه مكتبته(٤١) والتى كان قد أهداها أنطونيوس لكليوباترا كما سبق أن ذكرت.

ومع زيادة سلطة المسيحية فى الدولة ازدادت موجات الاضطهاد ضد خصومهم من الوثنيين ومعابدهم، وفى عام ٣٩١م أهوى المسيحيون إلى معبد السرابيون بقيادة الأسقف ثيوفيلوس الذى كان قد استصدر أمراً من الامبراطور بتدمير المعبد بوصفه معقل للفكر الوثنى، فاعملوا فيه النيران ما استطاعوا من تدمير وتخريب وسلب ونهب ثم أمر بتحويل البناء إلى كنيسة، وأرسل ما تبقى

---

(٤٠) المرجع السابق والصفحات ؛ مصدر قبطى

Jackson, S.L. op.cit, P.17; Johnson, E.D.op.cit, P.56.

(٤١) محمد حسين. المرجع السابق، ص ٦٢.

من الكتب إلى روما والقسطنطينية حيث كان الامبراطور تيودوسيوس مـــهتم إذ ذاك بجمع الكتب لإنشاء مكتبته العظمى[٤٢]. وبذلك ختمت مكتبـــة الإســـكندرية تاريخها مع نهاية القرن الرابع الميلادى، وأسدل الستار على آخر فصـــل مـــن فصولها بعد أن ظلت على مدى سبعة قرون -نسبيا - منهلا عذبا يرتوى منـــه رجال العلم والفكر والثقافة.

ولسنا نستطيع فى هذا السياق أن نغفل الحديث عن أمر طالما كثر فيـــه الجدل بين المؤرخين والكتاب، وهو حريق مكتبة الإسكندرية الذى نسبه بعـض المؤرخين إلى عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب، ونفـــى مؤرخـــون آخرون عنه هذه التهمة. ويستند أصحاب الادعاء فى هذه القضية إلى ست أدلـــة أتى عليها جورجى زيدان وأيدها فى كتابه " تاريخ التمدن الإسلامى"[٤٣] وسوف نعرضها ثم نقوم بتفنيد هذا الرأى وإظهار خطئه ذاكرين بعد ذلك، وأخيرا الرأى الصحيح في هذه المسألة. والآن إليك مذكرة الادعاء التى كتبها جورجى زيـدان فى الكتاب المذكور سلفا حيث كتب يقول:

"أنشأ البطالسة فى القرن الثالث قبل الميلاد مكتبة فى الإسكندرية جمعوا إليها كتب العلم من أقطار العالم المتمدن فى ذلك الحين وسيأتى خبرها.

وتوالى على هذه المكتبة أحوال كثيرة من أيام الرومـــــان إلـــى الفتـــح الاسلامى فقد ضاعت بين إحراق ونهب. والمؤرخون مـــن العـــرب وغـــيرهم مختلفون فى كيفية ضياعها فمنهم من ينسب إحراقها إلى عمرو بن العاص بـــأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، ويستدلون على ذلك ببعض النصـــوص العربيـــة وأشهرها أقوال أبى الفرج المالطى ، وعبد اللطيـــف البغـــدادى، والمقريـــزى، وحاجى خليفة. ومنهم من أجل العرب عن ذلك ويطعـــن فـــى تلـــك الروايـــات

---

[٤٢] بتلر ألفرد. المرجع السابق، ص ٣٥٦، هامش (١)

Jackson, S.L.op.cit, P.17; Johnson, E.D. op.cit P.56

[٤٣] جورجى زيدان. تاريخ التمدن الاسلامى .- القاهرة : مطبعة الهلال، ١٩٠٤.- ج٣، ص ٤٠-٤٦.

ويضعفها، وقد كنا ممن جارى هذا الفريق فى كتابنا (تاريخ مصر الحديث) منذ بضع عشرة سنة ثم عرض لنا بمطالعاتنا المتواصلة فى تاريخ الإسلام والتمدن الاسلامى ترجيح الرأى الأول لأسباب نحن باسطوها فيما يلى اجلاء للحقيقة فنقول :

أولاً: قد رأيت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الإسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد إلى الأحاديث النبوية، وتصريح مقدمى الصحابة.

ثانياً: جاء فى تاريخ مختصر الدول لأبى الفرج المالطى عند كلامه عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصه :

"وعاش يحيى الغراماطيقى (النحوى) إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو، وسمع من ألفاظه الفلسفية – التى لم تكن للعرب بها أنسة – ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه – وكان لا يفارقه، ثم قال له يحيى يوماً : "إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فمالك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لانتفاع لك به فنحن أولى به "فقال له عمرو ما الذى تحتاج إليه؟ قال "كتب الحكمة التى فى الخزائن المملوكية" فقال عمرو "وهذا ما لا يمكننى أن آمر فيه إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب".

فكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى، فرد عليه كتاب عمر يقول فيه " ... وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم بإعدامها.

"فشرع عمر بن العاص فى تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها، فاستنفذت فى مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى وأعجب.

وليس فى نص هذه العبارة التباس ولكن الذين يجلون العرب عن احراق هذه المكتبة يطعنون فى هذه الرواية وينسبون قائلها إلى التعصب الدينى، وفــى جملتهم جماعة كبيرة من مؤرخى الافرنج، وقد ألفوا الرســائل والكتــب فــى تجريحها. وخلاصة أقوالهم إن أبا الفرج المذكور هو أول من نسب حريق مكتبة الإسكندرية إلى عمرو بن العاص ، وأنه إنما فعل ذلك تعصباً للنصرانية وتحقيراً للإسلام، وأنه عاش فى القرن السابع الميلادى، وكان أبوه يهودياً وتنصر، وشب أبو الفرج على النصرانية، وارتقى فى رتب الاكليروس إلى الأسقفية، ثم ألــف تاريخاً فى السريانية استخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربيــة وســريانية، واستخلص من هذا التاريخ كتاباً فى العربية سماه مختصر الدول. قالوا : "وهــو أول كتاب ذكرت فيه هذه القصة وتناقلها عنه الافرنج إلى هذه الغاية" وأن مــا جاء فى هذا الشأن من أقوال عبد اللطيف البغدادى والمقريزى وحاجى خليفة من مؤرخى المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة، لأن المقريزى نقل عن عبد اللطيــف حرفياً، وحاجى خليفة لم يذكر مدينة الإسكندرية وإنما أشار إلى أن العرب فــى صدر الإسلام لم يقنعوا بشىء من العلوم إلا بلغتهم وشــريعتهم حتــى قــال : (ويروى أنهم أحرقوا ما وجدوه من الكتب فى فتوحات البلاد) وأن عبد اللطيــف البغدادى ذكر حريق المكتبة فى عرض كلامه عن عمود السوارى بغير تحقيق.

ويرى أصحاب هذا الرأى أن مكتبة الاسكندرية أحرقها الرومــان قبــل الإسلام، وأنها لو أحرقها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين، وخصوصاً كتــاب الفتوح والمغازى.

لا ننكر أن بعض هذه المكتبة احترق قبل الإسلام ولكن ذلــك لا يمنــع احتراق باقيها فى الإسلام. أما النصوص التى وردت فى هذا الشأن فليس أبــو الفرج أول من رواها كما توهم بعضهم، فإن عبد اللطيف البغدادى طاف بمصر وكتب عن مشاهدها وآثارها، وذكر إحراق العرب لهذه المكتبة قبل أن يولد أبــو

الفرج ببضع وعشرين سنة، لأن أبا الفرج ولد (١٢٢٦م / ٦٢٢هـ) وعبد اللطيف زار مصر فى أواخر القرن السادس للهجرة، وهاك نص عبارته "ورأيت ايضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة، بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة، والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها، وأرى أن الرواق الذى كان يدرس فيها أرسطاطاليس وشيعته من بعده، وأنه دار المعلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضى الله عنه".

والواضح أن عبارة البغدادى جاءت مختصرة، وقد جاءت عرضاً. أما أبو الفرج فقد أتم كتابه "مختصر الدول" فى العربية فى أواخر حياته (توفى سنة ٦٨٤هـ) وهو ليس مختصراً، وتاريخه السريانى إلا من حيث الفتح لأنه يزيد على النسخة السريانية بأخبار كثيرة عن الإسلام والمغول وتاريخ علوم الروم والعرب وآدابهم. وأما السريانى فهو عبارة عن أخبار الفتح فقط فإغفال ذكر إحراق المكتبة فيه لا يدل على أنه دخيل على النسخة العربية، أو دسه فيه بعض المتأخرين كما توهم بعضهم، وإنما ذكر فى النسخة العربية لأنه يتعلق بآداب الروم والعرب التى أدخلها المؤلف فى هذه النسخة كما تقدم.

وقد تبين لنا بالبحث والتنقيب أن أبا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفى قبله بنحو أربعين سنة، وهو جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم القفطى، وزير حلب المعروف بالقاضى الأكرم، ولد فى قفط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ هـ، وتوفى فى حلب سنة ٦٤٦هـ، وللقاضى المذكور كتاب فى تراجم الحكماء، وعثرنا على نسخة خطية منه فى دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١١٩٧ هجرية، وقرأنا فيها فى أثناء ترجمة يحيى النحوى كلاماً فى معنى كلام أبى الفرج وأكثر تفصيلاً منه، وفيه شىء عن تاريخ هذه

المكتبة منذ إنشائها وإليك نص قوله "وعاش يحيى (النحوى) إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر والإسكندرية، ودخل على عمرو، ورأى له موضعاً، وسمع كلامه فى أبطال التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضاً فى انقضاء الدهر ففتن به، وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم يكن للعرب أنسة ما هاله. وكان عمرو عاقلاً، حسن الاستماع، صحيح الفكر، فلازمه وكاد لا يفارقه. ثم قال يحيى يوماً : "أنك قد أحطت بحواصل الأسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه أما ما لا نفع لكم به نحن أولى به، فأمر بالإفراج عنه" فقال له عمرو : "وما الذى تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة فى الخزائن المملوكية وقد أوقعت الحوطة عليها، ونحن محتاجون إليها ولا صنع لكم بها فقال له : "ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟ "فقال له يحيى : "إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الأسكندرية لما ملك حبب إليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها، وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلاً يعرف بابن مرة (زميرة) وتقدم له بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها، والمبالغة فى أثمانها، وترغيب تجارها، ففعل وأجتمع له من ذلك خمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتاباً، ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة : "أترى بقى من الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا؟ "فقال له زميرة : "قد بقى فى الدنيا شيء من السند والهند، وفارس وجرجان، والأرمان وبابل، والموصل وعند الروم، فعجب الملك من ذلك وقال له : "دم على التحصيل" فلم يزل على ذلك حتى مات. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا "فاستنكر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له :"لا يمكننى أن آمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" وكتب إلى عمر وعرفه بقول يحيى الذى ذكر، واستأذنه ما الذى يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه "وأما

الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنـه غنـى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها، فتقدم بإعدامها".

فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقـها فى مواقدها، وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأهميتها فذكروا أنها استنفذت فى مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى وأعجب. انتهى كلام ابن القفطى.

وبمقابلة هذه الفقرة بكلام أبي الفرج يتضح لك أن أبا الفرج نقل قول ابن القفطى مختصرا، ولو قرأت الكتابين لعلمنا أن أبا لافرج نقل كثيرا من زياراتـه العلمية فى كتابه العربي عن كتاب ابن القفطى ككلامه عـن ثيـادوق طبيـب الحجاج، فإن العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حرفيا.

بقى علينا البحث عن المصدر الذى نقل عنه ابن القفطى والغـالب أنـه نفس المصدر الذى نقل عنه عبد اللطيف البغدادى، لأنهما كانا متعاصرين، وعبد اللطيف سابقه، لأنه ولد سنة ٥٥٧ وتوفى سنة ٦٢٩ هجرية، ولكن لسوء الحـظ قد ضاعت تلك المصادر فى جملة ما ضاع من مؤلفات العرب. علـى أننـا إذا تدبرنا ما ذكره ابن النديم فى كتابه الفهرست عن أخبار الفلاسفة الطبيعيين مـن حكاية إنشاء مكتبة الإسكندرية يتضح لنا أن فى جملة المصادر التى نقلت عنـها تلك الرواية تاريخا لرجل اسمه إسحٰق الراهب، كان يبحث فى أخبـار اليونـان والرومان وآدابهما، ومن جملة ما نقلوه عنه خبر إنشاء مكتبة الإسكندرية علـى يد زميرة، وهاك نصه "أن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسـكندرية لمـا ملك بحث عن كتب العلم وولى أمرها رجلا يعرف بزميرة، فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتابة ومائة وعشرين، وقال له: "أيها الملك قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى السند والهند، وفارس وجرجـان، والأرمـان وبـابل، والموصل وعند الروم "وهى نفس عبارة ابن القفطى، فالظاهر أنه أخـذ إنشـاء المكتبة عن اسحق المذكور، وأخذ حريقها عن سواه. ولولا ما نقله ابن النديم عن

اسحق الراهب من أمر الفلاسفة لما علمنا بوجوده وظنناه لم يقل شيئاً، كما ظنناً أن المسلمين لم يذكروا شيئاً عن حريق مكتبة الإسكندرية على يد عمرو.

فيؤخذ مما تقدم أن إحراق مكتبة الإسكندرية لم يختلقها أبو الفرج لتعصب دينى، أو دسها أحد بعده، بل هو نقلها عن ابن القفطى، وهو قاض من قضاة المسلمين، عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن، اللغة والنحو، والأصول، والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وكان صدراً محتشماً جمع من الكتب ما لا يوصف، وكانوا يحملونها إليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوى خمسين ألف دينار، ولم يكن يحب من الدنيا سواها، وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب، ولم يخلف ولداً، وأوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب. وله مؤلفات عديدة فى التاريخ والنحو اللغة، وفى جملتها (أخبار مصر ابتدائها إلى أيام صلاح الدين) فى ستة مجلدات، وكتاب (تراجم الحكماء) الذى نحن بصدده، وأن ابن القفطى وعبد اللطيف البغدادى أخذا من مصدر ضائع، أما خلو كتب الفتح عن ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب، والغالب أنهم ذكروها وقد حذفت بعد نضج التمدن الإسلامى واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب، فاستبعدوا حدوث ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه، أو لعل لذلك سبباً آخر، وعلى كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية أبى الفرج.

ثالثاً: ورد فى أماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر إحراق مكتبات فارس وغيرها، وقد لخصها صاحب كشف الظنون فى عرض كلامه عن علوم الأقدمين بقوله: "إن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى شأنها وتنقيلها للمسلمين، فكتب إله عمر أن "اطرحوها فى الماء، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى "فطرحوها فى الماء أو فى النار فذهبت علوم الفرس فيها. وجاء فى أثناء كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم "أنهم

أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلاد، ولابد من أصل نقل صاحب كشف الظنون عنه (وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله : "فأين علوم الفرس التى أمر عمر بمحوها عند الفتح؟

رابعاً: إن إحراق الكتب كان شائعاً فى تلك العصور تشفياً من العدو ونكاية فيه، فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرها، كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه سنة ٢١٣ هجرية من مؤلفات المجوس. وقد عرضت عليه، فلما تبين حقيقتها أمر بإلقائها فى الماء، وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئاً من كتب المجوس فليعدمه.

ولما فتح هولاكو التترى بغداد سنة ٦٥٦ هجرية أمر بإلقاء كتب العلم التى كانت فى خزائنها بدجلة، وكان شيئاً لا يعبر عنه، مقابلة فى زعمهم بما فعله المسلمون عند أول الفتح بكتب الفرس وعلومهم، وقال آخرون أنه بنى بتلك الكتب اسطبلات للخيول وطوالات للمعالف عوضاً عن اللبن، والأغلب أنه أغرقها انتقاماً من أهل السنة.

ولما فتح الافرنج طرابلس الشام فى أثناء الحروب الصليبية أحرقوا مكتبتها بأمر الكونت برترام سنت جيلن وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فأمر بإحراق المكتبة كلها، وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد، وفعل الأسبان نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدى المسلمين فى أواخر القرن الخامس عشر.

خامساً: إن أصحاب الأديان فى تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة وإحراق كتب أصحابها من قبيل السعى فى تأييد الأديان الجديدة، فأباطرة الروم حالما تنصروا أمروا بهدم هياكل الأوثان فى مصر وإحراقها بما فيها من الكتب وغيرها، وكان خلفاء المسلمين إذا أرادوا اضطهاد المعتزلة وأهل الفلسفة أحرقوا كتبهم. والمعتزلة كثيراً ما يتجنبون ذلك تحت خطر القتل،

فيستترون ويجتمعون، سراً، والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم، ومن أشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزناوى لما فتح "الرى" وغيرها سنة ٤٢٠ هجرية، فإنه قتل الباطنية، ونفى المعتزلة، وأحرق كتب الفلاسفة والاعتزال والنجامة (التنجيم).

سادساً : فى تاريخ الإسلام جماعة من أئمة المسلمين أحرقوا كتبهم من تلقاء أنفسهم، منهم أحمد بن أبى الحوارى، فإنه لما فرغ من التعلم جلس يبكى ساعة ثم قال "نعم الدليل كنت على ربى، فلما ظفرت بالمدلول فالاشتغال بالدليل محال". فغسل كتبه، وذكروا عن سفيان الثورى أنه أوصى بدفن كتبه، وأن أبا عمرو بن العلاء كانت كتبه ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك وأحرقها . . .".

هذه هى أقوال جورجى زيدان آخر المؤرخين العرب الذين يؤيدون نسبة حريق مكتبة الإسكندرية إلى عمرو بن العاص، وتلك هى أدلته الست التى برهن بها على صحة إدعائه. وكما هو اضح، فإن هذه الأدلة تعتمد أساساً على رواية حريق عمرو بن العاص للمكتبة بأمر من عمر بن الخطاب، تعتمد أيضاً على خمسة أدلة أخرى، هى فى رأينا أدلة استنتاجية لا صلة لها بموضوع البحث، وإنما أوردها زيدان تأييداً لصحة الرواية.

ومن دراستنا لهذه الأدلة ننتهى إلى رفض الدعوة إستناداً إلى الأسباب التالية:[٤٤]

أولاً: فيما يتعلق بالرواية فقد درسها المؤرخون وانتهوا إلى رفضها شكلاً وموضوعاً استناداً إلى العناصر التالية:

---

[٤٤] راجع: مصطفى العبادى. المرجع السابق، ص ٤٦-٥٩؛ حسن رجب. المرجع السابق، ص ١٤٦-١٧٤؛ بتلر، ألفرد. المرجع السابق، ص ٣٥٩ حسن إبراهيم حسين. تاريخ الإسلام.- ط ٧ .- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ .- مج ١، ص ٢٤١-٢٤٦.

١-أن قصة إحراق العرب لمكتبة الاسكندرية لم يذكرها المؤرخــون إلا بعد ستة قرون مرت من وقت وقوع الحادثة التي ورد ذكرها، وإن جاز لنــا أن نتهم المؤرخين المسلمين المتقدمين أمثال ابن عبد الحكم، البلاذرى، واليعقوبــى بأنهم أحجموا عن ذكر هذه الرواية تعصباً منهم للمسلمين – فلسنا نجد شيئاً نفسر به عدم الإشارة إليها في كتب المؤرخين المسيحيين مثل حنا النقيوس الذى كــان قريب العهد بفتح الإسكندرية، ومثل سعيد بن البطريق المتوفى سنة ٣٢٨ هـ.

٢-أن الرجل الذى تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها وهــو يحيــى النحوى مات قبل الفتح الإسلامى لمصر بزمن طويل.

٣-إن عناصر القصة تدل على أنها خرافية وغــير واقعيــة ولا أثــر للتماسك بين أجزائها المختلفة، من ذلك أن أغلب الكتب كانت من الرقوق وهــو لا يصلح للوقود وأن عمر لو أراد إحراق ما ليس مكتوباً على الرق- الــبردى مثلاً- لما تجشم مشقة نقله إلى الحمامات لمدة ستة أشهر كما تقول الأســطورة، بالإضافة إلى أن عملية نقل الكتب إلى الحمامات، فضلاً عن مشقتها وتكاليفــها تسبب تأخيراً، وتتيح الفرصة لتهريب المخطوطات القيمة.

٤-أن هذه الرواية ذكرها ثلاثة مؤرخون عاشوا جميعاً في القرن الرابــع الهجرى/الثالث عشر الميلادى ولعلهم نقلوها عن مصدر مشترك لم يصل إلينــا، أو لعلهم صدقوا الروايات التى كانت تتناقلها الألسن والتى لم يكن الغرض منــها إلا الطعن ضد العرب، فضلاً عن أن عبد اللطيف البغدادى وهو أول من ذكــر هذه الرواية لم يشر إليها إلا عرضاً عند حديثه عن عمود الســوارى. وأن أول من أوردها تفصيلاً هو ابن القفطى وقد سجلها دون أن يثبت لها سنداً.

٥-أن هذه المكتبة لو كانت باقية عندما فتح المسلمون الإسكندرية، فــإن الهدنة التى عقدت بين المسلمين وأهل الإسكندرية كــانت طويلــة وكــان فــى

استطاعة القوم أن ينقلوا كنوز هذه المكتبة، لاسيما وأن العرب أباحوا للـــروم – فى شروط صلح المقوقس من المسلمين – نقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة.

ثانياً: وأما الأدلة الخمسة الإستنتاجية التى ساقها جورجى زيدان لتدعيـم القصة فهى أيضاً مردودة عليه على النحو التالى :

١-بالنسبة للدليل الأول فهو غير مسلم به اطلاقاً ذلك أن الاسلام يشـــجع على العلم والتعليم بدليل ما ذكره جورجى فى دليله الثانى من أن عمـــرو بـــن العاص كان يصغى إلى أقوال يوحنا النحوى ويعجب بها كل الإعجاب، ويجلـــه من نفسه محل الاحترام والاجلال، ومن المعلوم أن هذه الآراء كانت مســـيحية وإذا أضفنا إلى ذلك أن المسلمين بعد غزوة بدر كانوا يجعلوّن فداء من لم يجـــد مال يفتدى به نفسه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين، وأن فقهاء الاسلام قـــد حرموا إحراق الكتب الدنيوية علي الوجه المشروع لمنفعة المسلمين. لاتضح لنـا عدم سلامة قوله بأن العرب كانت لهم رغبة فى محو كل كتاب غـــير القـرآن والسنة.

٢-وأما ما ذهب إليه من أن العرب قد أحرقوا مكتبات فارس عند فتحهم لبلادها، فلم يذكر هذا الخبر إلا حاجى خليفة (المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)، ومثل هذا المؤرخ لا يعتد بكلامه فى مثل هذه المسائل المتقدمة، ولو أن العـرب أحرقوا هذه المكتبات لذكر ذلك المؤرخون الذى تقدموا على حاجى خليفة.

٣-استعان جورجى زيدان بقرينة أخرى مؤداها أن إحراق الكتب كـــان أمراً شائعاً ومعروفاً يستشفى به كل مخالف ممن خالفه، وقد ذكر أن عبد الله بن طاهر أحرق فى سنة ٢١٣هـ كتباً فارسية من مؤلفات المجوس، وحزا حـــزوه هولاكو التتارى سنة ٦٥٦هـ بإلقاء خزائن الكتب فى نهر دجلة.

وأعتقد أن هذا الدليل مردود أيضا على صاحبه ذلك لأنه على فـــرض صحة هذه الرواية فإن عبد الله طاهر هذا كان متأخرا وتوفى ٢١٣هـ ومن ثـم

لا يؤخذ عمله على عمر بن الخطاب المتوفى سنة ٢٣هـ، هذا فضلاً عن أن الكتب التى أحرقها طاهر هى مجوسية وفرق كبير بين المسيحية وهو دين سماوى وبين عقيدة عبدة النار.

٤-من الأدلة التى استعان بها جورجى زيدان على إدانة العرب قوله: أن أصحاب الأديان فى تلك العصور كانوا يعدون إحراق كتب الأديان المخالفة من قبيل السعى فى تأييد الأديان الجديدة. وضرب مثلاً على ذلك أن أباطرة الروم حالما تنصروا أمروا بهدم هياكل الأوثان فى مصر وإحراقها بما فيها من كتب وغيرها. فكيف سكت هؤلاء الأباطرة طوال الفترة التى تلت دخلوهم فى الدين المسيحى حتى تاريخ فتح العرب لمصر، أى بعد ما يقرب من ثلاثة قرون على مكتبة الاسكندرية، وقد كانت معقل الفلسفة والفكر الوثنى، ولا شك أنهم قد سبقوا العرب إلى تدمير مكتبة الإسكندرية، بدليل أن جميع المعابد المصرية التى كانت قائمة فى طول البلاد وعرضها قد تحولت بعد دخول مصر فى الدين المسيحى إلى كنائس، ولا أظن أنه يسمح ببقاء أى مكتبات فى هذه المعابد خصوصاً تلك التى تسيطر عليها الفلسفة الوثنية أو حتى بعض المذاهب المسيحية المخالفة للخط الرئيسى الذى وضعته الكنيسة القبطية لها، كما حدث بالنسبة لأصحاب المذهب الغنوسطى وقد أمر ثيوفيلوس أسقف الإسكندرية – من ٣٨٥ إلى ٤١٢م. بتدمير أى كتب أو مخطوطات تحمل أى آراء مخالفة.

٥-وهكذا ننتهى إلى تأكيد ما ذكرنا سلفاً أن مكتبة الإسكندرية أحرقت فى عهد يوليوس قيصر سنة ٤٧ق. ثم توالت عليها النكبات أثناء فترة الاضطهاد والاضطرابات التى عمت الإسكندرية(٤٥). حتى قضى عليها نهائياً فى عهد

---

(٤٥) أنظر على سبيل المثال :

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن .- الروضتين فى أخبار الدولتين.- القاهرة، ١٩٦٣، ج١، ص ١٢٠٨،

المقريزى: تقى الدين. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.- بيروت: دار صادر، ١٩٨٢.- ج١، ص

الامبراطور ثيودوسيوس فى أواخر القرن الرابع الميلادى وأن دعوى إحـــراق مكتبة الإسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفة الراشـــد عمــر بــن الخطاب دعوى باطلة ومحض افتراء.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن ثمة سؤال ملح فى طلب الإجابة عنه هـو: إذا كان ابن القفطى هو أول من أورد الرواية تفصيلاً، ونقل عنه كل من جاء بعده، فما الدافع وراء حرصه على إيراد قصة مختلقة دون أن يقيم لها دليلاً أو إثبات؟ لعل السبب المباشر والرئيسى يكمن فى علاقة ابن القفطى ووالده بصلاح الديــن الأيوبى وأسرته حيث كان من أعوانه ورجال دولته، ومن المعروف أن صــلاح الدين لما ملك مصر على أنقاض دولة الفاطميين؛ وضع يـــده علـــى مكتباتـــهم وكنوزها، وفرقها بالبيع تارة، وبالإهداء لرجاله تارة أخرى[٤٦]. وقد أدى ذلـــك التصرف إلى تعرض صلاح الدين لحملة نقد شديدة، وخاصة من جانب أتبـــاع الفاطميين، الذين كانوا يتربصون به، وكان هو بدوره يسارع للبطش بهم، وهنـا توفر لابن القفطى الدافع لتضمين كتاب تلك الرواية؛ فى محاولة للدفـــاع عــن صلاح الدين، فتفريق الكتب بيعاً أو إهداءً أهون بلا شك من حرقها.

٣-مكتبات مصرية أخرى فى العصر البطلمى الرومانى .

ولم تكن مكتبة الإسكندرية بقسميها الأم والوليدة هى المكتبة الوحيدة التى وجدت فى مصر إبان عصر البطالمة والرومان، فقد وجدت مكتبـــات عديـــدة انتشرت فى أقاليم مصر وكان لها نصيبها من اهتمام الملوك والأباطرة وكان لها أيضاً دورها فى الحياة الثقافية فى المجتمع المصرى.

٨٠٤٤ السيد السيد النشار. تاريخ المكتبات فى مصر: العصر المملوكى .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣.- ص٦٩، هامش ٢.

[٤٦] للمزيد راجع : إبراهيم نصحى : المرجع السابق ص ١٨-١٩؛ سمير يحيى الجمال. المرجع السابق، ص ١٧٣ وما بعدها.

ويمكن تصنيف المكتبات التى وجدت فى مصر زمن البطالمة والرومان غير مكتبة الإسكندرية إلى نوعين:مكتبات المعابد والمكتبات الخاصة.

لقد استمرت المعابد المصرية الفرعونية فى تقديم رسالتها الدينية والتعليمية للمصريين لاسيما تلك التى كانت بعيدة عن المدن الإغريقية – الأسكندرية – بطوليموس – نقراطيس – وظل أكثر المصريين متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم، بل قلدهم فى ذلك الإغريق والبطالمة والرومان، ولاشك أن ما حصلوه من علم قد تلقوه فى مدارسهم ومعابدهم ودور الحياة لديهم ومن الجائز أن تكون قد طرأت فى هذا العصر بعض التطورات على كل أو بعض المعاهد المصرية، ولكنه ليس جائزاً أن تكون كل هذه المعابد والمعاهد الملحقة بها قد اندثرت فلا شك أنها استمرت فى تأدية رسالتها فضلاً عما أنشىء من معابد فى زمن البطالمة والرومان، وكان لهذه المعابد بطبيعة الحال مكتباتها التى تعتمد عليها فى العملية التعليمية. غير أن معلوماتنا عن هذه المعابد ومكتباتها ودورها فى المجتمع طفيفة وفكرتنا عنها تكاد تكون غامضة، ويبدو أن الحال سوف يستمر كذلك إلى أن تنشر هذه الثروة الكبيرة من الوثائق البردية الديموطيقية التى تتكدس بالمكتبات ودور الآثار والمتاحف فى العالم والتى كانت يوماً بعضها مقتنيات للمكتبات زمن البطالمة والرومان.

ومع ذلك واعتماداً على الفروض والاستنتاجات وما وصلنا من معلومات طفيفة فى مصادر ذلك العصر من برديات ومخلفات أثرية، وما كتبه المؤرخون المحدثون؛ فقد تمكنا من الوصول إلى أسماء بعض هذه المكتبات وبعض من أخبارها.

١-مكتبة معبد القيصريون

وهو المعبد الذى كانت قد ابتدأت فى بنائه كيلوباترا بالإسكندرية، تكريماً لأنطونيوس، وقد أتم بنائه الامبراطور أغسطس، وقد سمى كذلك نسبة إلى

قيصريون (بطليموس الخامس عشر) ابن كيلوباترا وقيصر امبراطور الرومان، وكانت هذه المكتبة عظيمة ذات شأن حيث إن نواتها كانت مجموعة كتب من مقتنيات مكتبة برجامون بلغت مائتى ألف مجلد، كان قد أهداها انطونيوس لكليوباترا تعويضاً لها عن ما فقدته مكتبة الإسكندرية إبان حريق قيصر سنة ٤٧ق.م، وقد استمرت هذه المكتبة فى أداء رسالتها إبان العصر الرومانى حتى تهدم المعبد، وضاعت محتويات المكتبة إبان موجة اضطهاد المسيحيين لخصومهم الوثنيين ومعابدهم فى أواخر القرن الرابع الميلادى[٤٧].

٢-مكتبة معبد الإله بتاح.

وقد دلنا على وجود هذه المكتبة لوحتان لكاهنة تدعى "كا ايمحوتب" بهما نصان، وترجعان لعصر بطليموس الثالث عشر ويحتفظ بهما فى المتحف البريطانى تحت رقمى ١٤٧، ٣٧٧. حيث ذكر فى اللوحة الأولى ما نصه" . . . أن والدها أرادها (أو جعلها) أن تكون سيدة وكاتبة دار الكتب المقدسة للإله بتاح؛ الكاهنة فى دار الكتب "وجاء فى اللوحة الثانية ما نصه" . . . كاهنة دار الكتب، كاتبة الكتب المقدسة للإله بتاح" ويبدو أن هذه المكتبة كانت فى معبد الإله بتاح بممفيس (منف) الذى أقيم فى عهد بطليموس السادس[٤٨] وألحق به دار الحياة لتخريج الكتبة وتعليم السحر، وذلك تقرباً إلى المصريين، فقد كان الإله بتاح إلها للأرض وسيداً للفنون، وحامياً للفنانين وسيد العدالة، وقد اتخذه الاغريق فى العصر البطلمى إلهاً أيضاً للفنون ووحد بينه وبين معبودهم "هيفايستوس" المثال[٤٩]

---

[٤٧] راجع هامش ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢ عاليه.

[٤٨] انظر

Reymond, E. From the recards of apriesty family from Menphis I AA 38.- Wiesbaden, 1981. No 20-21 .

[٤٩] سمير اديب . المرجع السابق، ص ١٨٠.

٣-مكتبة معبد الإله خنوم

يعد الإله خنوم من أقدم الآلهة التى عبدها المصريون القدماء فقد اتخذوه إلهاً لمنطقة الشلال الأول حيث منبع النيل، لذلك اعتبروه المتحكم فى مصدر الرخاء فى مصر وكان مركز عبادته فى جزيرة فيلة جنوب أسوان حيث معبده، وقد ألحق بهذا المعبد مكتبة كانت عامرة بالكتب المقدسة وكتب السحر والملفات الجغرافية للبلاد المصرية، وكان لها أمين يدعى حور بن بانش، ويحتفظ المتحف المصرى ببردية بولاق ٥ رقم CCG 30646 ترجع إلى منتصف القرن الأول الميلادى، وتتضمن قصة جاء فيها : "إن حور بن بانش مكث فى المعبد، وفى نفس الليلة حلم حلماً بأن الإله العظيم جحوتى (تحوت أول أمين مكتبة فى التاريخ ورب دار الكتب) يتحدث إليه قائلاً : إنك حور بن بانش أمين دار الكتب. عندما يأتى صباح الغد إذهب إلى دار كتب معبد الإله خنوم، وحينئذ سوف تجد هناك مقصورة مغلقة، ومختومة. افتحها، وسوف تجد صندوقاً داخل المقصورة وبداخله لفافة بردى مكتوبة بخط يدى، أحضرها، وخذ نسخة منها، ثم أعدها إلى مكانها مرة ثانية، إنه الكتاب السحرى الذى يعمل على حمايتى من الأعداء، وهو الذى سيساعد الملك على حمايته من سحر الأثيوبيين عندئذ أفاق حور بن بانش من الحلم"(٥٠)

وفى هذا النص إشارة واضحة إلى وجود المكتبة بمعبد الإله خنوم، ونوعية مقتنياتها وكيف كانت تحفظ فى صناديق، وتشير أيضا إلى القائم على أمر المكتبة وارتباطه بالأمين الأول للمكتبيين المصريين.

٤-مكتبة معبد الإله إيزيس

كانت الإلهة إيزيس مثلا أعلى عند المصريين القدماء للأم الحنون والزوجة الوفية وذلك لإصرارها على العثور على جثة زوجها أوزيريس

---

(٥٠) Griffith , P.L. Stories of the High priests of Memphis .- Oxford, 1900. P.184-187.

الشهيد، والدفاع عن ابنها واصرارها على توليته عرش مصر، وكان مركز عبادتها الرئيسى زمن البطالمة فى جزيرة فيلة أيضاً، وقد تضمن معبد إيزيس دار الحياة مكتبة ومركز للنسخ وتدوين الكتب والبرديات، وكانت مكتبته – القائمة جدرانها حتى الآن – تشغل قاعة كبيرة خلف صف الأعمدة، ويوجد بها كوات – خزائن – فى الحوائط لحفظ البرديات وعلى جدران هذه القاعة نجد نقشاً يصور الأمبراطور أوغسطين يقدم القرابين للإله خونسو إله القمر وفوق إحدى الخزائن نجد صوراً على شكل أبيس وتحتها نجد تحوت على شكل قرد يقوم بفتح لفة بردى ليقرأ منها، كذلك نشاهد الأمبراطور أغسطس يقدم القرابين للإلهة ايزيس صاحبة المعبد(٥١).

٥-مكتبة معبد خنسو

ويقع هذا المعبد فى طيبة وقد دلتنا على وجود مكتبة به بردية متحف فينا رقم ٢٩، وبردية متحف برلين رقم T32، وهما يرجعان إلى عصر البطالمة وهما نسختان لنص واحد تقريباً، كتبه الكاهن بمعبد خنسو بطيبة، وتحدث عن متوفى وجاء فيها ". . . إن طعامك سوف يتم على مقربة من دار الكتب"(٥٢) وقد نشأ هذا المعبد فى عهد بطليموس الثالث.

٦-مكتبة دار الحياة بقفط

كان الإله مين رمزاً للإخصاب عند المصريين القدماء، وقد عبده الرجال كمانح للقوى الجنسية، وكان مركز عبادته الرئيسى فى قفط واخميم،

---

(٥١) Derchain, Lepapyrus selt 825.- Bruxcelles, 1965, P.59;

جيمس بيكى. الآثار المصرية فى وادى النيل / ترجمة شفيق فريد، لبيب حبش؛ مراجعة محمد جمال الدين مختار.– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨، ج٥، ص ١٥٣.

انظر أيضاً : عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٤٥،٣٦٦.

(٥٢) Stricker, B.H. .- De Egyptiache Mysterien pepleiden t. 32.- leiden, 1950, P.56.

وكان له معبد فى قفط وهو عبارة عن "دار الحياة"، وقد ألحق بها مكتبة كالعادة، وقد أنشىء هذا المعبد فى العصور القديمة واستمر فى أداء مهامه حتى نهاية العصر الرومانى(٥٣).

ويحتفظ المتحف المصرى بلوحة رقم CCG22017 عثر عليها فى اخميم وترجع إلى العصر البطلمى ويشيز نص هذه اللوحة إلى وجود المكتبة بدار الحياة واحتوائها على صناديق البرديات، وأن صاحب اللوحة وهو أمين المكتبة وكاتب الكتب المقدسة كان على علم بكل ما تحت يديه من الكتب والبرديات حيث ذكرت اللوحة واصفة صاحبها بما نصه ". . . كاتب الكتب المقدسة العالم بكل صناديق البرديات فى دار الكتب الخاصة بدار الحياة التابعة لدار الإله مين..."(٥٤)

٧-مكتبة معبد دندرة

وكان معبد دندرة مثله مثل المعابد المصرية الأخرى يحتفظ بمكتبة خاصة به، فقد عثر فى أحد مخابئ المعبد على نص يشير إلى نظام المعبد، وقد استمد أساساً من نصوص قديمة حيث جاء فيه ". . . إن الأساس الموقر فقد كان موجوداً فى دندرة ضمن كتابات قديمة مسجلة على لفافة من الجلد من زمن أتباع حورس، عثر عليها فى منف فى خزانة فى القصر الملكى أيام ملك مصر العليا والسفلى سيد الأرضين بيبى . ."

ويشير هذا النص إلى أن المعبد كان قد أقيم زمن بيبى الثانى فى عصر الأسرة السادسة ثم تهدم وأقيم بعد ذلك مرة أخرى فى عصر البطالمة، وقد نقش

---

(٥٣) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص٢١٩-٢٢٠

(٥٤) Kamal, A., Steles ptolemaigyes ET Romaines B: CCG NO. 2201-22208.-Cairo, 1905.- vol 1 p.1.

على جدران المعبد قائمة بعناوين خمسة كتب هى فى رأينا خمسة موضوعات كان تحتفظ المكتبة بمؤلفات ينتمى إليها. هذه الموضوعات هى:

-كتاب حماية الإله حتحور

-كتاب حماية الإله "ايحى" الابن الكبير لحتحور

-كتاب حماية معبده

-كتاب حماية تقديس الأقداس

-كتاب حماية كل الأماكن الموجودة فيه(٥٥).

٨-مكتبة معبد ادفو

تعتبر مكتبة معبد ادفو هى أكثر المكتبات المصرية زمن البطالمة -فيما عدا مكتبة الأسكندرية – والرومان، وقد وصلنا خبرها ومعلومات تفصيلية عنها. ويرجع ذلك إلى أن قاعة المكتبة ذاتهالازالت قائمة ، كما وصلتنا العديد من النصوص الخاصة بها لعل أهمها فهرس محتويات المكتبة.

لقد أنشىء هذا المعبد فى عصر بطليموس السابع ليكون معبداً للإله حورس وألحق به مكتبة تكونت من قاعة كبيرة سجل على واجهتها على اليمين عبارة "دار كتب حورس التى تحمل تعاليم آتوم" وعلى اليسار نقرأ "دار كتب الإله حورس رع المزينة بأشكال حورس رع وتشبه أفقه"(٥٦)

وقد توج مدخل المكتبة بلوحة نقش عليها صورة لرمز السماء فى حجم كبير وتحته اثنتان يرفعان بأيديهما لوحة الكاتب، ثم أربعة آلهة آخرون، صور إثنان منهم على كل جانب فى وضع يعبر عن فكر التعبد لهذه اللوحة هؤلاء الآلهة الأربعة كما عبرت عنهم الرموز التى كتبت فوقهم هم آلهة السمع والبصر

---

(٥٥) Mariette, A. Dandsra: Description general du grand, temple de cette ville. Paris, 1875.p.247-249.

(٥٦) Chassinat, Le temple de Edfau, Cairo : 1928 , Vol. III. P.339

والفطنة والنطق الخلق، وهذه اللوحة كما يقول عبد العزيز صالح تشير إلى سمو العلم الذى تضمنته مقتنيات المكتبة أو هى تجمع بين وسائل تحصيل العلم والسمع والبصر والفكر والوحى[٥٧].

وكانت هذه المكتبة – كما تدل على ذلك نقوشها – عامرة بقدرات رع أى الكتب والبرديات[٥٨]، وكان بها "صناديق عديدة تحتوى على كتب ولفائف من الجلد"[٥٩] وقد زينت جدرانها بصور ومناظر على مكانة المكتبة وأهمية محتوياتها، فبالإضافة للوحة سمو العلم المشار إليه سلفاً، نجد منظراً على الحائط الشرقى يمثل الملك بطليموس السابع واقفاً أمام حورس، ونشاهده على الجدار الشمالى الداخلى للمكتبة يقدم المقلمة والمحبرة للإله تحوت إله الكتب والمكتبات فى مصر الفرعونية وخلف ذلك نشاهد أخطر نقوش المكتبة وهو فهرسها الذى إشتمل على سجلين إحداهما يشتمل على إثنى عشر كتاباً ويضم الثانى اثنين وعشرين كتاباً، وسجل كل منهما حول (خزانة أو كوة) وذلك على النحو التالى[٦٠] :

الفهرس الأول

١-كتاب مقتنيات المعبد

٢-كتاب أوقاف المعبد

٣-فهرس الكتابات المكتوبة على الخشب

٤-كتاب إدارة المعبد

٥-كتاب حراس المعبد

٦-كتاب الشعائر الخاصة بحماية الأشخاص.

---

(٥٧) عبد العزيز صالح. المرجع السابق ص ٣٦٥.

(٥٨) Chassin at. Ibid.

(٥٩) عبد العزيز صالح. المرجع السابق والصفحة.

(٦٠) شعبان عبد العزيز خليفة. المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨. وانظر أيضاً

Thampson, J.L. Ancient libraries. London; Archon books, 1962. P.4-6.
Cawille. S. Le theologie D,osiris A Edfau.- FACO., 1983. P.16.

٧ -كتاب الحرس الملكى .
٨ -كتاب التعاويذ الخاصة بطرد الأرواح الشريرة .
٩ -كتاب منازل الشمس والقمر .
١٠-كتاب منازل النجوم .
١١-كتاب الأماكن وما يوجد بها .
١٢-كتاب طلوع جلالته "حورس إله المعبد" .

الفهرس الثانى

١-كتاب ردست إله الظلام والشجار .
٢-كتاب رد التمساح .
٣-كتاب النجوم والتنجيم .
٤-كتاب حماية القارب المقدس .
٥-كتاب كيف تكتشف القارب المقدس .
٦-الكتاب الملكى .
٧-كتاب التعاويذ .
٨-كتاب تمجيد عربة الجنازة .
٩-كتاب حماية المدينة .
١٠-كتاب حماية المنزل .
١١-كتاب حماية مصر العليا .
١٢-كتاب حماية المكان .
١٣-كتاب حماية السنة .
١٤-كتاب تكريس القبر .
١٥-كتاب تهدئة سيخت .
١٦-كتاب الشخصيات الرسمية

١٧-كتاب صيد الحيوانات المتوحشة.

١٨-كتاب الحماية من الزواحف

١٩-كتاب الحرس

٢٠-كتاب الحماية من الثعابين

٢١-كتاب أنواع السحر

٢٢-كتاب الأوقاف

ومن المرجح أن هذين الفهرسين هما ثبتان لموضوعات مقتنيات المكتبة، وليس بالكتب ذاتها، وكل رأس موضوع منها كان يشير إلى كوة أو خزانة أو صندوق يضم اللفائف والكتب التى تعالج ذلك الموضوع، وقد سبق وأن ذكرنا أنه كان بالمكتبة "صناديق عديدة تحتوى على كتب ولفائف من الجلد".

وعلى أى حال فإن هذين الفهرسين يشيران إلى نوعية مقتنيات المكتبة، فقد كان منها ما يتعلق بالمعبد ونظامه، وقواعد نقش جدرانه وما يتعلق برب المعبد حورس وأعياده، ثم كتب فلكية لمعرفة تعاقب الشمس والقمر فضلا عن الكتب السحرية والتعاويذ الدينية.

وبالإضافة هذه المكتبات الثمانية التى أتينا عليها فى الصفحات السابقة وجدت أيضا مكتبات فى معابد إسنا[٦١]، وكوم امبو[٦٢]، ومعبد آمون بطيبة (من عهد بطليموس السادس)[٦٣]، ومعبد مونتو بطيبة أيضا من عهد بطليموس الثالث[٦٤]، ومعبد الطود وكانت مكتبته تماثل مكتبة إدفو، وقد دون على جدرانها قائمة بست وثلاثين كتاباً هى رؤوس موضوعات تعبر عن محتويات المكتبة من

---

(٦١) Sauneron. Le Temple D'Esna.- Cairo : 1963, Vol. II, P. 247.

(٦٢) Morgan, J. Catalogue de monuments Et Inscription de L'Egypt Antique. Vol. II: Komombos .- Vienne, 1895 . No 221, 460.

(٦٣) Sethe, k. the banische templinschrl – Ftem aus Griecheisch – Romisches Zeit.- Berlin. 1957. Vol. VII, p.118 .

(٦٤) Ibid . P.16

الكتب[٦٤]، كما وجدت مكتبات ملحقة بمعابد هيبس Hibis في واحة الخارجة[٦٦]، ومعبد كوميز[٦٧].

ومن الجدير بالذكر أن هذه المعابد جميعا دونت على جدرانها مناظر لحتحور (سيشات) وألقابهما (سيدة دار الكتب) (مقدمة دار الكتب المقدسة)؛ وكذلك جحوتي وألقابه مثل سيد دار الكتب، سيد الكتب، ذو المكانة في دار الكتب[٦٨].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت مدينة نقراطيس[٦٩] مركز الإشعاع للحضارة الإغريقية في الوجه البحري، كانت تشتمل على عدد من المعابد منها معبد الإله آمون – زيوس الذي أنشأه بطليموس الأول[٧٠]، ومعبد أفروديتي[٧١]، وهو أول ما أنشيء من معابد في نقراطيس وذلك في عهد أبسماتيك (٦٦٣-٦٠٩ ق.م) ومعبد هيرا[٧٢]، ومعبد أبولو[٧٣]، والديسكوري[٧٤].

---

(٦٥) Driton, E.G. Posner, J.vandire. – Tod.- Cairo, 1980.- P. 222-223.

(٦٦) Davies, N.G. The temple of Hibis in khargeh Oasis, New York, 1953, vol. III. P.14

(٦٧) Vallell, D.Deux Hymner aux Diviniter de Komir, A noukis et Nphfthys. BIFA-No 83, P.165.

(٦٨) Boylan, P. Thoth the Hernes of Egypt. – Oxford, 1977. P.20-21.

(٦٩) نقراطيس : مدينة اغريقية انشئت بالقرب من دمنهور للتجار الاغريق فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد إبان عهد أبسماتيك الأول، وفى العصر البطلمى اهتم بها الملوك ووفروا لنزلائها أسباب الحياة الرغدة وكانت مركز اشعاع الحضارة الإغريقية، وانتشرت بها العديد من المعابد للآلهة اليونانيين مثل معبد هيرا وأبولو والديسكورى. للمزيد انظر : ابراهيم نصحى. المرجع السابق، ص ١١.

(٧٠) Gardner , E.A. Naucratis II in the Egypt Explaration Funal .- London, 1888 .- P.10 - 13.

(٧١) Ib id . P. 63-65.

(٧٢) Ib id . P. 16.

(٧٣) Patrie, W.M.Naucrstis I. In: the Egypt explarstion Funal .- London 1888. P. 63.

(٧٤) Ib id. P 16.

ومن الضرورى أن هذه المعابد كانت قد اشتملت على دور الكتب، فوجودها يعد أمرا مهما لقيام المعابد بدورها التعليمى والثقافى والدينى والحضارى.

لقد اتسمت هذه المكتبات بتنوع مجموعاتها نوعا ما،وإن سيطرت عليها الموضوعات الوثنية،ولقد سجلت بعض هذه المجموعات - كما سبق أن أشيرت- فكان منها ما يتعلق بالمعبد ونظامه وقواعد الكتابة والنقش على الجدران ومنها ما يتعلق بالطقوس الدينية والسحرية والفلك والفن والطب والتحنيط والتعاويذ، وكان لها فهارسها التى تصف مقتنياتها، وقد تحدثنا عن فهارس معبد ادفو والطود، وايزيس. والحقيقة أن مكتبات المعابد المصرية فى العصر البطلمى - الرومانى كانت امتدادا للمكتبات الفرعونية من حيث مواردها ومجموعاتها ونظمها واجراءتها الفنية والإدارية، ولم تكن هناك سمات خاصة عرفت بها مكتبات المعابد المصرية فى العصر البطلمى - الرومانى، غير أمر واحد كان يشكل ظاهرة وهو تعيين المشرف على المكتبة من الكهنة،وكانت وظيفته القيام بحفظ الكتب (قدرات رع) وصونها وترميم شعثها وتنظيمها. وهناك العديد من النصوص المصرية التى تشير إلى ذلك منها:

-لوحة جنائزية للكاهن جد - حرتيوس بمتحف فينا رقم ١٦٢ وهى ترجع إلى عصر بطليموس الثانى والثالث بمنفيس، تذكر وظائف وألقاب صاحبها الكاهن، والملامح الدينية للطقوس التى كان يقوم بها للآلهة ويذكر عن نفسه: . . . أنه يحسب وينظم كل الأشياء الموجودة فى دار الكتب وهو الذى قام بترميم قدرات رع (أى لفائف البردى)(٧٥).

-وفى متحف فينا أيضا لوحة رقم ٨٢ للكاهن بادى - باستت، ترجع إلى عصر كيلوباترا الثالثة وبطليموس الحادى عشر، وقد كتبت بالخط الهيراطيقى، وقد تكرر فيها وصف الكاهن بمصطلح "كاهن دار الكتب

---

(٧٥) Reymand , E. op.cit, P. 80-87, No 7.

المقدسة"[٧٦]، ولوحة أخرى رقم ١٤٥ للكاهن شرى ترجع إلى عصر بطليموس العاشر وقد كتبت بالهيروغليفية، وقد وصف صاحبها بنفس الصفة "كاهن دار الكتب"[٧٧]

-وفى المتحف البريطانى لوحتين لشخصية واحدة، هى الكاهنة كا-ايمحوتب، احداهما رقم ١٤٧، والثانية رقم ٣٧٧ وهما يرجعان إلى عهد بطليموس الثالث عشر وقد ورد فى اللوحة الأولى ما نصه "أن والدها (أى كا-امحوتب) أرادها أن تكون سيدة وكاتبة فى دار الكتب المقدسة للإله بتاح الكاهنة فى دار الكتب[٧٨]، كاتبة الكتب المقدسة للإله بتاح. "وفى اللوحة الثانية ذكر نفس المعنى . . كاهنة دار الكتب، كاتبة الكتب المقدسة للإله بتاح"[٧٩].

وهذه النصوص كأمثلة – تشير إلى طبيعة مهنة أمين المكتبة – فى ذلك العصر وأنه كان رجل دين أكثر من رجل علم وفن وذلك تمشيا مع السياسة العامة للمصريين بوجه عام ورجال الدين بوجه خاص حيث حرصوا على المحافظة على التراث الفرعونى الدينى أمام التيار الاغريقى. الذى تمثل فى سياسة البطالمة الغاشمة إزاء المصريين وتركيز اهتمامهم العلمى والفلسفى بمكتبة الإسكندرية مما أدى إلى انحدار المعاهد العلمية المصرية الفرعونية مثل معبد هليوبوليس أعرق المعاهد المصرية الذى تلاشى من الوجود، كما يذكر استرابون الذى زار مصر فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد[٨٠]

---

(٧٦) Ibid . P. 118-132, No. 17.

(٧٧) Ib id. P. 134. No 18.

(٧٨) Ib id . No 20.

(٧٩) Ibid . P. No 21.

(٨٠) انظر إبراهيم نصحى. المرجع السابق ، ص ٢١٢ – ٢١٥.

وعلى أى حال فأمامنا العديد من أسماء أمناء المكتبات في المعابد المصرية الفرعونية التى عثرنا عليها فى ثنايا النصوص القليلة التى وصلت إلينا.[٨١]

١-جد – حرتيوس – أمين مكتبة معبد بمنفيس – عهد بطليموس الثانى.

٢-شرى – أمين مكتبة معبد حورس بادفو – عهد بطليموس العاشر

٣-بادى – سانت – أمين مكتبة معبد حورس بادفو – عهد بطليموس الحادى عشر.

٤-كا – امحوتب – أمينة مكتبة معبد الإله بتاح – عهد بطليموس الثالث عشر

٥-حور بن بانش – أمين مكتبة معبد الإله خنوم – القرن الأول الميلادى

هذا وبالإضافة إلى مكتبات المعابد، كانت هناك المكتبات الخاصة التى انتشرت فى بيوت العلماء والأدباء والباحثين ورجال الدين، فنحن لا نجادل فى أن هؤلاء العلماء الذين امتلأت بهم الساحة المصرية إبان العصر البطلمى – الرومانى سواء كانوا من اليونانين الذى هاجروا من اليونان إلى مصر واستقروا بها فى الأسكندرية وبطوليموس ونيقراطيس والفيوم، أو أولئك العلماء المصريين الذين انحدروا من السلالة الفرعونية وتعلموا فى معابدها – نحن لا نجادل فى أن هؤلاء وأولئك كانت لديهم مكتباتهم الخاصة التى يعتمدون عليها فى تحصيلهم العلمى والفكرى والثقافى بالإضافة إلى مكتبة الإسكندرية ومكتبات المعابد المصرية.

ونستطيع أن نصنف المكتبات الخاصة المصرية فى العصر البطلمى الرومانى إلى نوعين، نوع كان فى بيوت بعض المصريين واليونانيين الذين كانوا يعملون فى مهن غير بحثية وعلمية وقد اقتصر استخدامها عليهم فقط وهذه لم يكن لها دور ملموس فى النهضة المكتبية فى ذلك العصر مثل : مكتبة زينون

---

(٨١) Reymand op.cit. P 87,118,134,142,146.

الفيلادلفى حيث عثر على أنقاض بيت كان يملكه فى بطوليموس على بقايا مكتبة وهى عبارة عن مجموعات قليلة من سجلات أعمال، وسجلات شخصية مع بعض البرديات الأدبية، كما عثر كذلك على مجموعات متشابهة فى الفيوم وثيقراطيس وممفيس، وطيبة وكوم امبو وغيرها من المدن المصرية(٨٢).

والنوع الثانى من المكتبات الخاصة كان فى بيوت العلماء اليونانيين بالإسكندرية خاصة الذين كانوا يمثلون مدارس علمية وبحثية فى تخصصاتهم، فهذه المكتبات وإن كانت خاصة؛لأنها تخص أصحابها الذين انشأوها لفائدتهم ومصلحتهم ومن أموالهم الخاصة فى أغلب الأحوال، إلا أن معظمهم كان يبيحها للزملاء والطلاب ومن يوثق بهم للانتفاع بها ،ومن ثم فكانت شبه عامة من ذلك مكتبة ايراسستراتوس(٨٣) ، وفيلينوس(٨٤) ، وفيلون(٨٥)، وأفلوطين(٨٦)، انتيوخس العسقلانى(٨٧)، وغيرهم.

---

(٨٢) Johnson, Elmer D.op.cit, P.56-57.

(٨٣) ايراسيستراتوس: طبيب اغريقى (٣١٠-٢٥٠ق.م) عاش فى الإسكندرية وكان من أوائل أساتذتها، أسس بها مدرسة طبية كانت من أنشط المدارس حتى نهاية القرن الأول الميلادى، وقد ألف مؤلفات عدة فى التشريح والفسيولوجيا والصحة العامة والتغذية والأدوية وأسباب الأمراض وعلاجها. للمزيد عن ترجمته : انظر . سمير يحيى الجمال. المرجع السابق. ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٨٤) فيلنيوس: (٣٥٠-٢٨٠ ق.م) طبيب سكندرى اغريقى عاش فى الإسكندرية وأسس بها مدرسة طبية اشتهرت باسم المدرسة التجريبية. للمزيد راجع : إبراهيم نصحى: تاريخ الحضارة المصرية.- القاهرة : ١٩٦٤.- ج٢، ص ٨٥.

(٨٥) فيلون : (ت : ٤٠م) مفكر فلسفى يهودى عاش بالإسكندرية فى القرن الأول الميلادى وكان صاحب مدرسة فلسفية جمعت بين الفكر الفلسفى اليونانى وتفسيرات الدين اليهودى. للمزيد راجع. العبادى. المرجع السابق، ص١١٨-١١٩.

(٨٦) أفلوطين : أحد أعلام المدرسة الفلسفية بالإسكندرية وهو مصرى من أسيوط عاش فى منتصف القرن الثالث الميلادى. للمزيد راجع العبادى. المرجع السابق ص ١٢٢.

(٨٧) انتيوخس العسقلانى: من رواد الفلسفة بالإسكندرية، كان شديد التمسك بالفلسفة الأكاديمية القديمة فيما يتعلق بنظرية المعرفة كما عرف عنه تمسكه بمبدأ الانتقائية توفى سنة ٦٨ ق.م. للمزيد راجع العبادى. المرجع السابق، ص ١١٧

الخلاصة

وهكذا شهدت مصر إبان العصر البطلمي – الروماني نهضة علمية مكتبية بفضل ما وفره لها ملوكها من موارد مادية وفنية فكانت بالإضافة إلى مكتبة الإسكندرية كان هناك مكتبات المعابد التى انتشرت فى الأقاليم المصرية، وكذلك المكتبات الخاصة وكانت لها نظمها الفنية والإدارية وقد استمرت فى تأدية رسالتها حتى منتصف القرن الرابع الميلادى حينما أصبحت مصر ولاية بيزنطية، وكان قد انتشر الدين المسيحي وأصبح الدين الرسمى للبلاد، وقد صاحب هذا الانتشار اضطهادا لغير المسيحيين من الوثنيين أدى إلى تدهور أحوال البلاد وانتشار الحروب الطائفية وتهدم الكثير من المعابد، وهجرة العديد من العلماء وتخريب المكتبات بوصفها معاقل الفكر الوثنى.

وبذلك تنتهى صفحة من تاريخ المكتبة المصرية نسبيا عبر عصورها التاريخية، لتبدأ بعدها بفترة ولاسيما بعد استقرار الأمور، تبدأ صفحة أخرى جديدة فى مصر إبان الحقبة المسيحية قوامها الدين المسيحى وما صاحبه من انتشار الكتب الدينية فى المؤسسات الدينية المسيحية وهذا ما سنتناوله تفصيلا فى بحث قادم[1] بإذن الله.

---

(1) من الجدير بالإشارة أن الباحث توفر على إعداد دراسة عن حركة الكتب والمكتبات فى مصر إبان العصر البيزنطى (٣٠٦-٦٤٢) جمع مادتها من المصادر الأصلية المباشرة والمتوافرة بكثرة فى الأديرة القبطية القديمة مثل دير السريان، ودير الانبا مقار بوادى النطرون، ودير العزراء بجبل أسيوط (القوصية)، ودير الأنبا شنودة بإخميم، ودير سانت كاترين بطور سيناء. والبحث قيد النشر.

الخاتمة

استعرضنا على امتداد الدراسات الثلاث حركة الكتب والمكتبات فى مصر القديمة، وطرحنا العديد من التساؤلات التى فرضت نفسها على بساط البحث ملحة فى طلب الإجابة عنها فى ضوء ما ورد فى مصادر البحث وأصوله.

وقد خصصنا الدراسة الأولى لمناقشة مقومات صناعة الكتاب المصرى القديم وملامحه الببليوجرافية وكان من أهم النتائج التى خرجنا بها من هذه الدراسة :-

١-يرجع فضل اختراع الكتابة إلى المصريين القدماء الذين مارسوها منذ بداية التاريخ (نحو خمسة آلاف سنة خلت) دون أن ينقلوا شيئاً منها عن الحضارات الأخرى المعاصرة، ولم تستق جذورها من الخارج، ولم تتأثر بمؤثرات أجنبية غير تأثير البيئة المصرية ومتطلبات الحياة فيها، وكان هذا هو الرمز الذى استخدمه المصريون القدماء فى تسجيل تراثهم ونتاجهم الفكرى.

٢-استخدم المصريون القدماء مواد عديدة للكتابة عليها وهى جميعها مشتقة من صميم البيئة المحيطة بهم؛ من ذلك الحجارة المسطحة، والألواح الخشبية، والرق والجلد، واللخاف، والأوستراكا، والبردى، وكان الأخير أكثر المواد استعمالاً فى الكتابة لما يتميز به من متانة وخفة حمله، وسهولة طيبة. وأن المصريين استخدموا البردى فى صناعة أوراق للكتابة فيما قبل عهد الأسرة الأولىوليست الأسرة الخامسة كما ذهب إلى ذلك جمهور الباحثين.

٣-استخدام المصريون القدماء أدوات عديدة للكتابة، هى آلة حادة لنقش الرموز على الحجارة وجدران المعابد، والفرشاة المصنوعة من سيقان نبات

السمار، والقلم المصنوع من الغاب أو البوص، كما استخدام المصريون المداد الأسود والأحمر والأصفر والأزرق.

٤-تميز الانتاج الفكرى المصرى فى العصور القديمة بالتنوع حيث كتب المصريون القدماء فى الأدب نثراً وشعراً، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الرياضية والفلكية، والطب والتشريح والأدوية، والحكمة والفلسفة، فضلاً عن الدين والكتابات المقدسة، وكان لهم فضل السبق فى وضع أسس هذه العلوم وتطويرها.

٥-ظهرت فى مصر القديمة طبقة تعرف بطبقة الكتّاب، كانت تمارس مهنة كتابة الكتب والرسائل وكانت لهذه المهنة آدابها وأخلاقياتها؛ أهمها التواضع واللين والرفق فضلاً عن العلم الغزير والثقافة الواسعة، ولذلك اهتم المصريون القدماء بإعداد الكتّاب وتعليمهم، ورفعهم إلى المكانة الأولى فى المجتمع.

٦-اتبع المصريون نظاماً فى ترتيب الحقائق والمعلومات فى لفائفهم البردية، فقد كانت اللفافة تقسم إلى أعمدة أشبه بصفحات تتكون من سطور، وقد اعتاد الكاتب المصرى أن يكتب وجه الورقة ونادراً ما كان يكتب على ظهرها، وعلى الرغم من اختلاف أحجام الكتب طولاً وعرضاً، إلا أنه كانت هناك أحجام شائعة الاستخدام وهى الورق ذات عرض من ٢١ سم إلى ٤٧ سم. وأما عن عدد السطور فقد تراوح ما بين ٨ إلى ١٧ سطراً فى الصفحة أو العمود، وقد عرف الكتاب المصرى ما يشبه صفحة العنوان وتسجيل رؤوس الموضوعات والهوامش والفواصل، ونظم تصويب الأخطاء فضلاً عن الرسوم والصور وغيرها من الإيضاحيات الملونة لتفسير النص وتوضيحه، ولم يعرف الكتاب المصرى نظام الترقيم أو التعقيبات إلا فى العصر البطلمى حيث نقلوه عن اليونانيين.

٧-ولم يكن توافر مادة الكتابة، وتطور الرمز (الكتابة المصرية) وظهور طبقة الكتاب وحرص المصريين على تدوين تراثهم ونتاجهم الفكرى، لم هذه هى كل عوامل تطور وانتشار صناعة الكتاب المصرى القديم، ولكن كان هناك عامل آخر ساعد على هذا الانتشار، ومده بأسباب القوة والانطلاق، وهو شغف المصريين بالقراءة وتقديرهم للكتاب بوصفه وسيلة تثقيفية وتعليمية وحرصهم على اقتنائه.

وأما الدراسة الثانية فقد عالجت موضوع "المكتبات فى مصر الفرعونية" حيث استهدفت التعرف على عناصر ومقومات الخدمة المكتبية فى مصر الفرعونية وكان من أهم النتائج التى خرجت بها الدراسة فى هذا الشأن ما يلى :

١-ثبت بالأدلة الموثقة أن المصريين القدماء عرفوا المكتبات منذ بداية عهد الأسرات وقد شهدت مصر الفرعونية نوعين رئيسيين من المكتبات هما المكتبات الخاصة التى احتفظ بها الملوك والأمراء والعلماء ورجال الدين والعسكريون فى قصورهم، فضلاً عن عامة المجتمع المصرى لدرجة أن أصبح من الأهمية بمكان أن يشتمل قصر الواحد منهم أو بيته على مكتبة تزخر ببرديات العلوم والفنون، وأما النوع الثانى فهو المكتبات الملحقة بالمعابد المصرية سواء كانت دينية أو تعليمية (دور الحياة)، وقد انتشرت هذه المكتبات فى جميع الأقاليم المصرية من "سقارة" شمالاً حتى "نباتا" جنوباً، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الكتاب والمكتبة كانا جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان المصرى القديم.

٢-لم تكن للمكتبات الفرعونية مبان مستقلة لأنها كانت ملحقة بمؤسسات أخرى هى القصور أو المعابد، وكانت البرديات توضع فى أبنية ملحقة بالمنشأة التى تتبعها وكانت المكتبة تحتل مكاناً متوسعاً ومناسباً من البناء ومن ثم يسهل الوصول إليه من قبل المستفيدين، وكانت تُحفظ البرديات فى صناديق وجرار وخزانات وأحياناً رفوف.

٣-وكانت تدار المكتبة الفرعونية بواسطة أمناء مكتبات كانوا هم الذروة فى مجتمعهم، وكان بعضهم يشغل بالإضافة إلى عمله كأمين مكتبة مناصب عدة مثل رئيس القضاة ورئيس المهندسيين المعماريين، وزير الفرعون، ولدينا قائمة بخمسة وثلاثين أمين مكتبة فرعونية استخلصناها من المصادر والمراجع، وكان أهم واجباتهم هى حفظ المقتنيات وتنميتها وترتيبها وتنظيمها وصيانتها وتيسير استخدامها، وهى واجبات لا تختلف كثيراً عن واجبات أمين المكتبة المعاصر وإن كان هنا ثمة اختلاف فهو فى الدرجة وليس فى النوع.

٤-على الرغم من وصف النصوص المعاصرة لمقتنيات المكتبات بأنها مقدسة إلا أن هذه المقتنيات لم تكن تبحث فى العلوم الدينية فقط ولكنها تعدتها إلى أصول الفلك وقواعد الفنون والطب والجغرافيا والتاريخ، أى أنه لم يكن ينقصها التنويع فى الموضوعات، وقد اعتمدت المكتبات فى تنمية مقتنياتها على النسخ بصفة أساسية، بالإضافة إلى الشراء والإهداء.

٥-فيما يتعلق بالإجراءات الفنية فى المكتبة الفرعونية انتهت الدراسة إلى أن المقتنيات كانت تحفظ فى صناديق أو جرار وكان يثبت على كل صندوق أو جرة بطاقة أو بطاقات تدل على ما فيها من كتب ويسجل عليها عنوان الكتاب، ولم تستدل الدراسة على ما إذا كان للمكتبة الفرعونية فهرس عام شامل أم لا ، وأما عن فهرس مكتبة إدفو الذى يستند إليه الباحثون فى وجود فهرس ذات شكل قائمة كانت تعلق على جدار المكتبة أو القاعة، فإن هذا الفهرس يرجع إلى العصر البطلمى وليس عصر الأسرات الفرعونى، وربما يثبت صواب هذا الرأى الأخير فى المستقبل إذا ما اكتشفت أدلة أثرية أو مادية تشير إلى ذلك.

٦-وفرت المكتبات الفرعونية نمطين من الخدمات وهى الاطلاع الداخلى والإعارة الخارجية وكانت لها شروطها وآدابها التى تضمن ضبط واقعة الاعارة لحفظ المقتنيات وسلامتها.

وإذا كانت الدراسة الثانية قد تناولت المكتبات فى العصر الفرعونى، فإن الدراسة الثالثة لمناقشة قضايا "المكتبات فى مصر إبان العصر البطلمى الرومانى" وكان من أهم النتائج الجديدة التى انتهت إليها هذه الدراسة ما يلى:

١-بدأت فكرة مكتبة الإسكندرية والتخطيط لها على يد بطليموس الأول (سوتير) مع بداية تأسيسه للدولة البطلمية سنة ٣٣٠ ق.م بهدف جمع التراث الإنسانى وتحريره وتنظيمه وتسهيل سبل الإفادة منه.

٢-وكانت مكتبة الإسكندرية تشتمل على مكتبتين : المكتبة الأم وكانت تقع فى الحى الملكى،ومكتبة معبد السرابيون وكانت تقع فى حى راقودة حيث يقيم السكان المصريون، وقد اشتملت على قاعات لحفظ المقتنيات بعضها خصص للكتب اليونانية وأخرى للكتب المصرية وقاعات لغيرها من الثقافات الأخرى. كما زودت بقاعات لاجتماع العلماء والباحثين ومرصد ومنسخ للكتب وقاعات للطعام وأماكن الإضافة للعلماء والباحثين، وقد وضعت لفافات البردى فى اسطوانات داخل عيون خاصة مثبتة فى الجدران أو فى جرار أو على رفوف، وكان بها عدد غير قليل من الأروقة والمقاعد والمكاتب المخصصة للقراءة، والاطلاع والنسخ منها.

٣-بلغ حجم مقتنيات مكتبة الإسكندرية نحو نصف مليون مجلد (مختلط ومفرد) تغطى جميع المعارف والفنون السائدة فى ذلك العصر من فلسفة وطب وفقه لغة وفلك ورياضيات وطبيعيات وتاريخ وجغرافيا وغيرها، ولم تقتصر على الكتب اليونانية فقط ولكنها اشتملت كذلك على كتب المصريين القدماء والهنود والبابليين والفينيقيين وغيرهم، وقد سلك البطالمة سبلاً ثلاثة لتنمية مقتنيات المكتبة وهى الشراء والنسخ والمصادرة.

٤-فيما يتعلق بالنظم والإجراءات الفنية فقد انتهت الدراسة إلى استخدام المكتبة نظماً لتسجيل الكتب وتوافر لديها سجلات لذلك، كما استخدمت نظماً

للفهرسة والتصنيف الموضوعى، وكان لها فهرس تفصيلى مصنف توفر عليه كاليماخوس وتلميذه أرسطو فان ولكن هذا الفهرس كانت تسيطر عليه روح قوائم الجرد.

٥-وقد تتابع على إدارة المكتبة منذ إنشائها أمناء امتازوا بالثقافة والعلم الغزير ولدينا بيان بأسماء سبعة عشر أميناً وسنوات توليهم إدارتها، وكان يعاون هؤلاء الأمناء فى مهمتهم جماعة من كبار الباحثين وعدد كبير من الناسخين.

٦-ولأن الهدف من إنشاء المكتبة هو تقديم خدماتها للباحثين، فقد حرصت مكتبة الإسكندرية على توفير خدمتين فقط هما النسخ وتيسير سبل الاطلاع الداخلى، أما خدمات الإعارة الخارجية فلم تكن متوفرة بمكتبة الأسكندرية حفاظاً على المقتنيات، والتى كان عليها أصول من الصعب تعويضها إن سرقت أو زورت.

٧-أما عن مصير هذه المكتبة فقد ثبت لنا بالأدلة الموثقة بعد مناقشة جميع الآراء أنه قد أحرق جزءاً كبيراً منها فى عام ٤٧ ق. م أثناء حريق يوليوس قيصر لأسطوله المرابط بالميناء، ثم توالت عليها النكبات أثناء فترة الاضطهاد والاضرابات التى عمت الإسكندرية إبان حكم الرومان فى القرون الأولى للميلاد حتى قضى عليها نهائياً فى أواخر القرن الرابع الميلادى على يد الأسقف ثيوفيلوس، وأن دعوى إحراق عمرو بن العاص للمكتبة فى القرن السابع الميلادى بأمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب دعوى باطلة ومحض افتراء، وقد فندنا ذلك بالتفصيل.

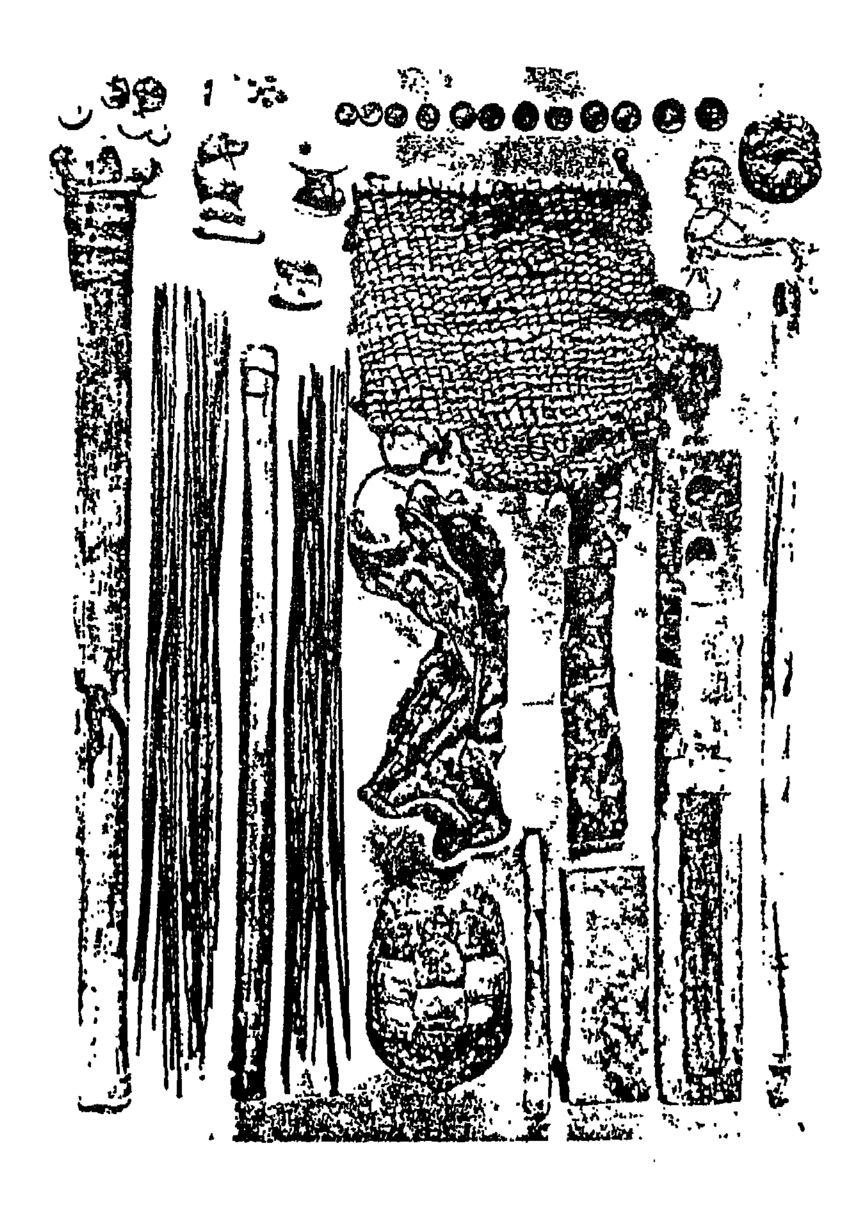
٨-إنتهت الدراسة إلى أن مكتبة الإسكندرية بقسميها الأم، والسرابيون لم تكن المكتبة الوحيدة فى مصر فى العصر البطلمى الرومانى، حيث وجدت مكتبات عديدة انتشرت فى أقاليم مصر منها مكتبات المعابد المصرية كمعبد القيصريون ومكتبة معبد الإله بتاح، ومكتبة معبد الإله خنوم وغيرها من

المكتبات، فضلاً عن مكتبات معابد المدن الإغريقية بمصر كنقراطيس، ومن ذلك أيضاً المكتبات الخاصة بالعلماء والفلاسفة الذين عجت بهم مـــدن مصـــر فـــى العصر البطلمى الرومانى. وكانت هذه المكتبات وتلك امتداداً للمكتبات الفرعونية من حيث مواردها ومجموعاتها ونظمها واجراءاتها الفنية والإدارية.

ولعل من أهم النتائج التى خرجنا بها على امتداد الدراسات الثلاث فـــى هذا الكتاب هى العلاقة الطردية بين أحوال المجتمع والنهضة المكتبية، فقد تبيـن أن الاستقرار السياسى والرخاء الاقتصادى والنشاط الاجتماعى كان له انعكاساته الطيبة وتأثيره الايجابى على النهضة المكتبية، والعكس صحيح فإن أثناء فـترات الانتقال والتدهور التى كانت تحدث بعد انتـــهاء أســـرة حـــاكم وقيـــام أخـــرى، والغزوات الأجنبية للفرس والرومان وغيرهما، فقد كانت حركة الكتب والمكتبات تسوء كثيراً بسبب تدهور الأحوال.

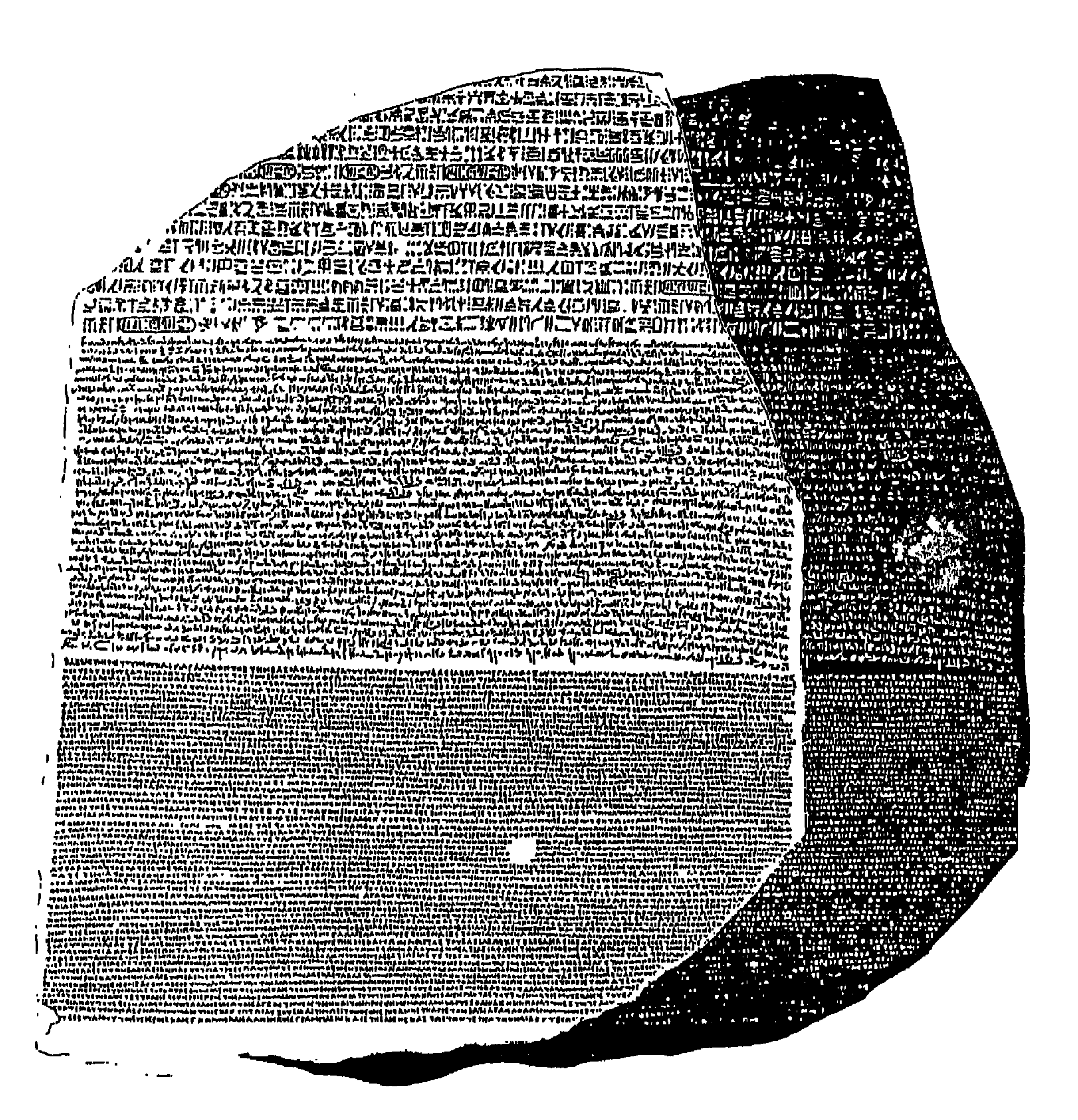
ملحق الدراسات
خمس عشرة لوحة مصورة من مصر القديمة

لوحة رقم ١



أدوات كاتب عثر عليها فى مقبرة بطيبة

لوحة رقم (٢)



حجر رشيد ذات الكتابات الثلاث الهيروغليفية، والديموطيقية واليونانية ويرجع للعصر البطلمى

لوحة رقم (٣)

الصفحة الأولى من بردية إيبرس – الأسرة الثامنة عشرة

لوحة رقم (٤)

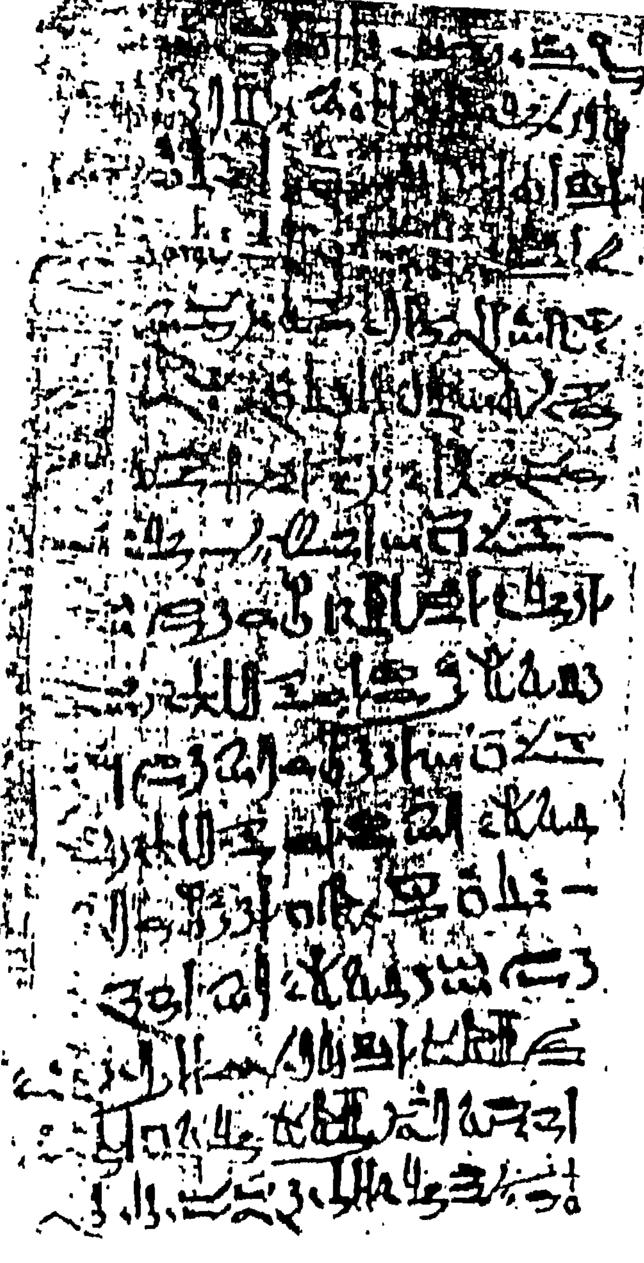
جزء من بردية ساليبه – ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة

لوحة رقم (٥)



خطاب من ملف حقا نخت ملفوف ومربوط ومختوم

لوحة رقم (٦)



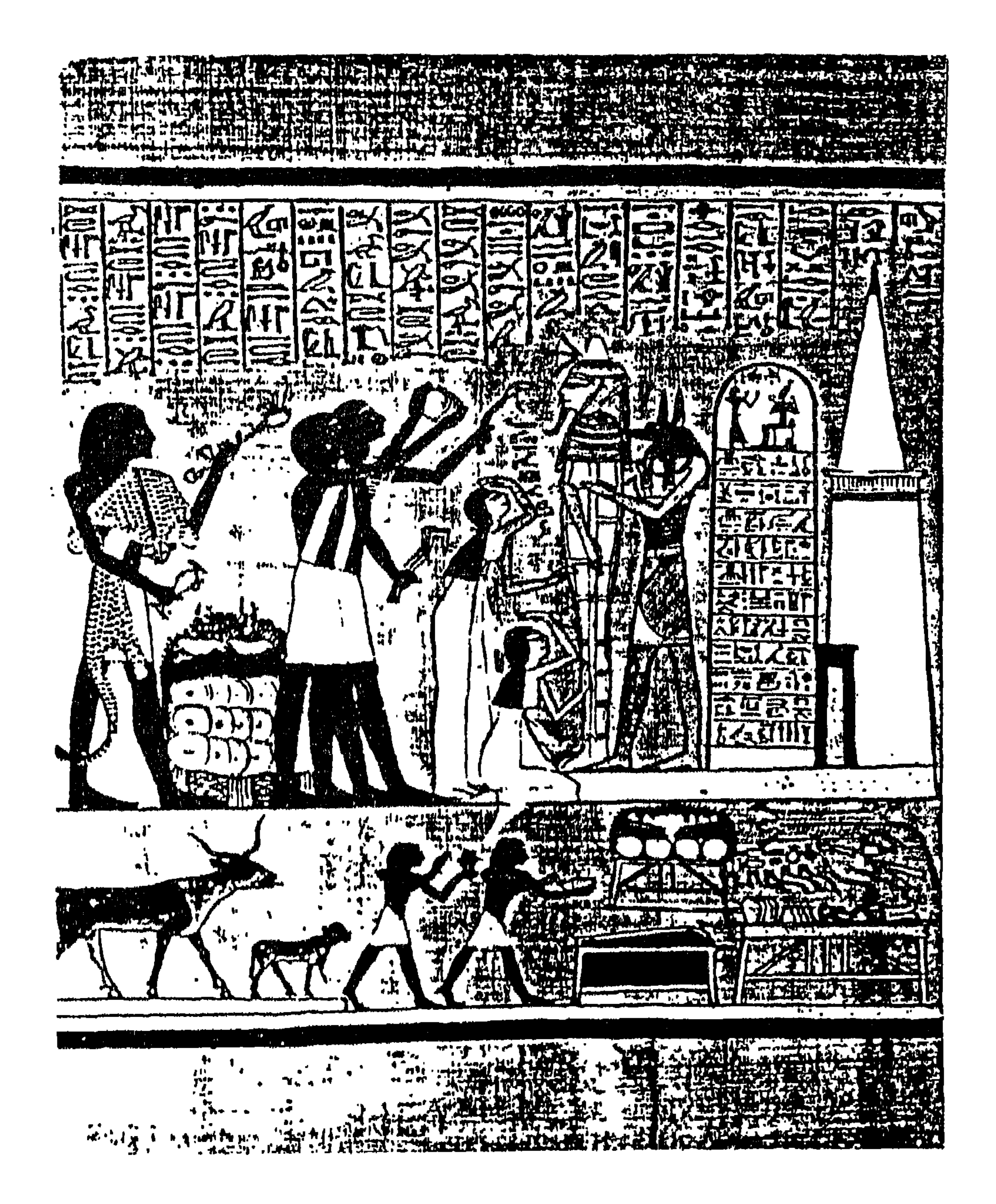
رسالة المحافظ منتوحتب إلى الكاتب أحمس

لوحة رقم (٧)



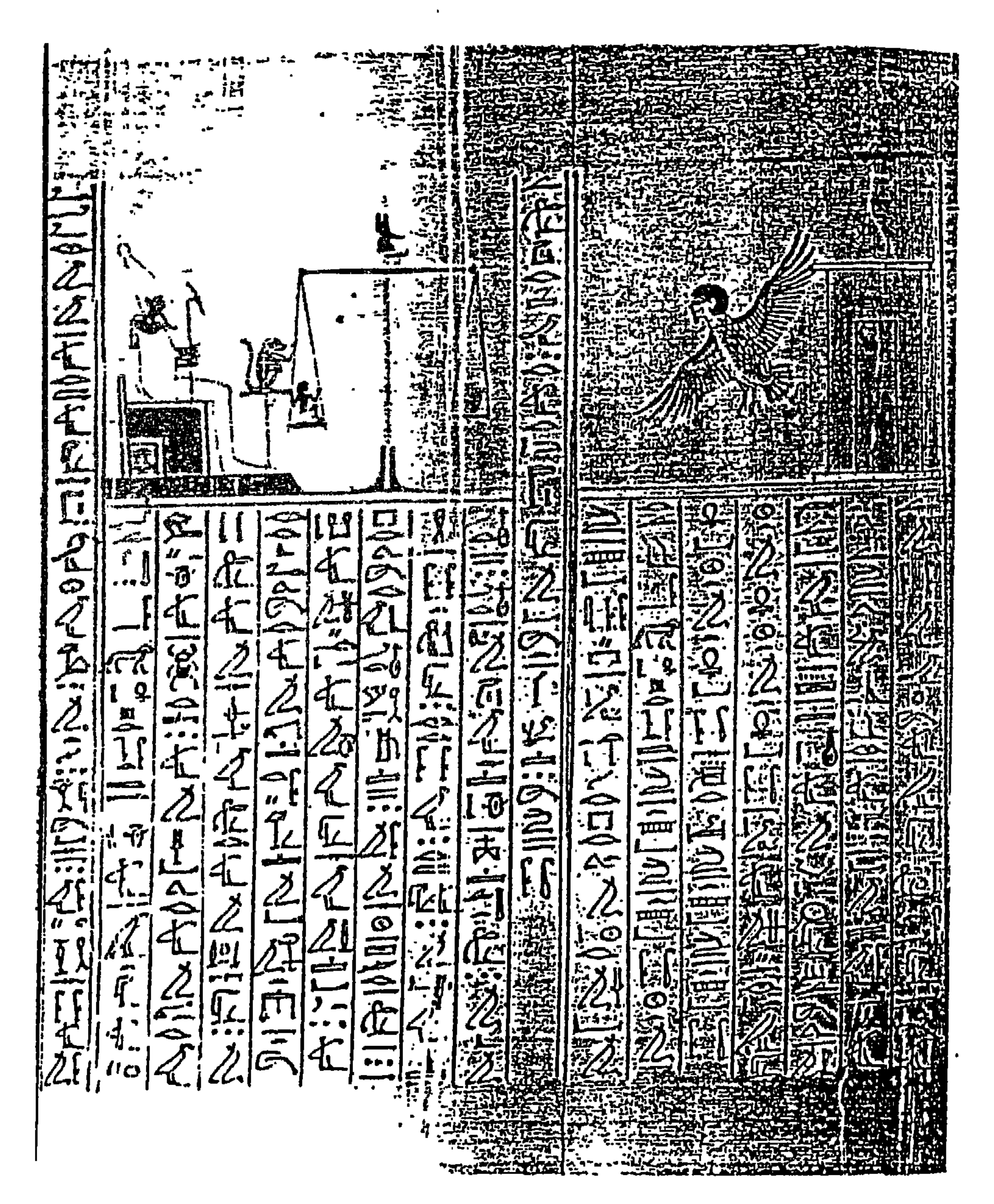
جزء من بردية مصورة ترجع إلى الأسرة العشرين
تحكى قصة ساخرة

لوحة رقم (٨)



بردية "هونفر" ١٣٧٠ ق.م مصورة ومزخرفة

لوحة رقم (٩)



نموذج لكتاب الموتى مصور

لوحه رقم (١)

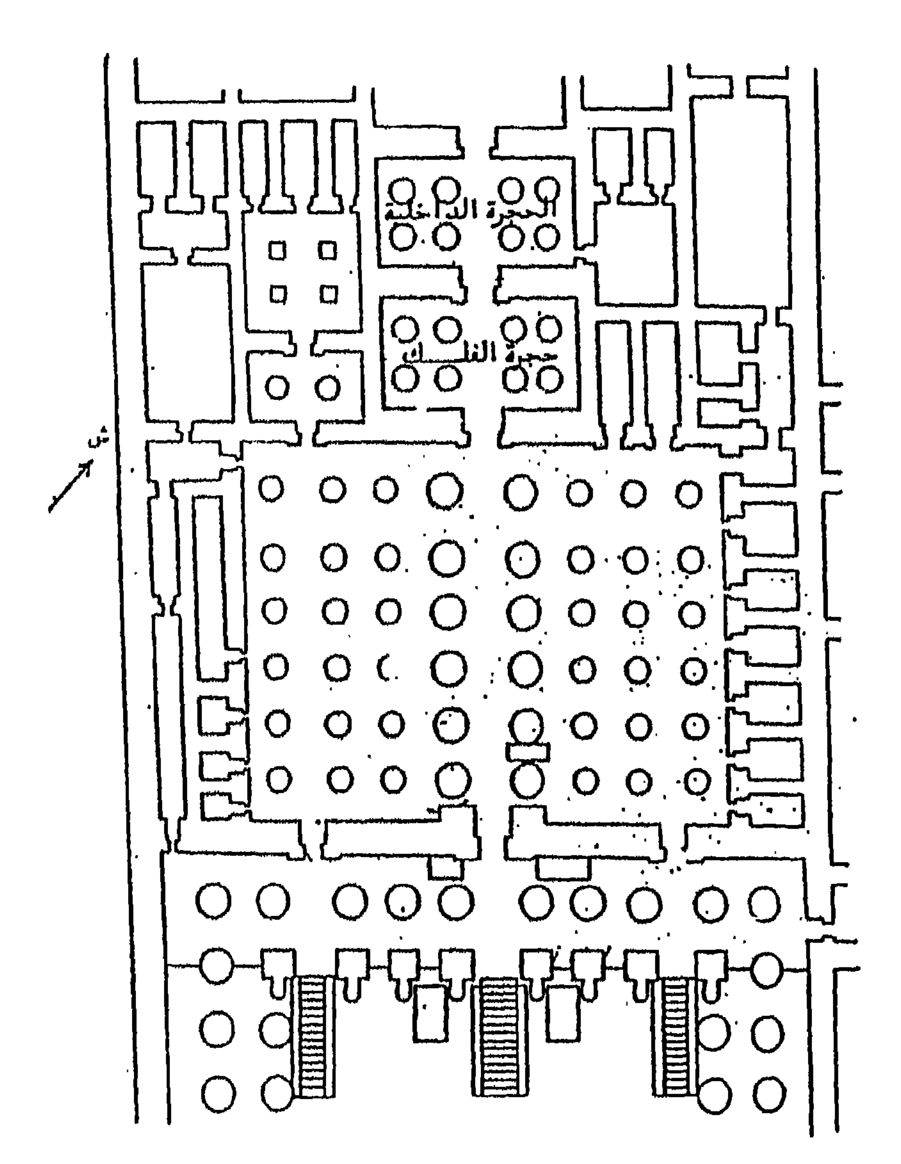
نموذج لبرديه تحتوى على نصوص بالقبطية ق ٤ م

لوحة رقم (١١)



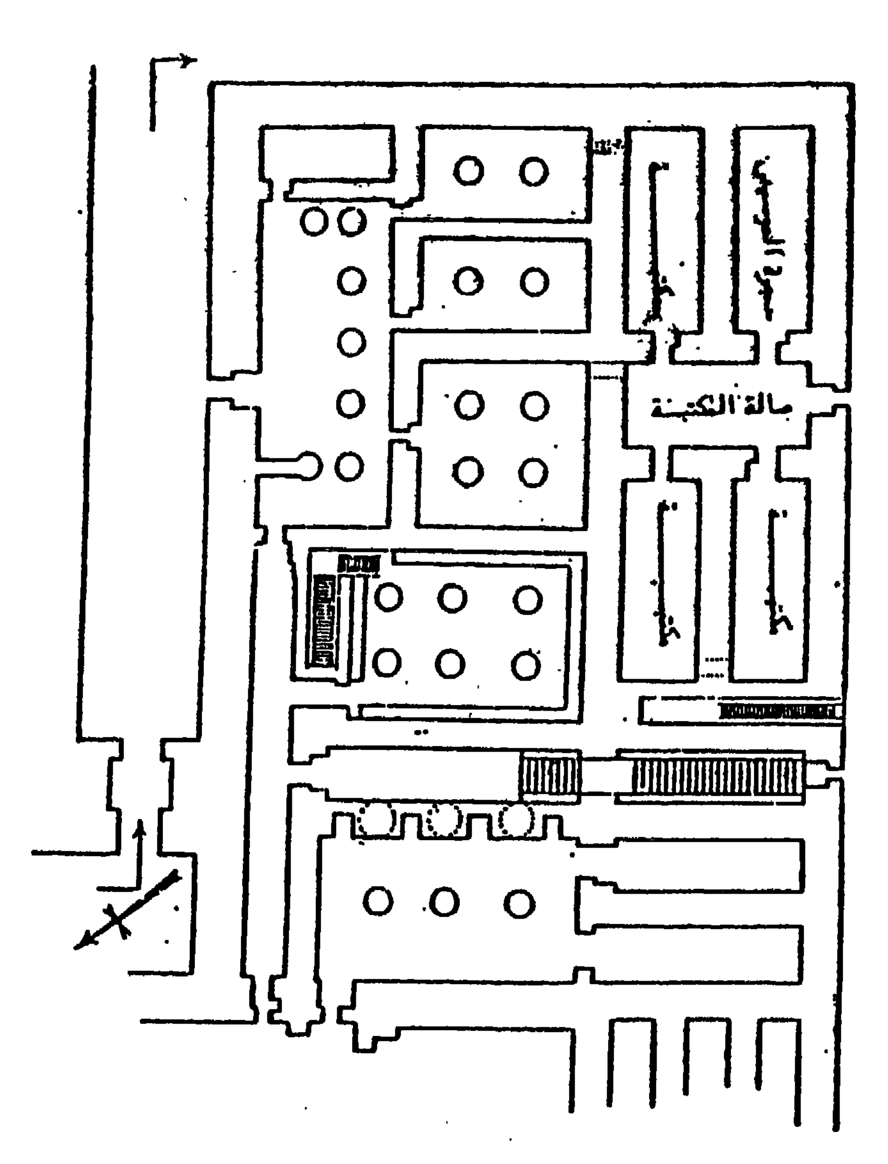
تمثال امحوتب بن حابو "الكاتب المصرى"

لوحة رقم (١٢)



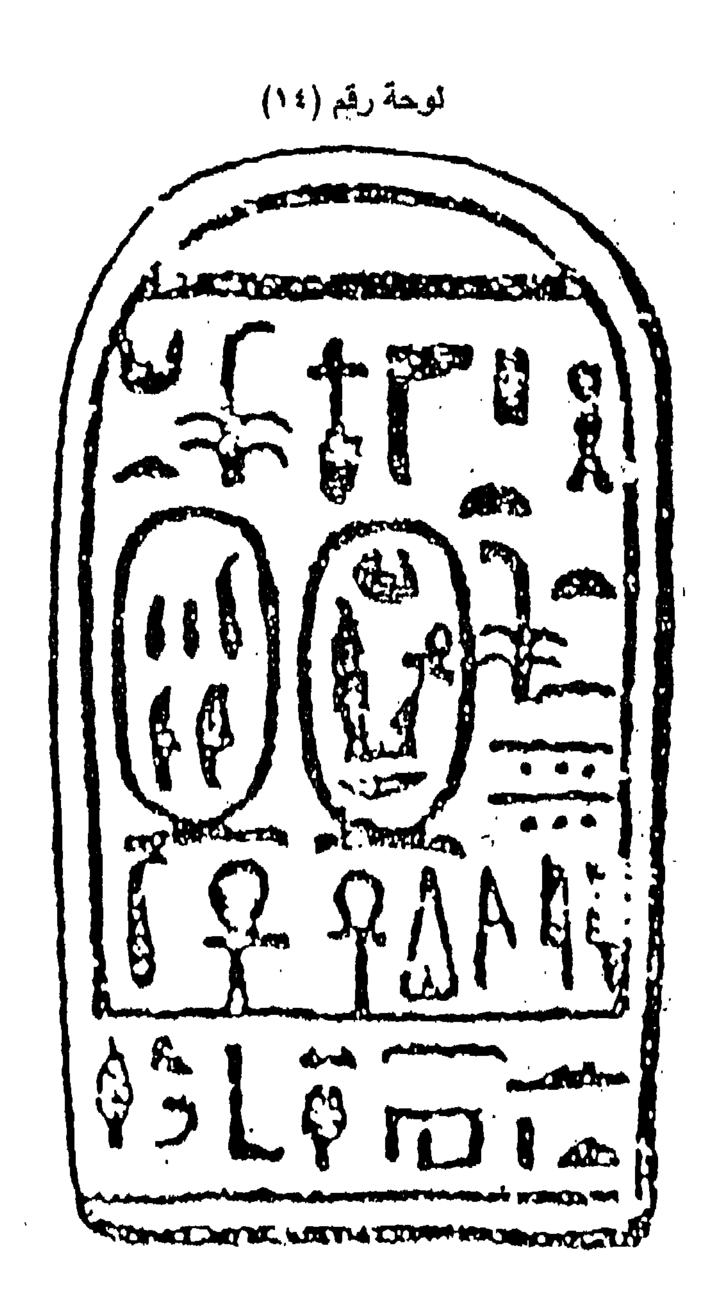
مسقط أفقى لمعبد الرمسيوم يوضح موقع المكتبة
وقاعاتها عن أحمد أمين سليم

لوحة رقم (١٣)



مسقط أفقى لمعبد سيتى الأول فى أبيدوس يوضح موقع المكتبة وقاعاتها عن Zayed A.

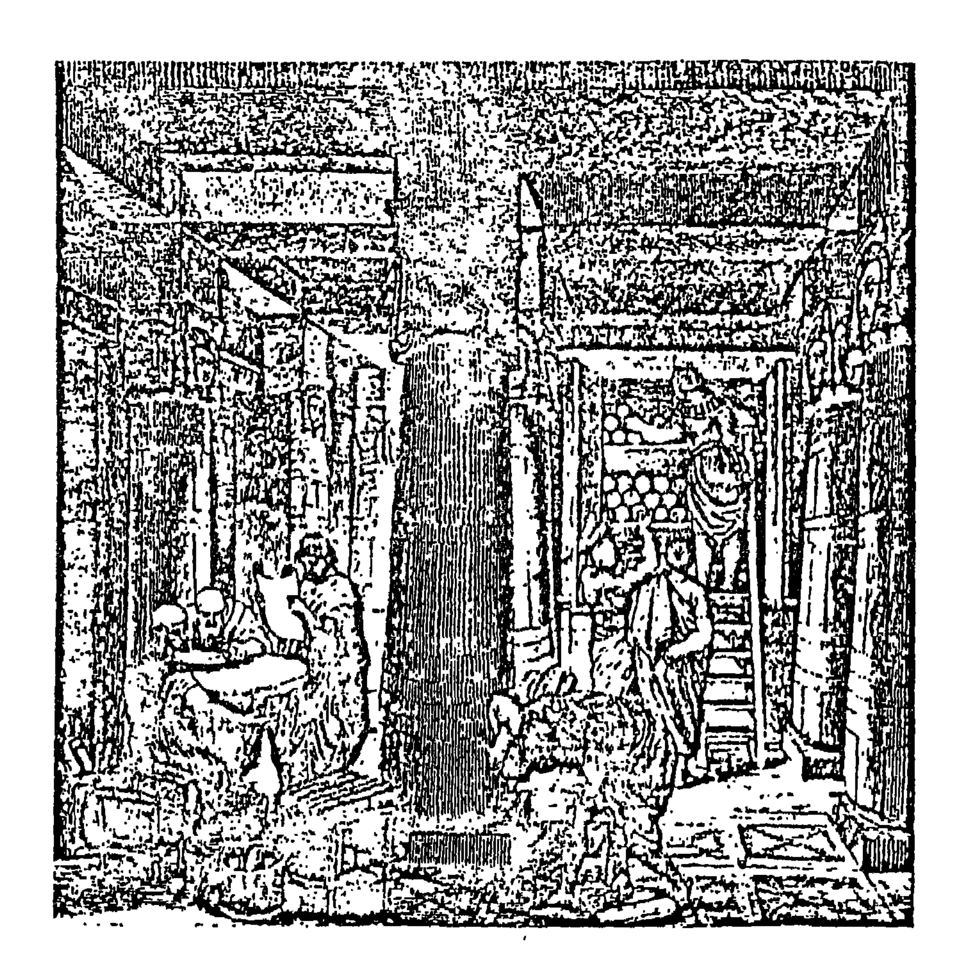
لوحة رقم (١٤)



بطاقة امنحوتب الثالث

عن أحمد أمين سليم

لوحة رقم (١٥)



لوحة تصور احدى قاعات مكتبة الإسكندرية

قائمة المصـادر

أولاً المصادر العربية والمعربة:

١-إبراهيم نصحى.

تاريخ التربية والتعليم فى مصر الجزء الثـاني: عصـر البطالمـة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

٢-أحمد أمين سليم.

المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الإسكندرية.- مجلـة كليـة الآداب.- مج٣٨،ج١(١٩٩٠).

٣-أحمد بدوى.

تاريخ التربية والتعليم فى مصر: العصر الفرعونى / تأليف أحمد بدوى، جمال الدين مختار.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

٤-أحمد صالح.

قصة فك رموز اللغة المصرية القديمة.- القـاهرة: المجلـس الأعلـى للآثار، (١٩٩٥).

٥-أحمد عادل كمال.

حجر رشيد وهيروغليفية.- القاهرة: الزهراء للاعلام العربى،١٩٩٣ .

٦-أرمان، أدولف.

ديانة مصر القديمة؛ ترجمة عبد المنعم أبوبكر، محمد أنور شـكرى.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧.

٧-أرمان، أدولف.

مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة/ تأليف أدولف أرمان، هرمان رانكة؛ ترجمة عبد المنعم أبوبكر، ومحرم كمال.- القاهرة،١٩٥٣.

٨-الفريد، سبيريل.

إخناتون/ تأليف سبيريل الفريد؛ ترجمة أحمد زهير أمين، مراجعة محمود ماهر طه.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢.

٩-بتلر، الفريد.

فتح العرب لمصر/ تأليف الفريد بتلر؛ عربة محمد فريد أبو حديد.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٩.

١٠-بوزنر، جورج

معجم الحضارة المصرية القديمة/ جورج بوزنر . . . و[آخ]؛ ترجمة أمين سلامة؛ مراجعة سيد توفيق.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٦.

١١-بول غليونجي.

زينب الدواخلى. الحضارة الطبية فى مصر القديمة.- القاهرة: ١٩٦٥ .

١٢-بيكى، جيمس.

الآثار المصرية فى وادى النيل/ تأليف جيمس بيكى؛ ترجمة شفيق فريد، لبيب حبش؛ مراجعة محمد جمال الدين مختار.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،١٩٦٨.

١٣-ثروت عكاشة.

الفن المصرى القديم٢٠، النحت والتصوير.- القاهرة: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.

١٤-جورجى زيدان.

تاريخ التمدن الإسلامى.- القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٠٤.

١٥-جيمر، ت. ح.

الحياة أيام الفراعنة: مشاهد من الحياة فى مصر القديمة/ ت. ج جيمر؛

ترجمة أحمد زهير أمين؛ مراجعة محمود ماهر طه.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧.

١٦-حسن رجب.

البردى.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١.

١٧-حسن كمال.

الطب المصرى القديم.- القاهرة: ١٩٦٤.

١٨-دال، سفن.

تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر/ سفن دال؛ ترجمة محمد صلاح الدين حلمى؛ مراجعة توفيق اسكندر.- القاهرة: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، ١٩٥٨.

١٩-ديورانت، ول.

قصة الحضارة، ج٢، مج١: الشرق الأدنى/ ترجمة محمد بدران.- القاهرة: جامعة الدول العربية. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧١.

٢٠-رشيد الناضورى.

دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم.- الإسكندرية، دار الكتاب الجامعى،١٩٨٢ .

٢١-ستيبتسفيتش، الكسندر.

تاريخ الكتاب/ ترجمة محمد الأرناؤوط.- الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،١٩٩٣.- القسم الأول، ص٣٨.- (سلسلة عالم المعرفة؛١٦٩).

٢٢-سعد محمد الهجرسى.

همسات ونداءات فى آفاق القراءة والكتب والمكتبات.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩١ .

٢٣-سعيد مغاورى محمد.
البرديات العربية فى مصر الاسلامية.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة،١٩٩٦.
٢٤-سليم حسن.
الآدب المصرى القديم.- القاهرة، ١٩٤٥.
٢٥-سليم حسن.
مصر القديمة.- القاهرة، ١٩٤٤.
٢٦-سمير أديب.
مرحلة التعليم العالى فى مصر القديمة: دور الحياة.- القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٠ .
٢٧-سمير يحيى الجمال.
تاريخ الطب والصيدلة المصرية: العصر اليونانى الرومانى.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ .
٢٨-شعبان عبد العزيز خليفة.
الببلوجرافيا، أو، علو الكتاب: دراسة فى أصول النظرية الببلوجرافية وتطبيقاتها، النظرية العامة.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦.
٢٩-شعبان عبد العزيز خليفة.
الببلوجرافيا، أو، علم الكتاب. . . النظرية الخاصة. . . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ .
٣٠-شعبان عبد العزيز خليفة.
الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء.- القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ .

٣١-شعبان عبد العزيز خليفة .

الكتب والمكتبات فى العصور القديمة.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٧.

٣٢-شعبان عبد العزيز خليفة.

المحاورات فى مناهج البحث فى علم المكتبات والمعلومات.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ .

٣٣-عبد الحميد زايد.

أبيدوس.- القاهرة: مصلحة الآثار، ١٩٦٣ .

٣٤-عبد الحميد سماحة.

تاريخ الحضارة المصرية: العصر الفرعونى.- القاهرة، ١٩٦٢ .

٣٥-عبد الستار الحلوجى.

لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦ .

٣٦-عبد العزيز صالح.

التربية والتعليم فى مصر القديمة.- القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ .

٣٧-عبد العزيز صالح.

حضارة مصر القديمة وآثارها.- القاهرة:١٩٦٢ .

٣٨-عبد العزيز صالح.

موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديم/ تأليف عبد العزيز صالح. . . و[أخ].- القاهرة: الهيئة العامة للكتاب،١٩٩٦.

٣٩-كتشن، كنت أ.

رمسيس الثانى، فرعون المجد والانتصار/ تأليف كنت أ كتشن؛ ترجمة

أحمد زهير أمين؛ مراجعة محمود ماهر طه.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ .

٤٠-لنتون، رالف.

شجرة الحضارة. ترجمة أحمد فخرى القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

٤١-لوكاس، الفريد.

المواد الصناعات؛ ترجمة زكى اسكندر، محمد ذكريا غنيم.- ط٣- القاهرة،١٩٤٥ .

٤٢-محمد أبو المحاسن عصفور.

معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم.- بيروت: دار النهضة المصرية،١٩٨١ .

٤٣-محمد العزب موسى.

ايمحتب إله الطب والهندسة.- القاهرة: هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٤ .

٤٤-محمد بيومى مهران.

دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم.ج٥: الحضارة المصرية.- الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢ .

٤٥-محمد جمال الدين مختار.

تاريخ الحضارة المصرية.- القاهرة: دار المعارف،١٩٦٢ .

٤٦-محمد ماهر حماده.

الكتاب فى العالم.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥.

٤٧-محمد ماهر حماده.

المكتبات فى العالم: تاريخها وتطورها فى مطلع القرن العشرين.- الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨١.

٤٨-مصطفى العبادى.

مكتبة الإسكندرية القديمة.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٦.

٤٩-مصطفى العبادى.

مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها.- باريس: اليونسكو،١٩٩٢.

٥٠-نجيب ميخائيل إبراهيم.

مصر والشرق الأدنى القديم.- الجزء الرابع: الحضارة المصرية.- ط٢.- الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،١٩٦٦.

٥١-هيسيل، الفرد.

تاريخ المكتبات/ تأليف الفرد هيسيل؛ ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة.- القاهرة: المكتبة الاكاديمية،١٩٩٤.

ثانياً : المصادر الأجنبية

1-Baikie, J.

Egyptian papyri and papyrus hunting.- London, 1952.

2-. Bezold, C. and E.A.Budge .

The Tell EL – Amarna Tablets in the British Museum.- London, 1892.

3-Bleeker, C.J.

Hathor and thatf two key Figures of the ancient Egyption Religion.- Leiden, 1973.

4-Boylan, P.

Thath the Hemes of Egypt.- Oxford, 1977.

5-Breasted, J.H.

Ancient Records of Egypt Historical Documents.- Chicago, 1906. Vol. 1.

6-Budge, E.A.W.

Easy Lessons in Egyption Heirsglyhics.- London, Kegan Paul, 1902.

7-Cawille, S.

Le theologie D,osiris Aedfau.- I FACO., 1983.

8-Cerny, J.

Paper and Books in Ancient Egypt.- London, 1947.

9-Chossiant.

Le temple de Edfau, Cairo: 1928, Vol. III.

10-Claibome,Robert.

The birth of writing.- Neth erlands time-Life book inc.,1980.

11-Derchain,P.

Les papyrus salt 825. Bruxelles, 1915.

12-Diodarus of Sicily.

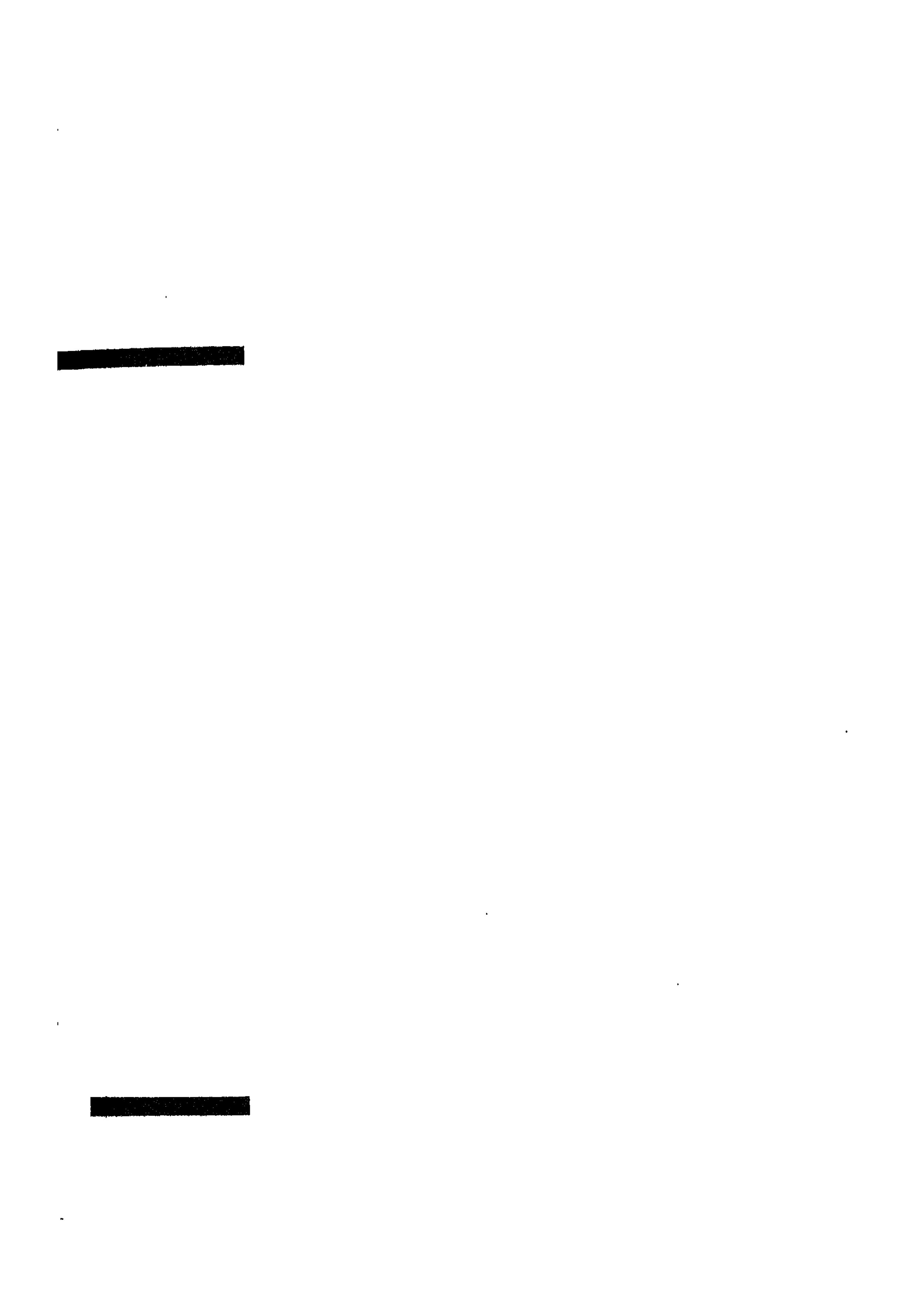
Book 1,49 / with an English translation by C.H. **Oldfather.**- London, 1968.

13-Driton, E.G.
Pssner, J.vandire .- Tod.- Cairo, 1980.
14-Encyclopedia of Librarianship London: Bowes and Bowes, 1958.
15-Erman, A.
The literature of the Ancient Egyptions/ Translated into English by A.M. Blackman.- London, 1927.
16-Fowltner, O.
The ancient Egyption.- London,1978.
17-Gardiner, A. H.
Late Egyption Miscellanies.- Bruxell, 1937.
18-Gardner,
Naucratis II in the Egypt Explaration Funal.- London, 1888 .
19-Gardiner, A.H.
The Egyptian Orgin of the simitic Alphapt.- J.E.A, Vol 3. (1916).
20-Gardiner, A.H.
The house of life.- Journal of Egyption Archaeology.- Vol 24, 1938.
21-Griffith, P.L.
Stories of the High priests of Memphis .- Oxford, 1900.
22-Griffith, F.L
Two Hieroglyphic papyeri from Tanis.- London, 1889.
23- HR. Hall,
Am Egyption Royal Book Plate : the Exlibrie of Amenphai III, and teie.- Journal of Egyption Archaeology.- 1926.
24-Hayes, W.C.
The Scepier of Egypt.- New York, 1963.
25-Hegazy, S. and Mtosi.
Atelin Private tamb No 295.London, 1980.

26-Jackson, Sidney L.
Libraries and Librarien Ship in the west: Abrief History .- N.Y: Mc Graw Hill Book Company, 1974.
27-Johnson, Elmero.
Ahistory of libraries in the western world.- New York : The Scarecrow press, 1975.
28-Kamal, A.
Steles ptolemaigyes ET Romaines B: CCG No. 22001-22208 .- Cairo, 1905.- Vol 1 .
29-Lepsius, C.R.
Denkmaler aus Aegypten and Aethiopien.- Berlin, 1850.
30-Lichtheim, M.,
Ancient Egyption Literature .- London, 1975.
31-Mariette, A.
Catalouge general des monuments d'Abydes decsverts pentant les fouilles de cette ville.- Paris, 1880.
32-Mariette, A.
Dandsra: Description general du grand temple de cette ville. Paris, 1875.
33-Morgan, J.
Catalogue de monuments Et Inscription de L'Egypt Antique. Vol. II : Komombos.- Vienne, 1895. No.221.
34-Mstchel, C.A.
Making-ink in Ancient Egypt.- London, 1927.
35-Myer, I.
An account of the Egyption.- New york, 1900.
36-O,Casey, I.And A, Money, A.
The Nature and making of paprus.- York Shine : the ELMETE PRESS, 1973.
37-Pearson. Edward Alexander.
The Alexandria Library: Glory of hellenic world.- New york: American Elsevier pulishing com., 1952.

38-Petrie, W.M.
Naucrstis I. In : the Egypt explarstion Funal.- London 1888.
39-Pierret Recveil d'inscriptioms indedites du Musee Egyption du louver.- Paris, 1875. Vol. II.
40-Pliny.
Natural History / Translation by A. Ernout .- Paris, 1956.
41-Quibell.
The Ramesseun.- London, 1898.
42-Quirke, Stephen and carol Androuss.
Rosette Stone : Facsimile drawing with an introduction and translation .- London : Britich Museum Publication Ltd, 1988.
43- Ragab, H.
Gontribution a L'Etude de cyperus papyrus, Grenoble 1979, p. 107-108.
44-Reymond, E.
From the recards of apriesty family from Menphis I AA 38.- Wiesbaden, 1981.
45-Rossi. F.
Etpleyte papyrus de turin.- Leiden, 1916. P.29.
46-Rowe, A.
The Discavery of the Famaus Temple and Enclosure of Sarapis of Alexandria .- Cairo : Institut Francais, 1946. P. 1-9.
47-Sauneron.
Le temple D'Esna.- Cairo : 1963, Vol. II.
48-Sethe, K.
The banische templinschri – Ftem aus Griecheisch – Romisches Zeit.- Berlin. 1957. Vol. VII, p.118.
49-Stricker, B.H.
De Egyptiache Mysterien Pepleiden t. 32.- Leiden, 1950.

50-Thampson, J.L.
Ancient libraries London ; Archon books, 1962.
51-Vallell, D.
Deux Hymner aux Diviniter de Komir, A Naukis et Nphfthys.- BIFA- No 83.
52-Wainwright, G.
Apainted Box from Komwshim.- ASAE, Vol 25. (1925), P. 100-101.
53-Weigall, A.
Historie de L'Egypte Ancienne.- Paris, 1949.
54-Wild, L'.
Adresse aux vissteuro dutombeau de Ti, annales du service des antiqueties de l'Egypt. (1959)
55-Wilson, J.A.
The Tradition of Seven lean years in Egypt. ANET. (1969)
56-Zayed, A.
The Archives and treasury of the temple of sety I At Abydos.- Annales de seruice des Antiqueties de L'Egypte, Vol. Lxv, 1983.



[redacted]

[redacted]